الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

صيلبية رتشارد قلب الاسد

نظمها بالفرنسية القديمة

أمبرويز

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الجزء الثاني والثلاثون (١)

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

صيلبية رتشارد قلب الاسد
نظمها بالفرنسية القديمة
أمبرويز

تأليف وتحقيق وترجمة
الاستاذ الدكتور سهيل زكار

المجلد الثاني والثلاثون

دمشق ١٤١٩ / ١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

أعود الآن مجدداً الى مايدعى بالحملة الصليبية الثالثة لأقدم آخر النصوص الهامة حولها،وبهذا النص أختتم المجلدات الأربعة التي استدركتها على الحلقة الأولى من موسوعتنا،وسأنتقل بعونه تعالى نحو الحملة الخامسة وماتلاها،وذلك مع نصوص الرحلات ونصين آخرين هامين جداً.

وسلفت الاشارة الى أهمية الحملة الثالثة،ومن هنا تأتي أهمية مصادر أخبارها، ومصدرنا اليوم وثائقي عاصر الحملة،أو نهل عمن عاصرها،وساق أخبارها شعراً،حوى صوراً رائعة،فللشعر دوما أداؤه المتميز.

وفي مدخل هذا المجلد دراسة مركزة حول هذا الشعر ومصادره وأهميته ومقارنته بمواد المجلد المتقدم،وأضفت مواد هذا الشعر،مثل مواد المجلد المتقدم القداسة على أعمال رتشارد الثاني ملك انكلترا،لكن على الرغم من كل ذلك،لقد كان هذا الملك طائشاً دموياً متهوراً،حمل عقلية القرصان،ونفسية متعطشة للثروة والذهب بأي ثمن كان،فهو قد باع كل شيء في مملكته،ولو وجد من يشتري لندن منه لباعه إياها،وعندما حط رحاله في صقلية نهب أهلها،وابتز ملكها، ثم قصد قبرص فاجتاحها وسلبها واستولى عليها،ولم يغير سلوكه هذا في فلسطين فهو على هذا لم يقد حملة مقدسة،بل خاض حرباً استعمارية بشعة،وبذلك خط الطريق للحملة الرابعة التي اجتاحت القسطنطينية وأراضي الامبراطورية البيزنطية.

وأعود لأذكر بالدروس التاريخية المستفادة من هذه الحملة، وعلى رأسها أنه بفضل الوحدة فيما بين مصر الشام استطاع صلاح الدين الصمود،واحباط أهداف الحملة،فمن ذلك الحين شكلت دولة الشام ومصر المكافىء للغرب الصليبي،والمسؤول عن الثقافة العربية والحضارة الاسلامية حتى تاريخ استيلاء العثمانيين على هذه البلاد،ولذلك على العرب في الشام ومصر التوحد مجدداً حتى تجتمع الأمة من جديد،ولكي تجري أعمال استئناف تحرير فلسطين،كل فلسطين.

ومن الدروس التاريخية لهذه الحملة ماتعلق بدور الامبراطورية البيزنطية،فقبلها قدمت بيزنطة التسهيلات الكبيرة للفرنجة الزاحفين براً،وتدخلت مراراً لحماية دويلات الفرنجة في الشام،لكن نجاح نقل القوات الانكليزية والفرنسية بحراً آذن بالاستغناء عن الأراضي البيزنطية،وبالتالي عن الدور البيزنطي كله، ونظراً لشهرة بيزنطة بالثراء،ولتعطش ملوك الفرنجة للذهب والثروة،كانت القسطنطينية أول ضحاياهم،وبذلك عجلوا في دمار الامبراطورية وسيرها نحو الزوال من الوجود.

وهذه الدروس مفيدة جداً في أيامنا هذه،فبالوحدة يمكن للعرب السير نحو العتق من الصلف والرعونة الأمريكية-الصهيونية،ولعل بين قادة تركيا من يتعظ بدروس التاريخ فيدرك مآل التعاون مع الصهيونية.

هذا وليس من السهل نقل الشعر التأريخي الملحمي الى العربية،فهو حتماً سيتحول الى نثر وإن تمت المحافظة على تقسيمات أبياته،ولقد بذلت غاية الجهد في سبيل الحفاظ على شيء من الروح الشاعرية لكن ليس على حساب الأمانة بالترجمة ودون أدنى تصرف بالمعاني والمادة الإخبارية،ولقد كان بودي الجمع في هذا المجلد بين الفائدة الأدبية الشعرية والفائدة التاريخية،وهذا ماتعذر علي،ولقد آثرت الهدف التأريخي على سواه،فموسوعتي تأريخية بالدرجة الأولى.

لاشك أن القارىء العربي والباحث بات الآن يمتلك مادة شاملة حول أحداث الحملة الثالثة،التي كانت الفيصل بين جميع الحملات،والله الموفق والمستعان وله دوماً الحمد والشكر،ومنه جل وعلا أستمد العون لاكمال هذا المشروع الذي سيصل الى ستين مجلده.

والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سهيل زكار

دمشق ٢٦ محرم ١٤١٩هـ

٢٢ أيار١٩٩٨م

مدخل

للشعر المقدم هنا قيمة استثنائية لكل من المؤرخ وتلميذ الأدب الوسيط ، فبين جميع الروايات التي تحدثت عن صليبية رتشارد وكتبت من قبل الذين عاشوها يقدم كتاب أمبرويز الحامل لعنوان « تاريخ الحملة المقدسة » وكتاب « رحلة الملك رتشارد» أكمل روايات فيها إحاطة بما حدث ، نمتلكها حتى الآن ، فهذان الكتابان يغطيان بالفعل الجزء الأعظم من معلوماتنا الواقعية حول هذه الحملة التي كتب لها الاحباط ، ومرويات شهود العيان دوماً ثمينة ، وقيمتها مضاعفة بالنسبة لأحداث العصور الوسطى ، لأن الذي بقي لنا ووصل إلينا لا يتعدى القليل من المدونات ، وبالنسبة لكتاب « تاريخ الحملة المقدسة » هو كتاب شاهد عيان ، وهو كتاب بالنسبة لعدد كبير من العلماء المختصين مقبول كما هو ، ومثمن ومصدق ، وكما سنذكر في المستقبل في هذا المدخل ، يعد النص الذي نقدمه الآن نسخة طبق الأصل عن الرواية المباشرة لواحد كان قد رأى الأحداث التي تولى وصفها ، ولدينا من الأسباب ما يدعونا الى الاعتقاد أن النص الحالي قلّد النص الأصلي ونسخه بشكل صحيح ودقيق الى أبعد الحدود ، وأنه قد كتب بعد أمد وجيز من انتهاء الحملة الصليبية ، وعلى هذا يمتلك قيمة وثائقية ويساوى الى أبعد الحدود الرواية الأولى المباشرة.

أهمية الشعر

يحتل هـذا الشعر كقطعـة أدبية وفنية مكـانة فـريدة ، ويمثـل حال الانتقـال فيما بين وضع الحكـايات البطـولية لأناشيـد الأعمال وبين الروايات المصنفة نثـراً من قبل كتاب مثل فلهارديـن وجوانفيل ، ومهما كـان موقفنـا تجاه النظـريات المتعلقـة بـأصل الملحمـة التـي قدمهـا جوزف بيـدير والذين اتبعـوا خطاه، يمكننا بثقـة أن نفترض أن انسان العصور الوسطى تقبـل بمثابة حقائق ما جاء في حكـايات شارلمان ، ووليـم أوف أورانج ، ودون أوف مينيـس mayence وهي الحكايات التي زودت أناشيد الأعمال بمادتها ، وبـذل الشعراء جهوداً كبيرة في سبيل تأكيد مصـداقية حكاياتهم ، وطوقوا هذه الحكايـات وأحاطوها بشيء يشبه الأجـواء البطولية المثيرة ، مـع أنهم يروون حكايـات حوادث يفترض أنها وقعـت قبـل ثـلاثمائة سنـة أو أربعمائة قبـل ولادتهم ، وصلب هذه الحكايات بالنسبة لهم تاريخ قديم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر لدينا في التاريخ الذي بين أيدينا كاتب يتولى حكايـة وقائع حديثة كانت ما تزال قـائمة بذاكرة أناس سمعوا كلماته أو قرأوها ، ولقد تولى سرد روايـاته بشعرمنظوم وكان هذا بـالنسبة للـذين كـانوا لا يعـرفـون اللاتينيـة فصلاً عظيماً مـن التاريـخ المعاصر، ولدينا هنـا مراسل تولى بالدارجة روايـة أخبار آخر الأحداث في الصراع في سبيل خنق الاسلام وإبقـاء الغرب الأوروبي للمسيحية ، وقد كتب نظماً لأنـه كان شاعـراً جوالاً ومغنياً ، تـدرب على فن الكتابـة وكان الشعر المنظوم هو الوسيلة الطبيعية والمتـوارثة في رواياته حكاية تطلب الحال قـراءتها بصوت مـرتفع مسمـوع ، ولقد روى وقـائع وحكايـات تناولت أكثر من مسائل زحـف الجيوش ومجيء الحكام خلف بعضهم بعضـاً، والخلافـات بين الأسر الحاكمـة ، لقـد حكـى لنـا كيـف عـاش

الانسان العادي وشعر ، وشرب ونام ، وجاء من بعده فيلها ردين وجوانفيل ، وكانا ممن انتمى الى الارستقراطية كما كانا من العسكريين ، وقد قدما رواياتيهما نثراً لأنهما كانا رجلا أفاعيل لا يمتلكان البراعة على نظم الشعر ومعهما جاءت كتابة التاريخ بالدارجة الى الوجود ، والذي كان موجوداً قبلهما أولاً الكتابات باللاتينية التي قدم أصحابها الأخبار السياسية والعسكرية الجافة ، وكان في الجهة المقابلة «أناشيد الأعمال » الحاوية لكميات هائلة من التقاليد ، والأساطير ، والدعاية والخيال ، وأما الآن فقد بتنا نمتلك بدايات الكتابات التاريخية ، وفق معاني هذا الاصطلاح المعاصر.

مصادر الشعر وعلاقته بكتاب
رحلة الملك رتشارد إلى أراضي القدس المقدسة

جاء كتاب « تاريخ الحملة المقدسة »الى النور للمرة الأولى عندما نشر غاستون الباريسي طبعته المحققة من النص مع مواد نقدية محكمة الصنعة ، وكان ذلك سنة ١٨٩٧، وكانت مخطوطة هذا الكتاب مودعة على رفوف مكتبة الفاتيكان منذ قرون دون أن تثير انتباه أحد ، وذلك في وقت تقبل فيه مؤرخو الحروب الصليبية النص النثري من التاريخ واعتمدوه ، وأعني بذلك « حملة الملك رتشارد » التي أعطتنا رواية نظيرة ،لكن تختلف بعض الشيء في تفاصيل الحوادث المروية من قبلهما ، وبعدما درس غاستون الباريسي العملين معاً، قدم في مدخله الدراسي بعض المحصلات التي توصل اليها فيما يتعلق بناظم الشعر وأصالة عمله ، وجرى فيما بعد تأكيد بعض هذه المحصلات ورفض بعضها الآخر من قبل الأبحاث التي جاءت من بعده .

وأطلق نـاظم الشعـر على نفسه اسم أمبرويـز في كثير من الأمـاكن في شعـره ، واستخلـص غاستـون مـن هـذا أن أمبرويـز هذا كـان حـاضراً شخصياً وشـاهداً لمعظم أحـداث الحملة الصليبيـة الثالثة التـي تولى حكايتهـا، وعلى هذا مـن المتوجـب تقبل روايتـه على أنها رواية شـاهد عيان ، باستثناء جزء الرواية الذي يعـالج حصار عكا قبل وصول رتشارد ملك انكلترا ، وفيليـب ملك فـرنسا ، وظهـورهما على مسرح الأحداث ، وأوضح الشاعر بشكـل محدد عدم امتلاكه لأية معلومـات شخصية حول مجريات هـذه الأحداث ، التي مع هـذا احتلت شطراً كبيراً مـن شعره (الأبيـات ٢٣٨٧ ـــ ٤٥٦٨) ، لكنه رواهـا اعتماداً على واحـد ســواه ، ولقد شغلت هـذه الرواية مواد الفصـل الأول من كتاب الحملة وتـوصل العـالم الفرنسي الكبير، إثـر تأسيسـه مناقشـاتـه على مجموعـة من أجـزاء البينات الداخلية للنص الى مجموعـة من الحقائق ، التي أيدتها الأبحاث المستفيضة وصححتها بـالتفاصيل ، لكن ليس بشكل أسـاسي، وكان ما توصـل اليه هـو : لم يكن أمبرويـز لا فارسـاً من الفـرسان ولا رجـلاً حمل السلاح ، كما أنـه لم يكن كاهنـاً ، بل كـان قارئاً جيداً للشعـر الفرنسي في أيامـه ، الأمر الذي أشـار اليه في عدد كبير مـن النقاط ، وقد عـرف قليلاً أو لا شيء مـن الأدب اللاتينـي ، وكـان وفـق جميع الاحتمالات مغنيـاً جـوالاً أو شاعـراً محترفاً ، وكـان مـن أصل نـورمـاندي ، ثـم إن إشاراتـه المتوالية لشخصيات غير معروفـة من أحواز منطقة افرو Evreux تسوغ افتراض أنه كـان شخصياً مـن أبناء تلـك المنطقة ، ومخطـوطة الفـاتيكان هي النسخـة الوحيدة المعروفـة أنها بقيت من نسخ الكتـاب ، ويبدو أنها كتبـت في انكلترا في حوالي نهايـة القـرن الثالـث عشر، وعلى الـرغم مـن حقيقـة سماتها الأنكلوـ نورمـانديـه ، إن البينات المتـوفرة لا تبرهـن أن الأصـل تـمّ نظمه بـذلـك اللسـان ، كما أننـا لا نمتلك مـا يبرهـن على العكس .

وفي الوقت الذي يمكن فيه قبول تعليـلات غاستون الباريسي والوثوق بها ، يبدو أن محصـلاته فيما يتعلـق بأصـل الشعر وعـلاقته «بـرحلة رتشـاد » اعتمـدت على افتراض مـا هـو مـوائم أكثـر ممـا هـو مقنـع ، وباختصـار أمامنا في واقـع الحال نصين : واحد هـو تاريخ كتـب نثراً بالـلاتينية ، والثـاني رواية شعـرية كتبت بـالفرنسيـة القديمـة ، ويقدم هذان النصان ـ مع استثناء واحدـ روايانين عن الحملة الصليبية الثالثة متشـابهتين بـالكلمة والمقطـع ممـا يُظهـر بـداهـة وجود عـلاقـة بينهما لايمكن الجدال حولها ، والاستثناء هو ما تقـدمت الاشارة إليه من أن الشعر يحتوي على إضافة هي رواية عـن حصار عكا قبل وصول ملكي انكلترا وفرنسـا ، وبالنسبـة لهذه الإضافة نـلاحظ هنـا أن التماثل بين العملين أقـل أهمية ممـا هـو في أي مكان آخـر ، حيـث التنـاظر واضـح بشكل كامل .

وقبل اكتشاف « تـاريخ الحملة المقدسة » كان مقبـولاً بشكل عام أن كتـاب « رحلة رتشـارد» هـو عمـل أصيل مـن انتـاج رجـل دين اسمـه رتشارد ، أسهـم شخصياً في الحملة الصليبيـة وكتب إما بنـاء على طلب من أو تحت اشراف وتوجيـه راعي دير الثالوث المقـدس في لندن ، وجاء هـذا على الرغـم مـن حقيقة أن كتـاب De expugnatoin Terrae sanctae persaladium Libelleec وهـو واحد مـن بين الشواهـد القليلـة المتبقية ، ذكـر بكـل بـوضوح ودون وجـود أدنـى إمكـانية لسـوء الفهـم بـأن كتـاب الحملـة قـد تـرجـم مـن الفـرنسيـة ، غير أن ستب STUBBS الذي تولى إخراج الطبعة الأساسيـة من كتاب الرحلة أكد بدون تـردد : « أنه من المحال أن يكـون الكتاب كتاباً مترجماً » وكـان قد كتب هـذا عام ١٨٦٤ عنـدما نشر مجمـوعة مـن المصادر الأسـاسية عـن حكم رتشارد ، وقد ساق عدداً من البراهين ليوضح أن مؤلف الـ Li-bellus لابد أنـه كان مخطئاً أو مضللاً ، وقبـل بالقول أنـه إذا وجد أي

نوع من الترجمة لا يعدو وضع بعض الملاحظات التي وردت ودونت باللغة الدارجة الجافة عما حدث أثناء الرحلة ووضعها باللاتينية الرسمية، توصل غاستون الباريسي الذي أنقذ من الاهمال شعر أمبرويز الذي طال دفنه ، الى أن هنا المصدر الذي ترجم عنه الكاهن الانكليزي كتاب « الرحلة » وبذلك أهمل أو رفض بالتفصيل حجج ستب ، التي كانت طبيعتها غير ايجابية تماماً ،وأكد أن متابعة النقاش حولها عملاً ليس مجدياً بعدما اكتشفنا الأصل الفرنسي من الكتاب ، الذي تولى رتشارد التابع لدير الثالوث المقدس وضعه باللاتينية ، وصرح بوضوح أن رتشارد قام عن عمد بانتحال الكتاب وأراد أن يضلل الناس ويجعلهم يعتقدون أنه شارك في متاعب ومفاخر الحملة الصليبية وكان شاهد عيان للاحداث التي تولى رواية أخبارها .

وناقش المسائل وجاءت مناقشاته بشكل أساسي حسبما يلي : أولاًيحتوي النص اللاتيني على عدد كبير من آثار كلمات شعرية منظومة التي يوجد بعضها في عدد كبير من أبيات شعر أمبرويز يضاف الى هذا هناك بعض الأسماء المزدوجة التي لا بد أنها وجدت في بعض أجزاء الشعر وقد فقدت من خلال اهمال النساخ ، وثانياً يوجد في نص الكاهن رتشارد اللاتيني بعض الأخطاء ، أو التناقضات ، الأمر الذي يمكن شرحه فقط على أساس الافتراض أن رتشارد لم يفهم النص الفرنسي الذي اعتمد عليه ، وفي احدى الحالات لم يكن معتاداً على أدب الملاحم الفرنسية القديمة ، مما قاده إلى اقتراف بعض الأخطاء المضحكة ، مثل الذي تعلق بأنغولاند Angoland الذي كان واحداً من الشخصيات المعروفة في ذلك الأدب ، ولعل الأهم من هذا كله حسب تأكيدات غاستون الباريسي أن الكلمات والمقاطع التي وردت في نص رتشارد والتي ليس هناك ما يوازيها في الشعر الفرنسي تظهر من خلال الفحص أنها كانت كلمات للزينة أو مجرد ألفاظ

بلاغية ، وهـي على هذا لا تضيف شيئاً لحقائق الروايـة ، لأنها بالأساس نوع مـن أنواع العروض التي هـدفت الى إظهار البراعة الأدبيـة وسعة المعرفـة ، التي غالبا مـا استهدف رجال الـدين للعصور الوسطـى من ورائها بهر عيون قرائه ، وأكد ناقدنـا أنه من غير المتصور أن يقدم شاعر على تـرجمة هـذا النـوع مـن العمل التـزييـني الى لغـة سهلـة وروايـة شعرية مباشرة هي التي نجدها في التاريخ ، هذا من جهة ومن جهة أخـرى ، كثيراً ما حـدث أن قـام المتعلمون الـلاتين بتـزيين الكتابـات السهلة التـي دونت باللغـة الدارجة بمثـل هذه الورود الأدبيـة التي رأوا أنها ضرورية للرفع من شأنها .

وبالتخلي هكـذا جملة واحدة عـن الأجزاء الموجودة في نـص رتشارد التي لا نظير لها في « التاريخ» أهمل غاستون الباريسي ، أو شرح بطريقة غير مـرضية مجمـوعـة متنوعـة من البينـات لـدى قيامـه بـالمقارنـة بين الكتابين ، وعـرض ذلك أمام عين القارىء ، فقـد قام رتشارد بـالحقيقة بتقديم قطـع عديدة من المعلومات ، لا يحتـاج المرء الى خيال خصب ليقـول إنها تـزيين بـلاغـي ، ومن ذلـك بين كثير : الـوصـف المفصـل لرحلـة رتشارد من تـور الى فيزلي ، ومن فيـزلي الى ليون ، والاجتماع فيما بين الملك رتشارد وتـانكرد في صقلية ، والخصام بين البيـازنة والجنويين ، والتفاصيـل المتعلقة بوصـف جغرافية كريـت ، وأسماء الأساقفة الثـلاثة الذيـن كانوا حضـوراً أثناء زواج الملك ، وروايـة الرحلة التـي قام بها الملك لتفحـص غزة والـداروم ، وعدد كبير من التـواريخ المحـددة ،وهذه لائحة من الممكن اطالتها كثيراً.

وعلـل غاستـون الباريسي وجـود هذه المواد الاضـافية في « الحملـة» بواحد من الاحتمالات التالية : فـذلك كان إما بسبب (١)أن هذه المواد استقيت مـن كتاب رحلـة رسمي عـن حملة الملـك رتشارد ، أو (٢) أنها أضيفـت من قبـل مصنـف الكتاب الـلاتينـي من خـلال معلـوماتـه

الشخصية أو من خلال مصدر غير محدد ،أو (٣) أنها وجدت أصلاً بالأصل الفرنسي الشعري ، لكنها حذفت أو فقدت من قبل النساخ الذين قاموا بتحويل النص ونسخه ليستخدم من قبل الأجيال القادمة ، وفي الوقت الذي هو صحيح أن هذه الشروح بالنسبة لبعض القضايا قائمة في نطاق مملكة الاحتمالات ، صحيح أيضاً وبشكل مساوٍ أنها تستند على الحدس وليس على البرهان .

ومن المتوجب أن نشير الى حقيقة أن أمبروز لديه بعض المواد التي لا يوجد ما يعادلها في «الرحلة» من ذلك يمكن أن نذكر على سبيل المثال التفاصيل المتعلقة بالرسائل التى أرسلها الملك تانكرد الى الملك رتشارد ، وأسماء رجال الكنيسة الذين أعدوا شروط السلام فيما بين الحاكمين ، (البيت ١٠٠٧ وما يليه) وكذلك الاتيان على ذكر النسب الرفيع لغي دي لوزغنان (البيت١٧٢٢ وما يليه) والدعوة المستعجلة من الملك فيليب الى الملك رتشارد (أبيات ١٨٧٩ ــ ١٩٠٦) وأشياء أخرى كثيرة .

وقامت كيت نورغيت التي كتبت في سنة ١٩١٠ بإخضاع القضية الى مزيد من التحليل ، ففي الوقت الذي أعطى فيه غاستون الباريسي سنة ١١٩٦ بمثابة التاريخ المحتمل لنظم الشعر الفرنسي ، قدمت الآنسة نورغيت دليلاً على أن التاريخ ينبغي أن يكون فيما بين أيلول ١٢٠٣ وتشرين الثاني ١٢٠٧ ، ورسا برهانها على أن اشارات أمبرويز بصيغة الفعل الحاضر وبصيغة الفعل الماضي الى مختلف شخصيات الحملة الصليبية ، قد لا تحمل ما يقنع الى الذين اعتادوا على تسيب استخدام صيغ الأفعال في الفرنسية القديمة ، ومع هذا قدمت قضية مقنعة ، فبعد ما درست « الرحلة » بطريقة مماثلة هذه الرحلة التي وصلتنا من خلال ثلاث مخطوطات توصلت الى المحصلات التالية :

فمن خلال النسخة الأقدم للرحلة ـ مما هو متوفر لنا الآن ـ لم

تكتمل هـذه النسخة حتى مـا بعد ٦ ـــ نيسان ١١٩٩ ، وأن الخاتمة في مخطوطـة (جـ) مـن المحتمل أنها أضيفـت ليس قبـل ١٢٠٢ ، وأن فقرة واحدة في (lib,i) قد كتبت قبل أيلول ١١٩٢ ، وأنه من الناحيـة التأريخية يحتمل أن الكتاب كلـه ـ باستثناء خـاتمة مخطوطة (جـ) حسبما هي الآن ـ قد كتب قبل هذا التاريخ .

ولاحظت أن هناك بعـض الفقرات التي تتعارض مـع هذه المحصلة ، فعللت ذلك وردته الى احتمال أنه أقحم بـالنص فيما بعد ، وبالفعل لا نمتلك سبباً لرفـض قولها بـأن :« التاريـخ والرحلـة قد صنفـا في زمن متقارب من بعضهما بعضاً » ، لكن البينات التـأريخية « غير كافية لتقرير أي واحـد من الكتـابين بشكلـه الأصيل هـو الأقـدم »وبعـدما رفضـت الآنسـة مورغيـت إلغاء غـاستـون البـاريسي وحـذفـه لرتشـارد الثالـوث المقدس ووصفت اسقـاطه له على أنه عمل مشين ، مضت نحـو حياكة ـ لكن بالنسبـة لتفكيرنا ليس نحو البرهنـة ـ فرضية ، شـارك ـ وفقاً لها — كل مـن رتشارد وأمبرويـز في الحملة الصليبيـة ، وكانـا في الحقيقة صديقين وأبنـاء لمهنة الكتابـة ، وفي الوقـت الذي أسهمت فيـه الآنسة نـورغيت اسهـاماً عظيماً في حـل هـذه المسألـة ، إن كتلة البراهين التـي جمعتهـا كما يبدو غير كـافية لتسـويـغ استنتاج ، لعـل الأفضل أن نقـوم بعرضه بكلماتها:

«ذهب شـاعر نورمانـدي اسمه أمبرويز ، ورجل ديـن انكليزي يفترض أنه كان ريتشارد «الداوي » الذي كـان شماساً في دير الثالوث المقدس في لندن ، مع بعضهما في الحملة الصليبية بمثـابة رفيقين وصديقين، وفي أثناء الحملة دوّن رتشارد بعض الملاحظـات إما بالفرنسيه أو بالـلاتينية ، حول ما عاناه احـدهما أو كلاهما معاً بشكل خاص والحشد كلـه بشكل عام ، كما دوّن أيضـاً ما تـوفـر له مـن معلـومات ومـا استطـاع أن يجمعه حـول حصار عكا ، من البداية حتى وصـولهما الى هناك وقد تولى وضع جزء من

هذه الملاحظات على شكل عمل أدبي كامل الى حد ما ، وفعل ذلك قبل نهاية الحملة الصليبية ، ثم قام بعد سنوات بتصنيف الجميع واخراجهم على شكل كتاب ، هو كتابه الذي وصل إلينا، لكن في الوقت نفسه ، وقبل أن يقوم بهذا العمل، ربما كان قد أعار مسودته الاولى لصديقه النورماندي ، وأن ذلك كان وهما ما يزالان في الأرض المقدسة ، وسبب الاعارة لتتخذ قاعدة لمدونة أخرى حول الحملة الصليبية نفسها، التي عزم الكاتب الأخير على تصنيفها على شكل أناشيد الأعمال التاريخية ، وبالنسبة لما يتعلق بصلب الرواية التاريخية ، كان الذي فعله أمبرويز هو ترجمة ملاحظات رفيقه ، ولعل ذلك كان من اللاتينية الى الفرنسية ، أو ربما فقط نقل من النثر الى الشعر ، وتولى الحاق اضافات وحذف وغير حسبما اقترحت عليه أحكامه الخاصة ، وحسبما زودته به ذاكرته حول ما وقع ، وبالنسبة لمدخل التاريخ أودع أيضاً ما التقطه من الذين كانوا موجودين على مشهد الأحداث قبله ، ومن جانب آخر لا بد أن كتاب رتشارد تلقى أيضا اضافات وتعديلات من مصنفه عندما شرع في اعادة النظر به من أجل نشره ، لكن من الواضح أنه لم يراجع مراجعة نهائية من قبله ، وهكذا ظل يحتوي على بعض النواقص والاضطرابات ، مثل الضياع بشأن أنغولاند ، والاضطراب بشأن غارنيير اوف نابلوس ، وحول فدية وليم دي برو، وهي أمور لابد أنها كانت موجودة في ملاحظاته الأساسية ، لكنها نسيت في المعسكر وسط ضجيج الحرب ، الذي لم يترك له فرصة ليفكر بها بشكل نادىء ، ولهذا بقيت دونما تصحيح وكررت من قبل ناسخ أول فناسخ آخر ، ومن نسخة أولى الى نسخة أخرى» .

وكلما تعمق الانسان في فحص هذين الكتابين ودقق في ذلك ، كلما اتضح له وتصور شيئين : أولهما إن شعر أمبرويز لا يمكن أن يكون ترجمة من «الرحلة » وثانيهما إن « الرحلة» لا يمكن أن تكون ترجمة عن أمبرويز ،

ومع هـذا من الواضـح والبديهي إن الكتـابين بلا شك ولا نكـران قريبين مـن بعضهما مـن بعـض الجوانـب ، وتـوصـل المحققـون لهذه الطبعـةالى محصلة تفيد بأن الكتابين صدرا عن مصـدر واحد هو الآن مفقود ، وكانوا مسرورين كثيراً عندمـا وجدوا أن السيد ج . غ . أ دواردز قد تـوصل من خلال دراسـة نافذة ومعمقة الى النظـرية نفسها ، وعرض كمية كبيرة من البراهين تؤيـد ما ذهب إليـه أن المؤلف غيرالمعـروف للأصل المفقـود قد كتـب بالفـرنسيـة،وربما كتـب نثراً،ونحـن نعتقـد أن الافتراض الأول بين هذيـن الافتراضين معقول،لكن الثـاني قائم على بينـة حدسية. وبـالنسبة لموقـف السيـد ادواردز الكامـل نشيرهنـا الى بحثـه الـذي سوف نغـامـر فنضمـن هنا فقـط ملخصـاً لبعض الأجـزاء الهامة منـه،فـإحدى النقـاط الهامة-على سبيل المثـال-تحتوي على اشارتين الى أنغولانـد،الملك المسلم الـذي ظهـرفي نشيـد أعمال كتـب بـالفــرنسيـة القـديمــة تحت اسـم أسبريمونتAspremont،وأشار«التاريخ»الى مدينة مسينا كما يلي:

إنها بلدة جيدة وذات موقع جميل

في صقلية،وتطل على

بيت النور(الفاروس)الذي منه يرى الانسان

ريغيو التي استولى عليها أنغولاند

وهنا اشارة الى معلـومات صحيحة حول محتـوى الأسبريمونت،أي أن أنغـولانـد قـد استولى على ريغيـو بالقـوة،وتتحدث الفقـرة النظيرة لهذه في الرحلة عـن مسينا كما يلي:« Situ Amoena et plurimum com-modo in confinio siciliae et Risae quae illi famoso Agolando dicitur olim fuisse 1ro servitio suo collata»

ويمكن أن يعنـي هذا فقـط أن الكاتب عـدّ روغيو أنها قـد منحت لأنغولاند بمثابـة اقطاع مقابل خدمات جرى تقديمهـا،وبناء عليه اعتقد

أن أنغولانـد كان بـاروناً مسيحيـاً،ووفقاً لما قـاله غـاستون البـاريسي هذا يعني أن مؤلف«الـرحلة» قد أساء فهم«تاريخ الحملـة المقدسة»وأخطأ في تـرجمتـه،وتبعـاً لما ذهبـت اليـه الآنسـة نـورغيـت كـان الكـاهـن الـذي كتب«الرحلة»غير متمكن من فهـم الأدب اللاديني،فسقط في تلك البقعة وأساء فهم بعـض قطع أسطورة وضعت أمـامه بوساطـة كلمات الفم،وقد شـاهد أمبرويـز الغلطة في مـلاحظـات صديقـه فتولى تصحيحهـا بهدوء وسرية داخل نصه.

وتظهر مصاعب هـذين الشرحين عندما يدرسا في ضـوء الاشارة الثانية الى أنغـولاند،فقـد كتب رتشـارد الثـالوث المقـدس في الكتاب الخامـس الفصـل(٢١)مايلي:«وصـل أنغولانـد الذي كـان الأعظم قـوة،مع قـوات اسـلاميـة لايمكن عـدّهـا بـالنسبـة لأي انسـان،وبدون عـون الـرب،الى ريغيو،وهي مدينة في كالبيرا».

ومن الـواضح تماماً،ومـن البديهي أيضـاً أن كاتب هـذه الكلمات قدم بشكل صحيـح أنغولانـد نفسه الـذي أشار اليـه من قبـل بطرائق قـابله للانطباق فقـط على مسيحي،غير أنه لم يحصل على المعلومةمـن «التاريخ» الـذي لاتحتـوي فقـرتـه على أدنـى ايماءه مهما كـان نـوعهـا الى الأصـل الاسلامي لأنغـولاند،وذلك على الرغم مـن الوصف الذي قدمـه غاستون الباريسي لهذه الفقرة من أنها أكثـر دقة من الفقرة التي تقدمتهـا،فقد جاء نص هذه الفقرة كما يلي:

وعندما قاد حشوده الى روما

عندما،أنغولاند،مع قوة كبيرة

جاء من البحر الى البر في ريغيو

في كالبيرا،تلك المملكة الغنية

وبكلمات أخرى يمكن القول إن الكاهن الذي أخطأ في الفقرة الأولى في ذكره لإحدى الحقائق قد تولى فيما بعد تصحيحيها حسبما ذكرها في الفقرة الثانية،وهو لم يحصل على تلك الحقيقة من أمبرويز،وقد ناقش هذا السيد ادواردز بقوة،ولكن محصلاته من الصعب البرهنة عليها،ولنستمع اليه وهو يقول:«ويلحق ذلك محصلة أخرى،فإذا أخذنا هاتين الفقرتين حول أنغولاند معا،لانبرهن على أكثر من السلبية،وبالنسبة لكاتب الرحلة هولم يلاحظ في المقام الأول أن أنغولاند كان مسلماً،ومع ذلك وصفه في فقرة تالية بشكل صحيح على أنه كان مسلماً،ويعلل هذا بأنه قد تنبه بفعل ما في الفقرة الثانية هذه،لكن لايمكن أن نقول أن وسيلة التنبيه كانت«التاريخ»وبالنتيجة لابد أن التنبيه كان بوساطة شيء آخر،وعلى هذا لابد أن غاستون الباريسي قد تبع مشاعر صحيحة عندما علق على وجود«تناقض»قائم فيمابين هاتين الفقرتين،لكن كيف يمكن شرح هذا التناقض؟ وكيف يمكن لكاتب أن يعلم في آن واحد وأن لايعلم الحقيقة نفسها؟والشرح الطبيعي الأفضل لهذه القضية هو المتوفرعادة بالنسبة لمثل هذه الظاهرة لدى الكتّاب الآخرين،ويساق الانسان على هذا الى محصلة أن مصنف«الرحلة»لم يكن المؤلف الأصيل،لكنه كان يعيد انتاج عمل كاتب أصيل،لئن كانت-كما حدث-ايماءاته غير واضحة في ذاتها،هو لم يفهمها دوما،ومن المفترض أنه بوساطة هذا الكاتب الأصيل تنبه صاحب«الرحلة»عندما وصف بشكل صحيح في الاشارة الثانية لأغولاند،على أنه كان قائداً مسلماً.

ويظهر اضطراب آخر وتشوش من قبل كاتب الرحلة في الإشارتين الى غارنيير دي نابولس،ففي إحدى النقاط عدّ بشكل واضح أن غارنيير دي نابولس ومقدم الاستبارية شخصين متميزين عن بعضهما تماماً،ثم مالبث بعد قليل أن أشار الى غارنيير دي نابولس على أنه مقدم الاستبارية،وهكذا-كما لاحظ السيد ادواردز- بدا وهو يعرف ولايعرف

بالوقت نفسه الحقيقة نفسها،ومن البداهة بمكان أيضاً،كما أشار السيد ادواردز،أن مثل هذه التناقضات مع أمور أخرى،من الصعب أن تتواءم مع فرضية أن رتشارد من الثالوث المقدس،قام بكتابة كتابه على أساس الملاحظات الأولى التي صنعت أثناء مجريات الحملة.

وهناك مسألة أخرى أولتها الآنسة نورغيت كثيراً من العناية،لكن السيد ادواردز لامسها بشكل لطيف،ومرّ بها مرور الكرام،وهي وجود عددكبير من الفقرات في «تاريخ الحملة المقدسة»أشار فيها الشاعر الى مصادر مكتوبة إنما غير محدودة، استقى منها مواده،واستخدم عبارات مثل:«هكذا جاء في التاريخ»و«وهكذا ذكر في الكتب»و«وهذا ماأكدته الكتابات»ومايشبه هذا،وعدت الآنسة نورغيت تكرار هذه العبارات بمثابة دليل داعم لنظريتها القائلة بأن أمبرويز كان يترجم عن «الرحلة»وبشأن هذه النقطة ينبغي صنع ثلاث ملاحظات:الأولى ،حسبما لاحظت هي نفسها-إن مثل هذه الصيغة سلعة استخدمت دوماً في تجارة شعراء الغناء في العصور الوسطى ،الذين حاولوا تقديم نوع من أنواع التوثيق لحكاياتهم الخيالية والمثيرة جداً،مثل القول:«أنا رأيت هذا مكتوباً،ولابد أنه كان صحيحاً»،ثم إن تكرار هذه العبارات ليس عظيماً بشكل لافت للانتباه في شعر تجاوز الاثني عشر ألف بيت،وهو لايمكن أن يبرهن على أن أمبرويز كان يترجم من اللاتينية،والثانية:من الواضح أن«التاريخ»قدكتب من أجل الالقاء بصوت مرتفع،وليس من أجل القراءة،ولقد خاطب الشاعر بنفسه في بعض الأحيان مستمعيه ولم يخاطب قراءه،واعتاد المغنون في العصور الوسطى بشكل عام على تلاوة مصادر مكتوبة،وجدير بالملاحظة أن رتشارد الثالوث المقدس قد أشار مرتين في التوطئة«للرحلة»ليس الى قراءة بل الى مستمعين،وهذه حقيقة،يمكن لتخمينات السيد ادواردز أن تشرحها بوساطة نظرية أن الكلمات موضوع السؤال تمثل صدى لشيءظهر في توطئة الأصل الفرنسي

للكتاب الـذي كان رتشـارد يتولى تـرجمته.والملاحظـة الثالثـة،وربما الأكثر أهمية،هي وجـود عبارات«هكذا ذكر في الكتاب»وهـذا متوائم تمام المواءمة مع الفرضية التـي نعتقد أنها فرضيةصحيحة،وهي:إن الكتـابين قد صدرا عن أصل عام.

وبـرأي المترجمين الحاليين هنـاك حقـائق أخرى تقـدم امكـانـات لهذه الفـرضيــة،أولاً:في الـوقــت الـذي يسير فيــه المجرى العــام للـروايــة بتناظر،وبطـريقة متطابقة في الكتـابين،تولى أحد الكاتبين حـذف عدد من الحقـائق المحـدودة تـولى الآخـر تضمينهـا،وقد قمنـا بـذكـر بعـض هـذه الحقائق،ويبدو أنـه من غير المرغوب به إثقـال هذا المدخل بقائمـة كاملة بهذه الحقائق،«والرحلة»غنية في اعطاء تـواريخ محدودة،أخفق«التاريخ» في ذكـرها،ولاشـك أن الشـاعر قـد وجـد-كما وجـد المترجم الحالي-أن ذكـر التـواريخ مـربك في الشعـر.وفي جميع الأحـوال،نقترح أن كل كـاتب قـد حـذف تفاصيـل وجدت في الأصـل العـام،قد رآهـا غير ضرورية،ثـم إن ناظـم«التاريخ»بشكـل خاص قد تولى حـذف حقائق كان مـن الصعب عرضها شعرياً.

وفي المقـــام الثــــاني،بصرف النظــر عـــن الأبيـــات الاضـــافيـــة ٢٣٨٧-٤٥٦٨،هناك نقـاط كثيرة جداً فيها اختلـف الكاتبـان في ذكرهما للحقائق،وبصرف النظـر عن الحقـائق غير المهمة أو مـن السهل تعليلهـا بسبــب وجــود انهيــار جسر الـرون عنــد ليــون عبر الجيــش بقــوارب صغيرة(bargetes) في حين أوضح كتـاب«الرحلـة»أنه جـرى بناء جسر من القوارب،ولدى عـرض شروط المعاهدة التي أبرمت مـع الملك تانكرد صاحب صقلية،قدم كل كاتـب بعض شروط التعاهد التي تجاوزها الآخر صامتاً،وتنطبق صحة الملاحظة نفسهـا على الاتفاقية التي عقدت فيما بين غـي دي لوزغنـان،وكونـراد دي مونتفـرات،وليس بعيـداً عن الصحـة أن نستنتج أنه في هـاتين المسألتين اختار كل كاتب شروط السـلام التي ظن

أنها هي الأكثر أهمية،كما أن الحذف قد وقع لأسباب بديهية أخرى،ففي التاريخ نجد اسم غلبرت تيلبوز،وكان فارساً جاء اسمه باللاتينية جيراردوس ونرى أن الخلاف قد نشأ عن الخلاف في تفسير المختصرات في النص الأصيل،والسبب نفسه هو ربما ضلل الكاتبين في المسألة التي تعلقت بالاسم الشخصي لدوق بيرغندي الذي أورداه على شكل هنريكوس وهنري،في حين كان اسمه بالواقع هيوج،ومن الواضح أن مؤلف«الرحلة»قد صحف قراءة ملاحظة أو كلمة وردت بالفرنسية هي التي أعطت«وسط الخريف»لتاريخ ذكره«التاريخ»بشكل صحيح على أنه كان «وسط-آب»(Miaust) وعلق السيد أدواردز بما فيه الكفاية على هذه الفقرة الأخيرة،وعلى بيت شعر غريب،قال فيه الكاتب اللاتيني بأن الحجاج استراحوا لدى زيارتهم القدس الى «جانب جبل»في حين جاء بالنص الفرنسي«جانب جدار»،ولدى النظرة الأولى قد تكون هذه المسائل غير هامة،لكن السيد ادواردز بين أن عدم أهميتهم يعطيهم أهمية،فبعيد عن التصور الاعتقاد أنهم يمثلون تصحيحات من كاتب لآخر،بل يمكن بسهولة أن يتصورهم ممثلين لتفسير مختلف لنص أساسي محدد،ولفتت الآنسة دور وثي بوفي الانتباه الى خلاف نصي آخر يمضي بالاتجاه نفسه،مع أنها لم تستنتج منه مايبدو لنا استنتاجاً بديهياً،فقد وصفت«الرحلة»رمح واحد من الأمراء المسلمين الأقوياء على أنه:«أثقل من اثنين من رماحنا»،في حين جاء في نص«التاريخ»:«لايمكن أن يعثر في كل فرنسا على رمحين أثقل منه»،ومن الممكن أن نلاحظ في هاتين الفقرتين أنه واضح تمام الوضوح في الفرنسية واللاتينية،أنه من غير الممكن تصور سوء تفسيرهما من قبل أي إنسان كان يعرف مافيه الكفاية ليترجم أياً من الفقرتين،لكن إذا كان كل واحد منهما قد اعتمد على أصل كان أقل وضوحاً،فان الخلاف يبدو على الفور مفهوماً.

وأوضحنا لدى بحثنا للاشارات الى أنغولاند وغارنيير دي نابولس أن

كاتب «الرحلة»اقتيد نحو الخطأ في ذكر الحقيقة،وهناك أخطاء أخرى مماثلة ظاهرة في روايته،فقد ذكر على سبيل المثال خبر مقابلة جرت فيما بين الملك رتشارد وتانكرد،عقدت في كاتانيا،التي قال عنها بأنها قامت في منتصف الطريق فيمابين مسينا وبلرم،ومامن واحد يعرف جغرافية صقلية يمكن أن يقع في مثل هذا الوهم،ذلك أن المدن الثلاثة قائمة على الساحل،وكاتانيا الى حد كبير واقعة الى الجنوب من مسينا،بينما تقع بلرم الى حد ما الى الغرب من مسينا،هذا ولم يذكر«التاريخ»مثل هذا الاجتماع.

ولعله أكثر إثارة الفقرات التي ذكر فيها رتشارد الثالوث المقدس،وأشار في ثلاث نقاط منفصلة عن بعضها بعضاً الى تراجع صلاح الدين الى الداروم،التي حدد موقعها في الجبال،كماوأشار الى نشاطه هناك،وفي إلقاء نظرة عابرة على أي خريطة يتبين أن الداروم ليست قائمة في منطقة هضبية بل موجودة على ساحل البحر،على بعد أميال كثيرة عن مسرح الأعمال المشار اليه في كل مكان من النص،وحدد أمبرويز بشكل صحيح وقائع كل واحدة من هذه الأحوال في النطرون،وكتب المحقق العالم«للرحلة»،طبعاً قبل اكتشاف التاريخ ماعبر فيه عن عدم رضاه عما جاء في النص.

وبالنسبة لما تبقى من خلافات فيما بين الروايتين نضيف هنا ثلاث نقاط يبدو أنهن لم يجذبن انتباه السيد ادواردز:فقد شارك ايرل أوف ليستر في أحد الاشتباكات حيث تعرض للضغط الشديد من قبل المسلمين الذين أحاطوا به من كل جانب،ولدى ذكر ذلك استخدم أمبرويز العبارة التالية: « Quil'avoilent entr'els noie»لتي بات فيها المعنى المجازي للفعل« noyer بديهياً بمرافقة entr'el »،ويبدو أن الكاتب اللاتيني أخذ الرسم الكتابي على أنه حرفي مع أن المتصارعين كانوا قد اجتازوا الجدول الوحيد الذي جرى ذكره في السياق،لأنه نقل الفكرة بكلمات لاتقبل تفسيراً آخر،بقوله:

- ١٢١٠ -

« In Ipso Flamin Profemodum sub mergerent»

وبعد وقت قصير انقضى إثر الحادث الذي تقدم ذكره تناقش قادة الفرنجة حول حكمة مهاجمة القدس، ونصح الداوية والاسبتارية والبوليان (البلديون)، الذين امتلكوا معلومات صحيحة حول الأوضاع المحلية، ضد مثل هذا الهجوم، لأسباب عرضها كلا الكاتبان في بعض التفصيل، وفي نهاية المناقشة قدم النص اللاتيني تأكيداً مدهشاً بأن مؤتمرهم وماتوصلوا إليه لم يصغ إليه بقوله:

sed adhuc consilium eorum non om nino eau-" ditura" مع أن كل شيء في بقية روايته يظهر بوضوح أن نصيحة المؤتمرين لم يصغ إليها فقط بل أخذ بها واتبعت أيضاً، ولايحتوي التاريخ على مثل هذا الذكر، الذي نعتقد أنه تأسس -مثل أمور أخرى- على سوء تفسير للنص الأصلي.

وفيما يتعلق بالروايات التي أتت على ذكر مرض الملك رتشارد التي قدمها الكاتبان نلاحظ بشكل غريب الحقيقة التالية، وهي أنه في حين حاول شماس الثالوث المقدس تشخيص سبب المرض، بشكل عرضي أدنى مما يقدم للمريض، اكتفى المغني الفرنسي وأقنع نفسه بذكر الأعراض، التي لم يشر إليها الكتاب اللاتيني لامن قريب، ولامن بعيد، ونقرأ ماورد في الكتابين كما يلي:

« Graviss imam Incunit aegritadinem,quae vuae vuigo Arnoidia voalur, exignotae regionis con stit-utione, cum eius naturali complex ione minus « òconcor dante

mais le reis Richar Ziert malades

Eaveit boche e levres Fades

D'une emferte que deu maudie

Qu'en apele leonardie

ويبدو من المعقول بالنسبة لنا أن الرواية الأصلية أتت على ذكر كل من الأعراض والأسباب المفترضة للمرض،في حين دون كاتبانا في نصينا المتبقيان لنا مااعتقده كل واحد منهما هو الأكثر صلة بالموضوع.

ولايمكننا ختم هذه الدراسة من دون دعوة انتباه القارىء للقضايا الكثيرة التكرار المتعلقة بالأعداد،فهناك حوالي عشرين حالة من هذا القبيل،أعطى الكتابان في إحدى عشرة منها أعداداً مختلفة،وفيها تبقى أعطى أحد النصوص عدداً في حين لم يعط الآخر شيئاً،أو اعطى أحياناً عدداً أكبر،ثم حدث أن انعكس الحال فأعطى الآخر رقماً أعلى،وفي بعض الأحيان كانت الفوارق ضئيلة،مثل في مسألة اسطول الملك رتشارد،حيث ذكر أمبرويز أن تعداده كان مائة وسبع سفن،في حين قال النص اللاتيني:مائة وثمان سفن،وجاءت الفوارق في بعض الحالات الاخرى هائلة،ففي الوقت الذي أكد فيه أمبرويز أن ثلاثة آلاف صليبي ماتوا من المرض ومن الجوع أثناء حصار عكا وبعد ذلك،جاء الرقم عند رتشارد الثالوث المقدس ثلاثمائة ألف،ومن الممكن تعليل بعض الخلافات على أساس أن الكاتبين،أو واحد منهما أخطأ في قراءة،أو لم يصب في تفسير،الأرقام الرومانية الموجودة في الأصل المفترض ،وفي حالات أخرى من الصعب رؤية كيف يمكن لهذا أن يحدث أو أن يكون ممكنا،ووجد المترجمون الحاليون أنفسهم مرغمين على الاعتماد على تعليل أن أحد الكاتبين-أو هما معا-لجأ الى المبالغةأو الاختصار والتقليل في الأعداد في مختلف النقاط لأسباب تعلقت به شخصياً.

وتؤيد البينة التي استخرجها السيد ادواردز ونحن أنفسنا أن الكتابين موضوع البحث صدرا عن صيغة عامة اتخذت أساساً،ونعتقد أننا على

الرغم من أن دليلاً واحداً من المواد لايكفي بنفسه لتأكيد هذه الفرضية،إن العدد الكبير من المعطيات تشير بالاتجاه نفسه وتشجع على اتخاذ فرضية قوية،ولنعرض القضية من وجهة نظر أخرى تختلف بعض الشيء:نحن رأينا من المتعذر الدفاع عن نظرية أن«تاريخ الحملةالمقدسة»كان مصدر«الرحلة»-كما اعتقد غاستون الباريسي-أو أنه صدر عن«الرحلة» حسبما اعتقدت الآنسة نورغيت،ومامن واحد يمكنه القول ولو للحظة واحدة إن الكتابين مستقلين عن بعضهما،وحتى نحسم الأمور نصل الى محصلة تفيد أن نظريتنا تقدم الشرح الوحيد الممكن للحقائق.

ولابد أن تبقى طبيعة الاصل المفقود مسألة خاضعة للنقاش،وعند السيد ادواردز سببه للاعتقاد أنه قد كتب بالفرنسية،وربما نثراً،وأسبابه التي اعتمدها جيدة بما فيه الكفايةلاقتراح مثل هذه الفرضية،لكنها غير كافية لبرهنتها،ونحن على العموم نميل للاتفاق معه،ونود أن نضيف لما قاله حقيقة مفيدة وموحية في أن عدداً كبيراًمن أسماء الاعلام التي ظهرت في النص اللاتيني«للرحلة»وشطراً كبيراً منها كتب بالصيغة الفرنسيةوليس بالصيغة اللاتينية،وهي الصيغة المفترض ظهورهم فيها لو أن الأصل بذلك اللسان،واذا صح بالفعل وكان النص نصاً فرنسياً قديماً تاريخياً،فهو يشكل نقطة علامة في الأدب،على أساس أنه أول قطعة كتابية نثرية كتبت باللغة الفرنسية،تقدمت بتاريخها بعض الشيء على رواية ذيل تاريخ وليم الصوري وبزمن معتبر على رواية فيلهاردين التاريخية.

السمات الأدبية للشعر

إذا كنا محقين في اعتقادنا بوجود أصل مفقود، كتب — كما هو محتمل

— بالفرنسية، وعنه صدر نص الشعر الحالي، لابد من الوصول إلى محصلة واحدة: لقد سار مؤلف «تاريخ الحملة المقدسة» على خطاه عن قرب وقلد نمطه، ولايسمح التشابه القريب بين «التاريخ» و«الرحلة» باستنتاج آخر، وهكذا إن أي تقدير للمحاسن الأدبية للشاعر الذي نمتلك بالفعل كتابه لابد من إعطائها إلى أبعد الحدود إلى الرجل الذي استقى منه مواده، وبما أننا غير قادرين على تثمين الكتاب الذي لانمتلكه الآن، علينا أن نرضي أنفسنا بتقدير الشعر الذي وصل إلينا، وليس بمقدورنا أن نقرر فيما إذا كان كاتب المخطوطة الموجودة في الفاتيكان هو أو سلفه الذي حمل اسم أمبرويز، لكن من أجل تسهيل العمل استخدمنا ذلك الاسم في تعليقاتنا بمثابة إشارة إلى الرجل الذي كتب الحكاية أولاً، وفي الوقت الذي نؤسس فيه ملاحظاتنا على اسلوب ومحتوى النص الحالي، نحتفظ بالقول إن هذه الملاحظات قد تكون أكثر صحة في وصفها للشخص القائم في الظل الذي زود جهده النص بمادته وقضيته.

وعرض غاستون الباريسي مجموعة من الأسباب الرائعة للاعتقاد أن الشاعر لم يكن نبيلاً ولاكاهناً أو عسكريا، لكنه كان مع جميع الاحتمالات شاعراً محترفاً أو مغنياً جوالاً التحق بجيش الملك رتشارد، وأكدت الأبحاث المستفيضة الفرضية القائلة بأنه جاء من إفرو، وهي مقاطعة في نورماندي، التي أضفى على فرسانها ورجالها المسلحين مدحاً خاصاً لشجاعتهم وثباتهم، ولأن أمبرويز كان واحداً من «الرعايا الأدنى مكانة» بين ذلك الحشد، استطاع أن يعطينا رواية بمثل هذه القيمة، احتوت ليس فقط على ذكر ما حدث، بل على الخلفية العقلية والروحية للأحداث، فقد صور نفسية الصليبي مع جميع أمراضها الغريبة في الفوضى والتسيب، ونادراً ماوصل إلى بلاغة أعلى مما فعله لدى وصفه لسرور الحشود لدى ربحها لمعركة ما، أو لدى تقدمها نحو القدس

واقترابها منها، أو من تصويره لحالة اليأس التي ألمت بالحجاج عندما وجدوا أنفسهم مرغمين على الانعطاف عائدين من المدينة المقدسة، ولقد تقبل الأسباب التي أعطاها رتشارد لرفضه الزحف على القدس وانتقد الذين تعارض موقفهم مع موقف سيده، ومع هذا بكى من أجل القرار الذي أغلق الطريق على الحجاج للوصول إلى الضريح المقدس.

وهو لم يكن عضواً في مجالس اجتماعات قادة الصليبيين، مع أنه روى في بعض الأحيان تفاصيل مناقشاتهم بتأكيد وثقة الذي كان مشاركاً بهم، وهذا ليس بذي أثر عظيم على أي واحد يعرف كيف تأخذ الاشاعات المزيفة والأقاويل المبهمة مكان التوثيق في أي جيش، وكيف تنتشر بين صفوفه عاليها ودانيها، ولاشك أن تحريض الكاهن للملك رتشارد وحثه على أن يتذكر ماضيه الشهير وأمجاده قد نشأت وراجت من خلال حكايات تداولها الناس في المعسكر حول تهور انسان تجرأ على هذه الصورة على مخاطبة قلب الأسد، فضلاً عن هذا يحدثنا أمبرويز عما جرى داخل اطار مجالس صلاح الدين الحربية بالتأكيد نفسه والثقة ذاتها التي ميزت أوصافه لما قاله قادة الفرنجة وفكروا به، ومما لاشك فيه أن الخطابات المعزوة إلى أمراء المسلمين لاتعدو مجرد ماتخيله الفرنجة ورغب فيه تفكيرهم، فصوروا أمراء المسلمين وهم يقولون الأشياء التي —برأي الجيش الصليبي — توجب عليهم التفكير بها وقولها.

ولم يشر أمبرويز إلى نفسه قط وهو يشارك في القتال، وأكد مع هذا أنه زحف مع فوج الحجاج الثاني الذي زار الأماكن المقدسة بعد ابرام الهدنة مع صلاح الدين، وحدثنا عن انفعالاته وهو يسير شخصياً على الطرقات التي سار عليها المخلص، وفي لحظات ذروة الانفعال هذه أو انعدام الانفعال في حياة الصليبيين تحدث بإخلاص واستقامة الانسان الذي شهد الحدث، ثم إن هذا الاخلاص نفسه، وكذلك لهجة شاهد العيان، نراها منتشرة وظاهرة في معظم أجزاء الكتاب، وهي تعطي القارىء قناعة

قوية أنه يصغي إلى إنسان يعرف مايتحدث حوله.

وفيما يتعلق بلهجة الاخلاص، نجد أن عمل الشاعر — مع هذا — ليس دوماً متساوياً بسماته، فلصفحات طوال نراه مع كثير من الهدوء، يسير بخطى وئيدة، ويعرض صف حقائقه بمثابة مسألة حقيقية، بدون أي حماس، أو انفعال أو حرارة شاعرية، بل يتكلم ببساطة وبشكل مباشر، وبثقة، لكن بدون التصلب الملكي الذي جعل من نشيد رولاند شيئاً رائعاً جداً، ويعطينا بنظم مزدوج (دوبيت)رواية مباشرة للأحداث، بلا زيادة أو نقصان، وتدفقه الخيالي خفيف، ونادراً ماتجاوز اطار شعراء التروفير Trouvereللعصور الوسطى، ولقد ردد العبارات المعتادة مثل القول: غطت الأسهم والرماح أثناء القتال الجو وملأت الهواء مثل ثلج ثقيل متساقط في الشتاء، وطارد المنتصرون المهزومين مثلما يطارد الذئب قطيعاً من الغنم لاحول له ولاطول، ولم يتجاوز شاعرنا حدود هذه الجمل وطرائق التعبير.

وتبدو أوصافه لمشاهد القتال محملة بعض الشيء بالنسبة للقارىء المعاصر، مع أن الشاعر بث من خلالهم وباح، كما هو واضح، بشيء من المتعة السادية، التي كان الكاتب في العصور الوسطى يستقيها من تحرك صور أحداث الفيضان وأرض المعركة، وعلى المرء أن يلاحظ بكل بساطة أنه لدى قتال انسان لآخر على أرض المعركة يتشابهان، وتكون هناك الأعلام التي تخفق في الهواء، والسلاح المشرق، وغيوم من النبال والنشاب، وحملات بلا توقف وضربات قوية وشديدة، وأكوام جثث القتلى، ومع جميع هذه الأمور استطاع الشاعر أن يعطي صورة شفافة ويفترض أنها صحيحة حول التكتيكات وتعبئة القوات وتقلبات تيارات القتال وحظوظ النجاح، ولاتخلو هذه الصفحات من الحيوية، ثم إنها ليست بدون قيمة بالنسبة للمؤرخ العسكري الذي يمكنه أن يقرر الحقائق بقليل من الجهد، والذي افتقد إليه هو شعور التصور الصحيح،

فعلى سبيل المثال أخذ وقوع اشتباك صغير شارك به من على الطرفين عدة عشرات من الرجال فقط عند أمبرويز في روايته كل العظمة والتفخيم التي أخذتها معركة أرسوف وإعادة الاستيلاء على يافا، وسلبت أعمال التكرار التي ظهرت في الرواية هذه المناوشات من أهم سماتها المثيرة.

ولم يكن أمبرويز رحالة صاحب ملاحظات خاصة، وأوصافه لطبوغرافية ومناخ وعمران البلاد التي يفترض أنها كانت جديدة وغريبة بالنسبة له، أوصاف ضئيلة نسبياً، وقد أتى على ذكر بعض الأماكن التي زارها في القدس، وروى لنا بعض الحكايات الأسطورية حول أسوار وأبراج عسقلان، وقدم هنا وهناك بعض التفاصيل العرضية التي استقاها من الأساطير الشعبية أو من أناشيد الأعمال، لكن في هذا المجال لايمكن مقارنته مع روبرت دي كلاري الذي جمع معلومات ثرية حول الأشياء الرائعة التي رآها في القسطنطينية، وصحيح أنه ذكر حر الصيف والغبار والحشرات السامة والأمطار الغزيرة، لكن أمبرويز أتى على ذكر هذا كله عرضياً فقط، ومجرد خلفية كافحت ضدها الدراما الشخصية للصليبيين، ويشعر الانسان أن هذه الأمور شغلت في ذاتها قليلاً من اهتمام المؤرخ، على أساس أنها كانت قزمة أمام ما عنته العظمة الروحية للمغامرة.

وعلى كل حال كان بإمكان الشاعر أن يكون دراماتيكياً وحيوياً، وأن يحيك ذلك في حكايته في أبيات سريعة وبارعة، ويحيطها بحزم أرجوانية ملطخة بنار الايمان والسخط، فهكذا كانت على سبيل المثال روايته عن سقوط جسر الرون، وعن الاستسلام المذل لاسحق صاحب قبرص، وبطولة جاك دي أفنس، واغتيال كونراد أوف مونتفرات، وأبيات الهجاء التي قذف بها نحو كونراد لترفعه وابتعاده عما اعتقده أمبرويز أنه طريق الصواب، وفي وصفه لزحف الحجاج خلال فرنسا وهم على طريقهم نحو ساحل البحر واستقبالهم من قبل الشعب حيوية مدهشة وعواطف

شجية.

ومع أنه لم يكن رجل دين، قلة من رجـال الدين تفوقوا عليه في صدق تكريـس نفسه للقضية الصليبيـة، وهو تكريـس فيه كل الأحكـام المسبقة لروح تقية سـاذجة، ولقد شارك بشكل طبيعي بما فيـه الكفاية بما راج في الأوسـاط العامـة في العصور الـوسطى مـن أن الكافـر يعاني أسـاساً مـن خطيئة وشرور عـدم التعميد، وهـذه فكرة رددهـا نشيد رولانـد على شكل صيغة مقـررة بأن «المسيحية هي الصـواب والكفر هو الخطأ»، وبنـاء عليه كل مافعلـه المسلمون هو شر، باستثناء ماحـدث في بعض الظروف ـ وهي لسـوء الحظ كثيرة ـ التي اختارهم الله فيها ليكونوا أداة عقاب للمسيحيين الفاسدين الـذين ضلوا وابتعدوا عن سبل الصواب، لكـن على الرغم من هـذا كله لم يستطـع الشـاعـر أن يقمع اعجـابـه ـ رغماً عنه ـ ببراعتهم في الحرب وشجاعتهم، وبفروسيـة صلاح الدين وأخلاقه، ولقـد أسف لكون هذا الرجـل لم يكن مسيحياً، «فلو أنـه لم يعبد أرباباً مـزيفين (كذا) لكان انساناً لامثيل له».

القيمة التاريخية لأمبرويز

أما وقـد قدمنا أسبانـنـا للحكم بأن «الرحلـة » و« التاريخ » قد قـاما على أصـل عام مفقـود، سنـأخذ حـريتنا في هـذا المقـام لاعتبار الكتـابين بمثابـة كتاب واحـد، ولأن نحاول تقديـر القيمة التاريخيـة للأصـل،الذي دعوناه اعتبـارياً ومن أجل تسهيـل العمل «أمبرويز»، وأظهرنـا من خلال مـلاحظاتنـا التنوع والخلافـات بين «التاريـخ» و«الرحلـة»، ومن الممكـن تلخيـص ذلك بـالقـول إنه في حين أن «الـرحلة» بشكـل عـام أكثر دقـة بالنسبـة للعرض التـاريخي، وأعظم صحة بـالنسبة لأسماء الأعـلام، هناك

عـدة حـوادث أعطيـت بتفـاصيل أفضـل في «التـاريـخ»، إنما كـوثيقتين تـاريخيتين لهما المكانـة نفسهـا، وسنحـاول هنا البحـث في قيمـة روايتيهما مقارنة بمصادر أخرى مستقلة.

وكما بينا من قبل، لايمكن عد أمبرويـز أفضل مصدر منفرد حول جميع أحـداث الحملة الصليبيـة الثالثـة، لكنه بـدون شـك ومؤكـد أنه أفضـل مصـدر لصليبيـة رتشارد، وقـد جـرت معـالجة الأحداث التـي جـرت في سـوريـة وقـادت إلى الحملـة الصليبيـة،بشكـل واسـع ـ لكن ليس بدقة وصحـة كـاملـة ـ من قبل التاريخ، في حين نجد «الرحلة» التي اعتمدت على «كتاب ذيـل تاريخ وليـم الصوري»، أكثـر تفصيلاً، لكن ليـس أكثر موثوقية، ولعل أفضل رواية كـاملة حول الحملة الصليبية الثالثة وردت في مصدر واحد هي الرواية التي نشرت قـديماً تحت عنوان «تاريخ هرقل» ثم أعيد نشرها فيما بعد بـاسم «ذيل تاريخ وليم الصوري»، وتقـدم لنا معرفة أن هذا الذيل قـد كتب بالفرنسية القديمة، وكان أمبرويـز قد حذف كلياً أخبار حملة فردريك بربروسا، وقد أوليت هذه الحملة بعض العناية الأكبر من قبل الرحلة، حيث جرى استمداد عـدة فصول من كتاب ذيل تاريخ وليم الصـوري، وكان هذا أكثـر مما تلقاه «التاريـخ»، ومع ذلك «التـاريخ والرحلـة» معاً مختصرين تمامـاً، فضلاً عن هـذا جاءت رواية أمبرويـز عن فيليب أغسطـس عرضية ومتعلقة بصليبيـة رتشارد قلب الأسـد، وواضح أن معلـومـاتـه عـن قبرص ـ بصرف النظر عن تفاصيل الاستيلاء عليها ـ خفيفـة جداً، ومـع هذا لم يقـدم أمبرويـز أفضل روايـة عن الحمـلات في فلسطين، ولاعـن القتال في مسينـا ولافي قبرص، وكذلـك الأحداث التـي وقعت في المعسكر أمام عكا.

ليس في نيتنا هنا القيام بتحليل تاريـخ أمبرويز بالتفصيل، لكن مقارنة مختصرة جداً لهذا الكتاب مـع مصادر رئيسية أخرى عـن الحملة الصليبية الثالثة تضيف إلى تقـديرنا للأهمية التاريخيـة لمؤرخنا، وعلى رأس الروايات

الغربية ماجرى تدوينه في كتاب «هرقل» وفي «جستا ـهوفدن» (الذي هو بـالفعل نفسـه) ولدى ديسيتـو، وديفايـز Devizes، وريغورد Rigord ، وفيها يتعلـق بما جرى أثنـاء حصار عكـا مـع الأحداث التـي وقعت قبـل وصـول رتشـارد، مـن الممكـن أن نجد معلـومـات اضـافيـة في روايـات هيماروس Haymarus، ولبللوس Libellus أما فيما يختـص بالمصـادر المشرقية: يتصدرهـا بالأهمية (العماد الأصفهاني) وبهاء الديـن،وهناك أيضاً المواد الإضافيـة لدى ابن الأثير وأبـو شامة. وابـن خلكان وأبو الفـرج ابن العبري، وأمـا بشأن الخلفيـة التاريخيـة السوريـة فلبللوس وهـرقل لـديهما المعلومات الأكثر أهمية، ويظهر أمبرويز في أسوأ أحواله في هذا المقام، غير أن أمبرويز هـذا أقر صراحـة أن ماأخبرنـا به عـن هذه الأحـداث، تعرف عليه من كتابات الآخرين، وهـو لايمتلك معلومات شخصية حول ذلك، أما تلوينه لروايته بأحكامـة الشخصية المسبقة، فأمر سوف يجري بحثه فيما يلي، لكن لابـد من الاعلان هنـا أن أمبرويز ليـس المصدر الذي يتـوجب على المرء الالتفات إليه للحصـول على المعلومات حول التـاريخ الداخلي لمملكة القدس.

كما أن أمبرويز ليس الأفضـل للاعتماد عليه من أجل التأريـخ لرتشارد في فرنسـا وانكلترا قبل الحملة الصليبية، ذلـك أن مواد ديسيتو، وذيفـايز، وجستـا ـهوفدن فيها الكثير من المزيد من التفاصيل عما حدث في الغرب، وهي مصـادر أفضل حـول كل من الاستعـدادات للحملة الصليبيـة ومن أجل الحوادث التي وقعت في فرنسـا وانكلترا في أثناء غياب رتشارد، لكن بالنسبـة لزحف الصليبيين والحرب في صقليـة يحتل أمبرويـز المقام الأول في الأهمية، فهـو هنا قـد كتب حول مـارآه شخصياً، ومـامن مصـدر آخر روايته مثل روايته مشرقة وفيها حيوية، وروايـة هوفدن مليئة أكثر وفيها دقة أعظم بالنسبة للتـأريخ، لكن هذه الرواية تفتقر إلى نقـاوة أمبرويز وحيوته، وكتب هـوفدن اعتماداً على مصـادر مكنته من نقـل نصوص المعـاهدات،

والأوامر، والقرارات التي اتخذت في المؤتمرات، وهذه معلومات افتقر إليها أمبرويز، وصحيح أن هوفدن أكثر دقة، لكن أمبرويز أكثر حيوية بشوط واسع، فالغابة قد لاتشاهد بوضوح تام، لكن الأشجار أعظم تميزاً، وأوراقها أعظم اخضراراً.

ويقدم لنا أمبرويز الرواية الأفضل تفصيلاً فيما يتعلق باحتلال قبرص، وهنا تحتوي الرواية المدونة على صورة أعمال يحتمل أن أمبرويز قد شارك فيها شخصياً، أو على الأقل رآها تحدث من حوله، وهو صحيح لم يعرف التنظيمات التي وضعها رتشارد من أجل ادارة الجزيرة، الأمر الذي زودنا به هوفدن، لكنه قدم لنا رواية أكثر إثارة حول القتال وحول أسر إسحق.

ومجدداً اعتمد أمبرويز فيما يتعلق بأحداث حصار عكا، على معلومات الآخرين، ولدينا هنا بوضوح حكايات حوادث تناقلها الناس من خيمة إلى خيمة، والترتيب التاريخي في هذا الجزء لدى أمبرويز مضطرب كثيراً، وهناك ترتيب ضئيل لتسلسل المعارك، لكن آفاق الأفراد، ومعاناة الحشد، وأفراحه، وترح الحجاج ويأسهم، رويت بحيوية ودرامية، وتحسن السرد التاريخي لديه بعد وصول رتشارد، وتعادل رواية أمبرويز حول نهاية الحصار الروايات الأخرى.

وصحيح أنه حذف كل المناقشات الهامة ذات التفاصيل الكثيرة، التي نتعرف إليها من المصادر الأخرى، ولعله فعل ذلك لأنه اهتم فقط بتلاوة أعمال رتشارد والأحداث غير المرتبطة بهذه الأعمال، والتي تبعده عن هذه الغاية المفردة هي حتى أقل وروداً في «التاريخ» منها في «الرحلة»، أما رحلة فيليب لدى عودته إلى الوطن فقد تلقت كثيراً من العناية من قبل هوفدن في حين أنها حذفت كلياً من قبل أمبرويز، ذلك أنه اهتم برواية أخبار أفاعيل رتشارد قلب الأسد، ولم يهتم بالأفاعيل الأدنى للأناس الذين رآهم أقل مرتبة، وقدم كل من هرقل وليبللوس وهيماروس روايات أكثر صلة بالحصار بشكل عام، لكن أمبرويز تفوق عليهم بما تعلق

بالشأن الشخصي الخاص.

وأمبرويـز في قصته عـن حملة رتشـارد في فلسطين فـريد ورائع، وفقـط شابهه بهاء الـدين في ايقـافه نفسـه على أعمال بطله فقـط، ولديـه يمكن للمرء أن يجد روايـات جيدة عن معـارك الحملة الثـالثة، وجرى مـن قبل أمبرويز تـدوين تفـاصيل الزحـوف والمعارك، والصراعـات البطوليـة ومتع وآلام الحجاج عنـدما ابتسـم لهم الحظ أو قطب، بشكـل متدفـق وحيوي ومتعاطف، ولم تكن المبـاحثات من أجل الهدن معلومة لـديه وبقي جلها غير مذكـور عنده مـالم تكن المعلومـات قد أصبحت معـروفة ومتـداولة في أرجـاء المعسكر، فلقـد كـان أمبرويز مجرد واحـد مـن بين حشد الحجـاج الـذي سار إلى حيـث قاده أميره، دون أن يعـرف لماذا، وفقط كـان يتوقـع شيئاً مـا حول الـدوافع التي دفعـت نحو القـرار المتخذ، ولقـد شرح مثل هذه القـرارات ببساطة وسذاجـة، وكانت الخيـانة، وسوء الثقة، والأنـانية تلقى لديـه قبولاً أعظم من الأسباب المعطاة حـول الأحوال والاستراتيجية التي حركت القادة.

ولاحظنـا أن أمبرويز قـد لون روايتـه كلها بتحـاملة الشخصي القـوي، فلقد كتب بمثابة واحد كرس نفســه في سبيل الولاء لرتشارد ولجميع رفاق رتشارد وحاشيتـه، وملاحظ هذا بشكـل خاص في معالجته لما تعلـق بغي لوزغنان وكونـراد أوف مونتفرات، وهناك اتجاه قوي جداً للقـول بأن جميع رواياته عـن تاريخ القدس قبـل بداية حصار عكـا هي شبه مزيفـة، فقد حصـل أمبرويز على معلـومـاته كلهـا حول تلـك الأحـداث من مصـادر ثـانويـة، وكليـاً كما يبـدو من الموالين لغـي، وهـو لم يفهـم قط نفسيـة أو مشاكـل الفرنجـة السوريين، ولقد عبر أمبرويـز تماماً عـن ميول الصليبيين الغربيين في معاكسـة وتضاد لميول الفرنجـة المستعمرين في سوريـة، وكان المسلمون بالنسبة لهم جميعاً «قطيعاً مـن الكفار»، وعبر عن متعة سادية في وصف قتلهم وسوء حظهـم، ومع هذا كله أتى على ذكر بعـض وقائع كرم

صلاح الدين وأخلاقه الرفيعة، وكذلك سيف الدين، ولم يتحدث عنهما بانشراح وإطراء، وبعاطفة ومشاعر تقوى استنزل لعنات الرب ضد جميع المسلمين، هذا ولم يأت على ذكر حوادث إعجازية، كما أنه لم يدون حكايات تعلقت بتدخلات للقديسين لصالح جيش الفرنجة كما فعل بعض مؤرخي الحملة الصليبية الأولى، ولقد رأى في معاناة الفرنجة أدلة على غضب الرب تجاه الأعمال الفاسدة للناس، وكانت محن القدس بالنسبة له نتيجة مباشرة لعدم تقوى سكانها.

وبالمقارنة مع أمبرويز علينا أن نتفحص مواد ذيل تاريخ وليم الصوري، التي كانت تنسب من قبل لأرنول وهرقل، فقد كتب الذيل من قبل فرنجي بلدي من فرنجة سورية، وقد مثل الفرنجة «المستعمرين» في تميزهم عن «الصليبيين البحريين الوافدين»، فهؤلاء لم يوافقوا أمبرويز على وجهة نظره، وخالفوه في تفسيرهم الإجمالي للحوادث التي أدت إلى قيام الحملة الثالثة، ففي الوقت الذي كان المسلمون فيه الأعداء بالنسبة لهم، لم يوجد بينهم مطلقاً نوع الكراهية العنصرية التي توفرت في مشاعر الكتاب الغربيين وظهرت في كتاباتهم، فقد كتبوا عن المسلمين مثل انكليزي كتب في تلك الأثناء عن الفرنسيين، أو مثل كاتب انكليزي كتب في العصر الحديث عن الايطاليين في بداية الحرب الكونية الثانية، وقال عنهم: «جيران معادون فيهم مافيه الكفاية من الشرور، لكن لديهم بعض الفضائل»، ولم يراقب الفرنجة الشرقيون تقلبات حظوظ الحرب بالحرارة نفسها التي شعر بها الفرنجة الوافدون، ولم يشمتوا تجاه محن المسلمين الذين قتلوا في المعارك مثلما فعل أمبرويز.

وعرف هؤلاء الفرنجة البلديون شخصياً الوضع في الشرق، وحكموا على الأحداث من وجهة النظر السياسية، وآثروا في قراراتهم مصالح مملكتهم وفضلوها على التعصب للصليب، فهؤلاء الرجال كانوا يدركون نتائج الأحداث والتوريطات، ولذلك كان كل من ريموند صاحب

طرابلس وكونراد دي مونتفرات بطليها في رواية الأحداث، وليسا نذلين، لكنهما ظهرا لدى أمبرويز خائنين منحطين ومتآمرين شريرين بسبب أحكامه المسبقة ومعلوماته السقيمة، وعندما يدرس المرء الاجماع الذي أبداه بارونات الفرنجة البلديين —الذين امتلكوا الجزء الأعظم من الأرض— في تأييدهم لريموند وكونراد، ثم عندما يتفحص بدقة أخبار حزب البلاط في ظل غي وأرناط، وينسى الأحكام الدينية والمواقف المسبقة، ويقدر المتطلبات السياسية فقط، لايمكنه إلا وأن يدرك أن ريموند وكونراد قد مثلا الحزب الذي ضم أفضل العناصر التي وجدت في مملكة القدس وقاداه، في القدرة وصواب الرأي والبصيرة، ولعن أمبرويز كونراد لتحويله المؤن من المعسكر أمام عكا إلى مدينة صور التي كانت تحت حكمه، وهنا هو لم يقدر مطلقاً حقيقة أن الدفاع عن صور كان ينبغي أن يحتل المقام الأول في اهتمامات الفرنجة البلديين، الذين كان برأيهم حصار عكا مغامرة لديهم أمل قليل بنجاحها، في حين كان الحفاظ على صور يشكل الركن الأساسي في الدفاع عن المملكة، ونسي أمبرويز، أو أنه لم يعرف أن اللاجئين من جميع المدن التي استولى عليها صلاح الدين كانوا في صور، ولقد تجاهل حقيقة أنه على صخرة مقاومة كونراد في صور تحطمت موجة الفتح الاسلامي، وقد أدان بمثابة خيانة المباحثات مع صلاح الدين من أجل الحفاظ على جزء من المملكة بمثابة دولة تابعة، لكن ليس لديه أي نقد لرتشارد عندما عرض هذا الملك فيما بعد الشروط نفسها تقريباً على السلطان، عندما أدرك استحالة اعادة الاستيلاء بشكل كامل، وكثيراً ماعبر غي دي لوزغنان عن عدم كفاءة سياسة وعجز عسكري، ولم يثق به لوردات سورية ورفضوا القبول بقيادته، وهم بالحري وثقوا بكونراد الذي برهن على بسالته في صور، لكن لم يخطر ببال أمبرويز قط أن لوردات الفرنجة السوريين كانوا سوى خونة وزائفين عندما أيدوا الحزب المعادي لرتشارد، كما أنه لم يدرك أن فيليب اغسطس قد أظهر فطنة سياسية كبيرة عندما أيد المركيز أكثر من رتشارد

عندما ساعد غي، وإذا ما اتخذنا بينات معاملة رتشارد لأخيه جون ولبعض الذين أنابهم عنه، في سبيل الحكم على تاريخ حكمه، نجد عجز الملك في الحكم على السمات أو على الكفاءة، ولم يمتلك أمبرويز شكوكاً من هذا النوع، أو أنه كما يبدو لم يشعر بأي تناقض لافي أرائه ولافي سياسة بطله عندما قبل مؤخراً بكونراد ملكاً على القدس، فقد تحول الشرير فجأة إلى حليف البطل وتم الاعتراف به من قبل الجميع على أنه أحسن رجل للمنصب الذي رشح إليه، وبين ليلة وضحاها غدا المركيز الزائف المرشح المفضل للعرش، ودوّن أمبرويز هذا التبديل بالمواقف الذي قبله رتشارد بعدما تطورليعرف حاجات البلاد،واستحالة الاستمرار في تقديم التأييد للوزغنان المنعدم الكفاءة والذي كان بلا شعبية، دوّن ذلك كله دون تقديم كلمة واحدة للشرح والتفسير.

وينبغي أن نتذكر أنه خلال تاريخ الدول الصليبية،كانت هنالك حوادث كثيرة كان فيها الفرنجة البلديين أفضل قدرة في معالجتها مع جيرانهم المسلمين،أكثر مما كانوا مع حلفائهم المسيحيين من الغرب،فعندما عرض كونراد التبعية على صلاح الدين،كان يفكر في انهاء الحرب التي كانت مستعرة في البلاد من دون أدنى فرصة بالنجاح،ولقد أدرك أن تبعية مشرفة مفضلة على مملكة مدمرة شعثتها سنوات من الحرب الممحلة،وفي النهاية تقبل رتشارد هذا الرأي،ومن المؤكد أن عروض كونراد لم تكن خيانية أكثر من اقتراحات رتشارد في أن يعاد بناء مملكة القدس بمثابة مملكة تابعة،يقدم ملوكها الولاء لصلاح الدين،ويزودوا جيشه بالعساكر وقت الحاجة وحسب الطلب،ولاسيما عندما نتذكر أن اقتراحات رتشارد قد تضمنت أن تتزوج أخته من سيف الدين،وأن تمنح المملكة لهما اشراكة معاً.ولم يكن رتشارد أحمقاً،ولقد تعلم أثناء الحملة في فلسطين الكثير ،فلقد اكتشف استحالة اعادة استيلاء كاملة للمملكة،وتوصل الى ان يدرك ان حزب البارونات كان يعرف ماذا

يجري وماذا يـريد عندما فضـل كونراد،وتطـور ليقدم إمكانية الـوصول الى اتفاقـات مشرفة بين رجـال انتموا الى عقـائد مختلفة،وطـور رتشارد الميـول الاستعمارية،فقـد كان هـو نفسه فارسـاً،ومعلماً في فن الحرب،كما أنـه كان قـادراً على إدراك هـذه السمات لـدى خصمه العظيـم،ولم يكـن أمبرويـز قادراً قـط على تعلم هذه الأشيـاء فهو قد تقبـل قرارات ملكه بـالتسليم الأعمى وبدون سؤال.

وعلى الرغـم من أحكام أمبرويـز المسبقة،وانحيـازه الكامل،وكـل تقواه وتعطشـه للدمـاء،وكذلـك على الرغـم مـن التكرار الملحمـي في رواياتـه والمبالغـات،سيبقى مع هـذا كتاب أمبرويـز الحاوي للرواية الأفضـل من سواها حول صليبية رتشارد،وأهـم وثيقة موجودة تكشف عقلية الصليبين وتعبر عن نفوس هؤلاء الـرجال الذين رموا بأنفسهـم قلباً وروحاً في حرب مـأساويـة مخفقـة،وتحملوا المشـاق والاحبـاطات مـن أجـل هدف دينـي ومعنوي،و«التاريـخ»أكثر من هذا كله،إنه الملحمـة والنشيد،وكتاب أعمال واحد من أعظم الشخصيات المسيحية رومانسية وتدفقاً بالحياة.

صليبية
رتشارد قلب الأسد

-١٢٢٨-

الفصل الأول

التبشير بالحملة الصليبية الثالثة

الذي لديه حكاية طويلة ليحكيها
لابد أن يحتاج الى العناية الفائقة والجيدة
خشية أن يبدأ فيأخذ على عاتقه
مهمة لا يمكنه القيام بها بشكل جيد
لذا عليه أن ينصرف جيدا نحو مهمته
حتى يصل بها إلى نهاية جيدة
ولهذا ولكي لا يكون حملي جداً
ثقيل ، سأبدأ بدون ضجيج
عملي وسأوقفه بسرور
على قضية جديرة بالرواية
رواية أخبار الاضطرابات المحزنة
التي أثرت بنا بشكل مباشر
في سورية في السنة الماضية
حيث كلفتنا حماقة قادتنا غالياً جداً الأمر الذي لا يستطيع الرب أن يفعل أكثر

- ١٢٢٩ -

من أن يجعلنا ندرك بحرقة :
في فرنسا ، وكذلك في نورماندي
وأيضاً الأمر نفسه في خلال ديار المسيحية كلها .
حيث المحصلات كانت كثيرة أو لا شيء
جُعلنا في وقت قصير نشعر
أن الصليب الذي له جميعاً نركع
والذي صار آنذاك في يد كافرة
انتقل الى يد أخرى
غير التي اعتاد أن يكون في حفظها
حيث الرب أنكر أن يولد وأن يموت ....
وعن الهيكل المقدس والمشفى
حيث سقط كثيرون بأسى وأسف
والضريح حيث وضع الرب
وحيث عنده غفرت الذنوب
و إلينا لم يعد يقال ذاك ذنب
غير أن الرب الذي رغب مجدداً في ربح
شعبه الذي من أجله باع دمه
لكن الذي في الخدمة لم يقترف شيئاً تعرض
لمأساة ذات وزن مرعب

- ١٢٣٠ -

وحلّ الويل بالناس صغيراً وكبيراً
في خلال العالم أجمع والأمير والفقير
نادراً ما عرفا أين يمكن أن توجد الراحة
ولم يعد هناك سرور بالكلمة أو باللسان
ولم يعد الرقص ، يسكت الأغنية
ويسكت السرور ، ويسكت المرح
مرح الشعب المسيحي في الأرض كلها
حتى بابا روما ، الذي من خلاله
أنقذ الرب كثيراًمن الناس من الهلاك
(كان الثامن من الذي دعي غريغوري
هكذا روي في التاريخ) (غريغوري الثامن من تشرين أول — تشرين ثاني ١١٨٧)
أعلن نعمة من الحاكم القدير
في سبيل الرب ورغماً عن الشيطان
أنه سيتولى غفران جميع الذنوب
للذين سوف يتولون قتال أعداء السماء
للذين ضلوا عن الحقيقة نفسها
للكبير ، وإلى ملك الصدق النبيل
ولهذا ، ولعدد كبير من الكونتات والملوك
ولرجال آخرين تجاوز وا العدّ والاحصاء

أخذوا ، حتى تتبعوا أوامر الرب
الصليب ، وطلبوا الأرض المقدسة .
لأخذ الصليب لم يكن هناك نقص
من رجال من المراتب النبيلة والأصالة .

رتشارد يأخذ الصليب

كونت بواتو الشجاع
رتشارد ، لم يتأخر مطلقاً
عند سماعه حاجة الرب ، وخسارة الرب
وحباً بالرب أخذ الصليب
وكان هو الأول بين نبلاء الناس
من أراضينا على هذا الجانب من البحر .
ثم في خدمة الرب اتخذ الملك
موقعه ، وبذل جهداً كبيراً ، ونفقه عظيمة .
وما من أحد ليشتري ميراثه
ولكي لا يتأخر الحج المقدس
كل انسان ، الشيخ والشاب سواء
اعتاد أن يبدي صدق أسارير قلبه
كما واعتاد على أن يظهر أسفه ويعلنه
وأن ينتقم من أجل العار

- ١٢٣٢ -

الذي أنزل بحق المولى الرب
وعلى الرب الذي لم يقترف خطئاً
لأن أرضه قد شعثت
وأصاب شعبه الذهول بسرعة
لأنه تاه وأرشد بشكل سيء
وعليه ينبغي ألا يندهش أي إنسان
إذا كان قد عانى من الهزيمة .
ومع أنهم كانوا رجالاً شجعانا ومن النخبة
لقد قضى الرب بوجوب موتهم
وأن ينال آخرون نصره .
وهكذا ، في حين مات هؤلاء بالجسد
يعيشون الآن مجدداً في الفردوس
وبذلك عاش كل الذين واجهوا نهايتهم
وفيها وراء البحار ، سيتولى المولى الرب حمايتهم .

العداء بين هنري الثاني وفيليب

بين فرنسا ونورماندي
كانت هناك حرب موروثة
همجية ، ومرعبة وشديدة
ومليئة بالشرور والخطيئة .

وكان فيليب هو الذي أثار هذه الحرب
وهنري كان ملك انكلترا وكان من أصل رفيع
حكيم ، وجدير ، وعاقل ، ولطيف
وأب جيد لذلك الملك الشاب
الذي قام بمبارزات عظيمة
ووالد رتشارد ، البارع كثيراً
والمليء بالحكمة وبجودة القرار
ووالد غيوفري صاحب بريتاني
شاب جدير بالمكانة والفخار
ووالد جون ، الذي يعرف باسم بلا أرض
الذي جاءت منه حرب عظيمة ومشاكل .
والملك الذي امتلك مثل هذه الأسرة
ويعرف نفسه أنه كان غنياً جداً
يمكنه أن يصمد بالحرب بشكل جيد جداً
إذا ما أحد مضى بسرور ضده الى الحرب
لفعل مثلما فعلوا وبذلوا
لأناس من هذا النوع ....
ووقع الملكان آنذاك في خلاف
وما من أحد استطاع أن يصلح بينهما

- ١٢٣٤ -

حتى وجههما الرب نحو التها دن
وكانت هدنة جديرة بالاستعمال .

المؤتمر في غيسور

فيما بين غيسور وتراي
في مرج جميل ، وعريض وشاسع
هناك جرى التفوه بكلمات كثيرة
وسمع ما كان حكيماً منها وما كان حمقاً
وتشوق بعضهم الى السلام كثيراً
وآخرون لم يكن لديهم اهتمام بالسلام
وكان هناك رجال من أنواع كثيرة
ممن ابتغى السلم ، لكن لم يمكن ايجاد سلام
ما عدا إذا شاء الرب ذلك
ثم ارتدى جميعهم شارة الصليب
وفي تلك المفاوضات جرى الحديث
عن كثير من الخلافات حديثة وقديمة :
وكثير من التكبر والتبجح
وكثير من المآسي احتاجت الى علاج
لقد طلبوا كثيراً وقليلاً وجدوا .
وأشرقت الشمس في الوقت نفسه مستديرة مضيئة

- ١٢٣٥ -

والى هناك جاء رئيس أساقفة من صور *
مشهوراً كان بعقله وحكمته
بعث من قبل السوريين ، الذين عرفوا
صواب أحكامه وصدقها .
رأيناه يحاول بشجاعة
قيادة هذين الملكين الى الطريق القويم
الرب ناضل ليبدد خلافاتهما
وكذلك فعل الرجال الحكماء وأهل العلم
وهكذا أوقف الملكان صراعهما
وحملا الصليب وتبادلا قبلة السلام .
لقد قبلا بعضهما بدموع ثم نهضا
وقدمت أصواتهما الحمد للرب
لأنهما شعرا بفرح عظيم
وكانا على ادراك ليأس
الرب وكم هو محتاج للعون .
ثم كنت ترى الفرسان يطيعون
النداء ويأخذون الصليب بسرعة

---

* جوششسيوس Josius رئيس أساقفة صور (١١٨٦— ١٢٠٠)وهو الذي خلف وليم المؤرخ المشهور

- ١٢٣٦ -

وبدوا أنهم لا يعرفون مذاق الخوف .
وهكذا اصطف حول رئيس الأساقفة
وحول رعاة الديرة والأساقفة أيضاً
حشد عزموا على القيام بالمخاطرة
(ثم أعانني الرب ، وبأم عيني رأيت)
وسط حر شديد جداً
(أعظم منه لم يعرف قط ولم يرسل)
حتى انقطعت أنفاس كثير من الناس
واقتربوا من الاختناق والموت .

وفاة هنري دون أن يفي بنذره

من أجل السرور بالاتفاقية التي عملت
ومن أجل السلام والحروب الصليبية
مضى الجميع وحملوا الصليب
لأنه ما من واحد يمكنه التخلي عن هذا الهدف
أو يزدري التحليل العظيم
من الذنب . واللوم ينبغي أن يلقي
على الكسل الذي أدى بهم الى تأخير
المغادرة . ووجد الشيطان سبيلا
أن يعيد الى الملكيين صراعاً عنيفاً

لا يمكن فضه ما دامت هناك حياة
باقية لواحد . لكن بقي
حتى انقض الموت عليه ، ومات
إنه كان هنري ، ملك انكلترا المسن
الذي وضع الخطط لزيارة
القبر المقدس بناء على أمر الرب
لكنه منع بيد الموت .
أمبرويز الذي كتب هذا الكتاب شعراً يقول :
كان ذلك الرجل حكيماً ولم يخطىء
وحافظ على عهده وعلى كلمات تعهده
التي أقسم بها للرب ، مولاه .
والآن ومولاهم الملك قد مات
خلف وراءه ولدين أخوين فقط
وكان اسم الأكبر بينهما رتشارد
كونت بواتو ، عظيم في شهرته .
والأصغر هو جون وكان صدقاً بلا أرض
هكذا عرف وقد كان فتى بلا تجربة .

تتويج رتشارد

ثم الى رتشارد أعطي

- ١٢٣٨ -

التاج ، بحكم ما قضى به العقل
وأيضاً أعطي الثروة والخزينة
والأراضي وأيمان التبعية والولاء.
ثم أخذ الصليب أولاً، بدون تقاعس
وكما أخبرتكم في روايتنا
الى الرب أعطى أعماله ومجهوده
وشرع هكذا للاستعداد للسفر
وأبحر عابراً الى الشواطىء الانكليزية
وقبل مضي أيام كثيرة
تلقى التاج في لندن .
ورأيت هدايا أعطيت في تلك البلدة
هدايا عظيمة ، وقدم الطعام بقدر
هائل حتى ما من انسان يدري كم هو .
ولم أر في حياتي ولم أشهد
بلاطاً خدم بأبهة أعظم
رأيت أوعية فخمة وصحو نا غنية
تقدم في قاعة الدولة العظمى
وموائد مليئة بشكل ممتاز
أكثر مما يستطيع انسان أن يخبر.

لكن لماذا أحكي عن ذلك بتوسع عظيم
أنتم جميعاً تعرفون جيداً هذه الأبهة والقوة
والبلاط العظيم الذي يمكن أن يمتلكه
الذي يحكم مملكة انكلترا .
لقد كان الحفل عظيماً وثرياً ورائعاً
واستمر ثلاثة أيام كاملة على الأقل
ومنح الملك كثيراً من الجوائز الثمينة
ورد الى باروناته
الاقطاعات التي استحقوها لنسبهم
وزاد هو نفسه من ميراثهم .

استعدادات رتشارد للحملة الصليبية

وعندما انتهى اجتماع البلاط
عاد كل واحد الى اقطاعيته
وكل واحد، الى ممتلكاته الخاصة
لكن ليس ليمكث هناك طويلاً لأن الملك قال الكلمة
وأمره كل انسان سمعه
بأن يستعدوا للقيام بمخاطرتهم
بالاستعارة أو بأي سبيل آخر
لأنه رغب أن يشرع اسطوله

- ١٢٤٠ -

وأن يجري تأمين كل شيء كما ينبغي وحسب الحاجة
حتى في صباح أحد الأيام
يمكن لحجه أن يأخذ طريقه .
لأن قلبه تطلع شوقاً ليلاً ونهاراً
نحو الذين انتظروا عودته
في نورماندي وفي أنجو
وفي غسكوني وفي بواتو
وفي باري وفي بيرغندي
من حيث التحق العديد بالجماعة .
وفي كل كنائس انكلترا ، وفي
جميع الكنائس الأخرى في أراضيه
عين ، حيث لم يكن هناك أحداً معيناً
لقد رسم أساقفة ورؤساء أساقفة
ولم ينتظر حتى تساقط ثلج الشتاء
بل أمر باعداد سفنه للذهاب
ووضع فيها خزينة ثرية
ذلك أنه عرف كيف يستخدمها بشكل صحيح .
وعلى شاطىء البحر، بقعة صغيرة
هناك سكن، قبل أن يرسل الرب رحمته

- ١٢٤١ -

بريح طيبة، تحمله مباشرة
وتنقله إلى شاطىء نورماندي.
والتالي يمكن حقاً تصديقه
لقد استقبل بسرور عارم
منذ اللحظة التي كان فيها مرئيا.
وبسرعة جعل جميع الأشياء صحيحة
للزحف، وإلى ليون بعث
للاعداد لحفل، ومرح
٢٥— كانون أول ١١٨٩ ليوم الميلاد
وأقام الملك احتفاله في ليون
لكن غناء أناشيد الأعمال فجأة توقف.
وأمر على الفور بكتابة رسالة
واختار رسولاً مضموناً، وسريعاً، وموائماً
وأعطى هذا الرسول أوامر
بأن يضع الرسالة في يد ملك فرنسا
وأن يؤكد للملك تمام التأكيد
أن كل شيء أعد للترحال.
وهكذا جرى ترتيب الأمور بينهما
في أن يلتقيا، إذا لم يحدث خطأ معيق.

وهكذا اجتمعا أمام درو
على مسافة سبع مراحل من ايفرو.
وفيها الملكان يتفاوضان ويتداولان
ويتحدثان عن الرحلة وعن الطرق والسبل
فجأة، إلى ملك فرنسا
جاء رسول، أخبره
بأخبار سيئة، جاء ورأسه مطأطأ
١٥— أيار ١١٩٠ وأخبره أن الملكة قد توفيت.
ولسماع هذه الكلمة المحزنة المبكية
وحكاية خبر محزن آخر سمع
عن وفاة ملـك أبوليا (وليم الثاني ملك صقليـة، وزوج جوانا أخت رتشارد، توفي في ١٦ أو ١٨ تشرين ثاني في ١١٨٩)
(الخبر الذي أحزننا ومازال يؤسفنا)
وشعر الحشد بانزعاج عظيم
إلى حد أن غالبيتهم تخلى
عن الطريق الذي ركبه الناس نحو سورية.
لكن هذا لم يكن هكذا، بنعمة الرب
فقط تأجل إلى موعد آخر
٢٤ حزيران ١١٩٠ هو يوم القديس يوحنا، الذي يحتفل الجميع به.

- ١٢٤٣ -

إعداد رتشارد وفيليب للقاء في فيزلي

عندما امتلأت الورود بالشذى
صار الوقت جاهزاً عندما يشاء الرب
لايقاظ شجاعة الحجاج
حتى يلتحق بهم بقية الناس
ولكي يستعد كل واحد منهم
لحمل ماأراده الرب تحميلهم اياه
وأن يكونوا على استعداد لمعاناة الآلام والجوع
وأن ينطلقوا نحو الأمام في يوم عيد القديس يوحنا.
٢— تموز ١١٩٠ وبعد ثمانية أيام، وبدون تأخير
التقى الحشد في فيزلي
ووقتها غادر الملك باريس
وودع كنيسة القديس دنس
وكثير من نخبة الفرسان واللوردات
لم يكونوا قد تمنطقوا بسيوفهم بعد
في حين كان جزء كبير من الصفوف الفرنسية
قد أخذ الطريق ومضى في زحفه.
ووقتها قام دوق بيرغندي
بالانطلاق للالتحاق بالجماعة.

- ١٢٤٤ -

ولم يتقاعس كونت فلاندرز
بل احتشدت كتائبه بسرعة ونشاط
ومع ذلك كان مايزال يرى مجموعات
من الرجال تصل من كل اتجاه.
وتولى بعض الناس في حزن تشييعهم
وبكوا عليهم على طريق أحزانهم
ومن أجلهم حزنوا حزناً عظيماً حتى
كادت قلوبهم أن تتفطر أسفاً

ارسال رتشارد لاسطوله أمامه

وكان الملك رتشارد آنذاك في تور
مع معدات الخيول، والسلاح، وأدوات الزينة.
وحشد عظيم من الرجال داخل الأسوار
كان هناك، حتى بات من الصعب استيعابهم جميعاً.
وأرسل أوامره إلى البحر
لجمع اسطوله بكل سرعة
وأمر اسطوله بالإقلاع مبحراً
والارتحال بدون تقاعس أو تأخير.
وكان عدد سفنه مائة وسبع سفن
وعندما أقلعت جميعاً وركبت (ظهر الأمواج)

من دون السفن التي كانت ستأتي فيها بعد
(وكان الطريق الذي اتبعوه هو نفسه).
ماء ومخاطر ورعب
ومضائق، وجاوزوا ذلك كله بدون أذى
ومروا بمضائق أفريقيا المميتة
حيث البحر دوماً يضرب ويسلب
مامن واحد واجه أسى أبداً
ولم يكن هناك غرق أو تحطم لشراع.
لقد أبحروا بفضل نعمة الرب في السماء
حتى وصلوا إلى ميناء مسينا
وبدأ الملك رتشارد ولورداته
وغادروا تور بقلب منشرح
ثم جاء متقدماً كثير من الفرسان الجيدين
ورماة قسي عقارة مدربين على القتال.
آه، هل رأيت الحشد يزحف نحو الأمام
لقد جعل الأرض كلها تهتز.
وكان الناس جميعاً كئيبين
من أجل لورداتهم الشجعان والبواسل
وهناك كانت آنسات وسيدات ينتحبن

- ١٢٤٦ -

مسنات وشابات، قبيحات وجميلات
اقتربت قلوبهن من أن تتفطر حزناً
على الأقرباء والأحباء الذين توجب ذهابهم.
وتشييع لم يكن قط أكثر إيلاماً
ولارجال لدى عودتهم أكثر امتلاء
بالحزن، وكثير من الدموع ذرفت
وكثير من العهود التقية قيلت.
وأخيراً عاد المشيعون
وزاد الحجاج على طريقهم من سرعتهم.
وهكذا وفقاً للتاريخ الذي حدده الملك
لاأبكر كثيراً ولاأبعد كثيراً
الحشد الذي استولى الرب عليه وأبعده
عن الشيطان، التقى في فيزلي.
استولى؟ لا، لقد أخذه نقياً تقياً
فمن أجله وفي سبيله احتشد هناك.

اللقاء في فيزلي

في فيزلي، وسط جبال عالية
ستر الرب غطى جماعته
وفي الوديان كان هناك العديد من الذين

- ١٢٤٧ -

من أجله حملهم طريقهم إلى هناك
وفي الكروم وعلى سفوح التلال
نام أبناء الأمهات والأمل
وكان النهار دافئاً، والليل لطيفاً
فهاهنا اجتمع في المحنة
مع الرب جماعات كثيرة من أصل نبيل
بشكل لم ير نظير له على الأرض.
وهؤلاء الذين اجتمعوا هنا فعلوا ذلك في سبيله
وهجروا أراضيهم وأسرهم
وأقسموا تدليساً بشكل دائم، أوبمثابة تحد
أقسموا وكرسوا ميراثهم العظيم
وحرموا أنفسهم من الأرض ومن مسقط الرأس
حتى يمكنهم شراء محبة الرب.
فما من صفقة يمكن أن تكون أفضل
من التي في سبيل ملك السموات.

رتشارد وفيليب يتفقان على اقتسام ماسيستوليان عليه

في فيزلي كلا الملكان
أقسما كل واحد للآخر قسماً مؤكداً
أنه مهما قدر القدر لهما وجلب

كل ملك سوف يثق بالملك الآخر
ومهما كانا سيربحان
سيقتسمانه قسمة عادلة
وأقسما قسماً مؤكداً آخر:
على الآخر، إذا كتب القدر له النصيب
انتظار الملك الآخر
وهكذا وقد ارتبطا بأيمان موثقة
أقلعا من فيزلي وتقدما مبحرين.
وسافر الملكان وتقدما نحو الأمام
وعن رحيلهما يمكن قول الكثير
وقدما لبعضهما التشريف والحمد
وفعلا ذلك نحو بعضهما بعضاً حيثما ذهبا.
وتحرك الحشد وفقاً لهذا الوفاق
ولم تكن هناك شحناء لابالشارات ولابالكلام
وكان كل واحد لطيفاً نحو الآخر وأديباً
ولم يسجل حادث يذكر.

زحف الحجاج

وهم سائرون على طريقهم بشجاعة
كان بإمكانك أن ترى، عونك يارب

شباب وشابات وزوجات وأتباع
يجلبون أباريقاً، وكؤوساً وأوعية
وطسوتاً ممتلئة حتى الحواف
بالماء لسقي الحجاج العطاشى
وهم ممسكون بالطسوت في أيديهم
اقتربوا من الجماعات الزاحفة
وقالوا: «آه يارب ياذا الجلالة
من أين جاء هذا الحشد؟ وماذا يمكن أن يكون هذا؟
وهؤلاء الشباب، أين ولدوا وإلى أين ذاهبون؟
حدق بوجوههم المتوردة والدافئة!
فكر بحزن أمهاتهم
وآبائهم وأبنائهم وأخوانهم
وأصدقائهم وكل من يمت إليهم بصلة
وبهؤلاء الذين شكلوا هذا الحشد القدير!»
إلى الرب أوصوا بالحشد وأودعوا
وبكوا عندما رأوه يمضي في سبيله نحو الأمام
على طريقه، وصلوا بخشوع
للرب، وسألوه بتقوى
في خدمته أن يقود الحشد

- ١٢٥٠ -

وأن يعيده إلى وطنه بعدما تلبى حاجته
وأصبحوا واثقين بنعمة الرب، وحقاً
كثيراً فعل، وكثيراً يمكن أن يفعل
وبسرور عظيم وفرح
وبدون غضب أو انزعاج
أو استهزاء أو غيبة، أوصراع أو نحيب
وصلوا مباشرة إلى ليون على الرون.

الوصول إلى ليون

ثم توقف الجيش في ليون
حيث ازدادت مياه الرون واندفعت
وهناك توقف الملكان بانتظار
الذين كانوا مايزالون على طريقهم.
ولم يشاهد من قبل مثل هذه الروعة
ولم ير قط مثل هؤلاء الرجال الناذرين أنفسهم:
كانوا مائة ألف، هذا ماهو معروف
نام معظمهم داخل البلدة
واتخذ الملكان محلتين لهما في بقعة
لم تكن في البلدة ولافي إحدى الحدائق:
لقد تمركزا خلف أمواج الرون ونصبا

خيمهما لانتظار بقية الحشد
وكان ضرورياً أن يبقيا
لأن كثيرين كانوا مايزالون ماضين على
طريقهم، وقد انتظرا هناك حتى
وصل الحشد واجتمعت عناصره واصطفت
وبعدما انتظرا طويلاً وبعدما
باتا متأكدين أن جميع الحشد
قد اجتمع في المكان المحدد
امتلأت قلوبهما بالفرح مجدداً.
وعلى بقعة جديدة نصبا خيامهما
جميلة جداً، وغنية في زينتها
ومن حولهما الحشد، فوق الرمال
نصب خيامه، كلها على طول الشاطىء.

الافتراق إلى جماعات

إلى الأمام تقدم الملكان معاً
مادامت سبلهما هي نفسها
ثم انطلق كل منهما نحو مرساه
بفرح عظيم وبمرح كبير.
وكان فيليب ملك فرنسا قد أعد

من قبل الترتيبات لنيل العون
من الجنويين في الابحار
وكانوا الأكثر براعة بمثل هذه المسائل
بينما رتشارد، الذي قاد حشد انكلترا
طاف حول البحر، على طول الساحل
ووصل إلى مرسيليا، متبعاً
إرادة الرب، الذي يقود كل شيء صحيح.

عبور الرون

عندما علم الحشد أن الملكين قد مضيا
نحو الأمام، نهض بعضه قبل الفجر
وآخرون عندما أضاء نور الصباح
الطريق، لأنه توجب عليهم جواز الرون.
والذين استيقظوا قبل انبلاج النهار
لم يعانوا من أي نوع من الاضطراب:
وعبروا الجسر، بحظ سعيد
بدون أذى أو إعاقة
لكن الذين بعد انقضاء الصباح
تجمعوا على الجسر بشكل كثيف جداً وسريع
لحقهم سوء الطالع وبددهم

لأن إحدى قناطر الجسر تحطمت
بسبب أن المياه الخائنة
ازدادت بشكل هائل وخطير
ولأن وزن الناس فاق على المائة
وحمّلوا القنطرة الصنوبرية فوق طاقتها حتى انهارت
وسقطت القنطرة ، وسقطوا هم في الماء
وكان هناك صراخ، وأنين، وعويل.
فكل واحد، أذهله السقوط الكبير
ظن أنه فقد جميع ذويه
من أخوان، وأبناء، وأقرباء، وأصدقاء.
لكن الرب، قدم الآن عونه
وصحيح أن كثيرين سقطوا، لكن من بين هؤلاء جميعاً
كان هناك اثنان فقط، فقدا حياتهما
أعني أن اثنين فقط اكتشفا
ولكي نجزم ونؤكد العدد مامن أحد يجرؤ
فالماء كان هناك حاداً جارفاً
فقليل مما سقط قد ظهر
وإذا كان هؤلاء ماتوا أمام الرب أنقياء يشعون:
فعلى طريقه ساروا وبأقدامهم خطوا

وعندما يلقوه، سينالون الرحمة.
وانهارت قنطرة الجسر وتحطمت
وأصيب الحجاج جميعاً بالذهول وتفرقوا
دون أن يعرفوا إلى أين عليهم أن يتوجهوا
صعوداً ضد مجرى الماء أم هبوطاً.
ولم يجدوا حرفياً ليصلح
الجسر، ولم يكن هناك مجاز
وفوق الرون لم يكن هناك أية سفينة
ولامركب ولابارجة أعظيمة كانت أم صغيرة.
لذلك لم يكن بإمكانهم اللحاق، ولا
الاتصال بالذين عبرو النهر من قبل.
ولأنهم لم يجدوا خطة أخرى
فتشوا عن خير مخرج توفر لهم:
ففي قوارب صغيرة هشة وخفيفة
حيث انضغط الناس بشدة معاً
عبروا، وهم في رعب على حياتهم
فهكذا ينبغي أن يفعل الذي في سبيل الرب يناضل.
وأبحروا نحو مسينا
ودامت أعمال الجواز ثلاثة أيام

- ١٢٥٥ -

وكانت هناك فوضى عظيمة.
ثم مضى العقلاء والحمقى مسرعين
يبحثون عن مكان لرسوهم
وإلى مرسيليا، أقرب ميناء منهم
ذهبت جماعات كبيرة رائعة
وكثير من الشجعان المسيحيين، من النوع نفسه
ارتحلوا إلى ميناء البنادقة.
وكذلك طلب كثيرون ميناء الجنوية
ولايمكن للمرء أن يعد أويحصي هؤلاء
وإلى برليتي Barlette .وإلى برنديزي
استلهم كثيرون التاريخ
وإلى مسينا ذهبت جماعة
لتنتظر حتى رسو الملكين ونزولهما إلى اليابسة.

المكان الذي سوف يلتقون فيه بالملك وبالناس

مسينا هي قلعة
غالباً ماكتب عنها وبشكل جيد
إنها بلدة جيدة وذات موقع جميل
في صقلية، وتطل على
بيت النور(الفاروس) الذي منه يرى الانسان

- ١٢٥٦ -

ريغيو،التي استولى عليها أنغولاند.
وفي البلدة أشياء طيبة لاتعد ولاتحصى
ووجدنا أهلها أشراراً.
وأخبرنا أن ملكها يدعى تانكرد
وأن لديه مخزناً عظيماً من الذهب الخالص
الذي وفره أجدادنا وربحوه
منذ أيام حكم روبرت غويسكارد
وعاش في بلرم آنذاك سيدة
سكنت هناك منذ زمن طويل وبصيت حسن
وكانت أرملة الملك وليم المتوفى
ملكة المملكة أثناء حياته.
وكان شجاعاً ولطيفاً
وتوفي ، ويالللأسف، بدون وريث
وكانت الملكة أختاً لملك
انكلترا،الذي اتخذ الوسائل،لاستعادة
حقوقها في البائنة—الدوطة—وردها إليها
.ولم يتجرأ تانكرد على الاعتراض
مع أنه استولى ووضع تحت سلطانه
كل من شخص الملكة وبائنتها

يامن لديهم العقل والذاكرة
ويامن سمعتم التاريخ بشكل جيد
يحكي كيف أبحرت سفننا في طريقها
وسارت على طول سواحل اسبانيا.
والى مسينا وصل الاسطول
على مثله روعة لم تلق عيناي التحية
وتوجب عليه الانتظار هناك أوامر
رتشارد،الذي كان ملك انكلترا
وتميز هناك حشد متنوع
بأعلام،وعذبات،ورايات،وخيم
وعسكروا جميعاً على طول الشاطىء
لأن الدخول الى المدينة كان ممنوعاً
وعلى مقربة من السفن خططوا
للبقاء حتى وصول الملك
لأن أهل المدينة كانوا غوغاء،وحثالة
المدينة كان بعضهم هجناء اغريق
وبعضهم من أصل اسلامي
وقد غمروا حجاجنا بالشتائم
ومدوا أصابعهم الى أعيننا وسخروا منا

ودعونا بالكلاب النتنه.
وأساءوا إلينا وآذونا كل يوم
وأحياناً قتلوا حجاجنا
ورموا جثثهم في أماكن سرية
وقد تبرهن أن هذا كان صحيحاً.

وصول ملك فرنسا غير اللائق

سادتي،من المعتاد والمعتمد
أنه عند وصول أمير صاحب تاج رفيع
مثل ملك فرنسا،الذي يستحق
أن يتحدث الناس عنه في أرجاء الأرض
أو مثل ملك انكلترا،الذي هو
مبجل في أنحاء العالم كله،
ودخوله الى بلد،مهما كان نوعه
أو الى بلاد مثل صقلية
يتوجب عليه القدوم بمثابة سيد عظيم
ليحصل على كلمات الثناء من جميع الناس
لأنه صحيح القول،كما أقدر:
«حسبما أراك،أنت تستحق كما أرى»،
ولهذا،أقول:عندما جاء كل ملك

- ١٢٥٩ -

كان هناك جمع هائل من الناس
والى مسينا جاء أولاً
ملك فرنسا،الذي رحب به
من قبل كثيرين،دنوا من مكان
رسوه،لكنهم لم يروا وجهه
لأنه كان لديه سفينة واحدة،ليس أكثر.
ورأى حشداً هائلاً من الناس على الشاطىء
ولكي يتجنب الاحراج من
الحشد،الى القصر مضى مباشرة.

أبهة وصول ملك انكلترا

٢٣—تشرين ثاني ١٩٩٠ لكن عندما وصل الملك رتشارد
كان هناك حشداً هائلاً يتدافع ويتصارع
ليروه وهويرسو،شيباً وشباباً
وكان بين الحشد رجال عقلاء وخلعاء
وذلك قبل أن يظهر الملك ويشاهد
وليراه،كان الحشد كله
متشوقاً،الى شجاعته.
ووصل بأبهة وروعة
حتى أن البحر كله من حوله امتلأ

- ١٢٦٠ -

با لمراكب،التي كان عليها رجال بحر بارعين
ورجال مسلحين، وشجعان،ومندفعين ومشرقين
يحملون العذبات والأعلام الثمينة الخفاقة.
وعندما اقتربت سفن الملك من الرصيف
باروناته وفرسانه ذوي المراتب
التقوا،وقادوا خيوله المعدة للحرب
التي جلبتها من قبل سفن نقل.
وامتطى حصانه، مع حاشيته
والذين رأوه قالوا هذا حقاً
ملكاً قديراً،وواحداً فريدا
جديراً أن يكون ملكاً مالكاً
لكن الإغريق واللومبارد تذمروا
لأن سيداً غريباً
دخل الى مدينتهم
بأبهة عظيمة واحتفال كبير.

اللومبارد الأشرار

عندما جاء الملك،القوم من اليونان
لم يفعلواشيئاً لخلق الاضطراب
وأثار اللومبارد اضطراباً كبيراً

- ١٢٦١ -

وأساءوا الى حجاجنا وآذوهم
وهددوا بتدمير، أو بالاستيلاء
على خيمهم وعلى ممتلكاتهم الأخرى.
وكانوا قلقين من أجل نسائهم
اللائي تحدث رجال الحجاج معهن
وفعلوا هذا لازعاجهم وايلامهم
ولم تكن لديهم نوايا بأن يزيدوا على ذلك.
اللومبارد والسكان
ازدروا دوماً وكرهوا شعبنا
لأنه روي عن آبائهم وقيل
بأن أجدادنا قد سحقوا
أجدادهم.وكانت كراهيتهم هائلة
وهكذا رغبوا في تجويعنا.......
ولكي لانكسب هناك شيئاً
رفعوا أبراجهم وزادوها علواً
وحفروا خنادقهم وعمقوها
وفعلوا هذا كله،وضاعفوا البغضاء
بالتهديدات والتحديات
وانبعث الشر من كل جانب

- ١٢٦٢ -

اثارة الشقاق

في أحد الأيام،الى وسط الحشد جاءت
امرأة—كان اسمها امّا Emma
وكان معها خبز للبيع،هكذا قيل
ولدى رؤية الخبز الطازج والساخن
من قبل أحد الحجاج، استفسر عن الثمن ليشتري
ورفضت بانزعاج وازدراء
السعر الذي عرضه،وكان مثله مثل
المرأة في غضبه الذي وصل الى حد الضرب
وكانت غاضبة،ومضطربة.
وأفلت زمام الأمور الآن وقام صخب عظيم
وكان أهل المدينة غاضبين الى أبعد الحدود
فأمسكوا الحاج بمقابضهم
ونتفوا شعره،وبطحوه،وضربوه
وآلموه كثيراً،وأساءوا معاملته
وسمع الملك رتشارد الصراخ فقال:سلاماً
هكذا أمر،وأن يتوقف الصراع تماماً
وأطفأ النائرة
وأجبر رجاله على البقاء بعيداً

لكن الشيطان،الذي بطبعه
يكره السلام أكثر مما يفعل بقية المخلوقات
أشعل الصراع في صباح اليوم التالي
وبالخلاف كل شيء تمزق.

تفجر الاضطرابات مجدداً

ثم ذهب الملكان معاً
الى مابدا لي، اجتماع عام ضم
أعيان صقلية،والسادة
والنبلاء،والقضاة،ورجال العدل
جميعاً تكلموا عن السبل التي يمكن بها صنع السلام
وفيما هم يتحدثون هكذا،على مهلهم
وفي الوقت الذي قال فيه الملكان كلمات جميلة
حول كيفية إنهاء هذه الخلافات المؤلمة
جاءت أخبار ومعلومات أن رجالنا تعرضوا للهجوم عليهم.
وجلبت الأخبار المحزنة مرتين
بأن كثيراً من الأضرار قد أنزلت
والرسول الثالث الذي جاء
قال للملك:«مثل هذا السلم عار
لأن شعب هذه البلاد يمكن

- ١٢٦٤ -

أن يقتلوا شعب ملك انكلترا
في داخل المدينة وفي خارجها».
وكان صحيحاً بدون أي شك
أن اللومبارد تركوا الاجتماع
بعدما أخبروا كل ملك زيفاً وكذباً
أنهم قصدوا التهدئة وإنهاء
الصراع. لقد ذهبوا لجعل الأمور أسوأ
جورديان دمر بن Jourdian du pin ومرغريت(*) Margarit
(ضربهما جميع الشياطين،فذلك لهما مناسب)
فهذان فجرا الشجار
وكانا نبعه وأصله
وهناك وقف ملك انكلترا
وتبعه على الفور ملك فرنسا وكان على مقربة منه
وحكى الذي روى الأخبار:
بأن ملك انكلترا وقتها امتطى
فرسه،وتوجه لإنهاء الشجار
لكنه ماأن سار وابتعد
حتى تفوه أهل المدينة ووجهوا الشتائم

* —— كان جورديان قائد مسينا تحت إمرة تانكرد،ومرغريت هو لقب أطلق على أمير الماء في صقلية.

إليه، وشعر بالاهانة،والافتراء عليه
وأخذ سلاحه،ووجه الملك الأمر
بوجوب الهجوم عليهم من البحر
ومن البر ففي العالم أجمع
لم يكن هناك محارب منه أقدر.

الأمر الذي لم يشارك فيه الفرنسيون

وكان الجيشان عظيما والاضطراب هائلاً ،وعـــظيماً
كان الصراع ، وعاشت البلدة في حالة رعب .
وبحث الفرنيسون عن ملكهم بقلق
في رحاب ملك انكلترا وضيافته
لأن البلدة كانت في حال من الاضطراب عظيم
ولم يخيل اليهم أنهم سيعثرون عليه أبداً.
ووقتها كان قد ، عاد الى القصر
حيث سكن من وأقام
ثم بادر اللومبارد مسرعين نحوه
وامسكوا به بوساطة ركابه الايسر
وأعطوه هدايا ، ووعدوه بالدفع
ومنحوه شرف النهار
وسألوا راجين حمايته وعونه

- ١٢٦٦ -

داخل البلدة ، وعن طواعية جعلوا
أنفسهم رعايا لحكمه وملكه.
وهكذا بجهد، وثمن ، وألم
أقنعوه لحمل سلاحه ،
وأكد واحد جدير بالتصديق
أنه أعطى الصقليين المزيد
من العون أكثر مما يمكن للانكليز تحمله .
وهكذا أطلق مجدداً الاغراء
وازداد الاضطراب داخل الحشد.
وكان الفرنسيون في داخل المدينة
وادعين ومتحررين من القلق والاهتمام.
ووثق اللومبارد بهم حقيقة
ومع أن الحشد أعطى قليلاً من الاهتمام .
أغلقت الأبواب الآن وسدت
وسكان البلدة ، تسلحوا وما لوا نحو القتال
وصعدوا فوق الأسوار ، للدفاع
عنهم ، ولكن قضت الحاجة بنزولهم فوراً
والذين قاموا بالحملة من المدينة
وحملوا حملة مميتة الى

- ١٢٦٧ -

حيث مولاي هيوج دي برن عمل بشكل طيب .
وكانوا يقاتلون يداً بيد ، واختلط الحابل بالنابل
وعندما وصل ملك انكلترا ، عشرون
من الرجال كانوا معه ، ليس أكثر ،
كما أظن ، عندما التحق بالصفوف المتحاربة .
وما أن رآه اللومبارد ، حتى مباشرة
تخلوا عن تهديداتهم
واستداروا على أعقابهم وهربوا.
ولحق بهم الملك الجريء عن قرب وضغط
عليهم ، ويؤكد امبرويز
أنهم عندما رأوه يقدم ، يمكنك
أن تعتقد أنهم شياه هاربة
عندما شعرت بالرعب من الالتهام من قبل ذئب شرير .
أو مثل ثيران هاربة من النير
وركض هؤلاء الرجال نحو الباب الخلفي
المتجه باتجاه بلرم
وهناك هاجمهم ، ولست أعرف
كم عدد الذين ألقاه منهم أرضاً
ونهض الحشد كله ، وامتطى كل واحد منه حصاناً

- ١٢٦٨ -

لأنهم هوجموا بشدة وبقوة
من اللومبارد الذين كانوا غاضبين أشد الغضب
ومن الاغريق الغضابى والغدارين.

الانكليز يحملون بعنف من جهة البر

لكن اصحابنا كانوا رجالاً ذوي خبرة وشهرة
ومن الذين حاصروا مدنا كثيرة :
وكانوا نورماندين وبواتفيين
وغسكون ومن مانيسو وآنجو
وعندما جاء الذين هم من انكلترا
كانوا أكثر من أن يستطيع الانسان عدهم أو تسميتهم
وهكذا هاجموهم، شجعانا بواسل
عندما دفعوهم عن الأسوار وأبعدوهم
وكلهم ركبوا وحول المدينة وطافوا
حتى شقوا طريقهم الى داخلها
وأطلق سكان المدينة النشاب،ورموا بالحراب
وسببوا ضرراً كبيراً للذين رموهم
بالجروخ من القسي،وبرمايات القسي العقارة
وبكل ماتوفر لديهم،قاتلوا بحدة وشدة
فرموا بالحجارة والصخور من أعلى الأسوار

وآذوا رجالنا بهذا كله أذى عظيما
وتطايرت الأسهم والرمايات مثل المطر المنهمر بغزارة
وتسبب ذلك لحجاجنا بالأذى والألم
وتلقى ثلاثة من فرساننا ضربات قاتلة
وأصيبوا بجراحات بليغة لدى دخولهم بوابة.
وكان بيترتايربرويي Tireproie واحداً ممن
جسده ألقوه ميتاً على
الطريق،وأيضاً ماهيو دي سوكوي Maheu de saucoi
الذي على البقعة نفسها ألقوا بجسده
وجثة رالف دي روفري Rovroi وجدوها
هناك على الأرض(فهذا ماتبرهن صدقه).
ولأجلهم كان هناك حزن وقداس لراحة أنفسهم؛
يارب امنحهم الخلاص وأنزله عليهم
ولو أن اللومبارد كانوا شجعاناً ومخلصين
لردوا الجنود الملكيين وهزموهم
لكن صفوفهم العليا تصرفت بحماقة جعلتنا
متشوقين ومتسرعين للانتقام
وكان الذين تولوا الدفاع عن المدينة آنذاك
أكثر من خمسين ألفاً من الرجال

على الأسوار وفي الأبراج متخفين
محميين بالدرابيء والترسة.
وكان يمكنك أن ترى هناك حرباً شديدة قد نشبت
من قبل عدد كبير من الرجال الأشداء الغضابى.

محاولة الاستيلاء على المدينة بحراً

واقتربت الغلايين من القصر
عازمة على تجديد الحملة.
لكن على الساحل،حيث خططوا
للهجوم،تمركز ملك فرنسا،
ولم يكن ليسمح للغلايين بالدخول
الى الميناء،الذي لم يستطيعوا لهذا السبب نيله.
ومن الشاطىء رموا،وقتلوا
اثنين من البحارة—وكان عملاً قذرا فعلوه.
أما من جانب البر فإن هجوم ملك
انكلترا الحاد أنزل ضربة حادة باللومبارد،بهجوم
مميت قاتل ردهم به الى الوراء.
أما رجاله—وكان مشهداً جميلاً أن تراه—
فقد تجاوزوا كل العقبات
وشطروا أقفال الباب الى شطرين.

- ١٢٧١ -

وعدداً كبيراً أسروا،والعديد قتلوا،
ومضى بعضهم مباشرة يشقون طريقهم خلال الشوارع
وهم الذين انزاحوا من أمام اندفاعهم؛
ولأنهم من أعالي أسقف البيوت
رموا مثل زخات المطر بالنشاب على المقاتلين.
مع هذا،وعلى الرغم من كل مابذلوه ومن قتالهم
لم يكن بامكانهم الصمود أمام هذا الهجوم.
وكل من جلب الساقة بعد ذلك
كان الملك الأول جرأة بينهم
لشق طريقه الى البلدة،ومن ثم
لحق به هناك عشرة آلاف رجل
ووقتها هل سمعت أصوات رجالنا وصراخهم

....

وباقتحام وضرب مع صراخ مشوب بالخوف
وبجرح وطعن ورمي هنا وهناك
بسرعة استولوا على مسينا حتى كثيراً قبل
أن يتلو كاهن قداسه الليلي وينهيه
وكثير هلك في المدينة
لولا أن الملك تلطف وأشفق.

- ١٢٧٢ -

ولك أن تعرف بشكل مؤكد
أن كثيراً من الممتلكات قد فقدت
عندما بنجاح قاتلوا
المدينة.وبسرعة سلبت ونهبت
ودمرت سفنهم وأحرقت
التي لم تكن فقيرة أو تستحق الاهمال.
وكان هناك نساء أسرن ،جميلات
ورائعات ولطيفات.
وأنا لم أستطع معرفة الحقيقة كاملة
لكن سواء أكان ذلك معقولاً أم حماقة
قبل أن يكون حشدنا مدركاً
رأى الفرنسيون معلقاً بالهواء
فوق أعالي الأسوار راياتنا وأعلامنا
في كثيرمن الأماكن وبأشكال متنوعة
الأمر الذي ولّد لدى الملك الفرنسي حسداً لن يستطيع الزمان إزالته
وتولد من ذلك أموراً مقلقة مرعبة
عنها نجم تمزيق نورماندي المؤلم وسلخها.

فيليب يأبى القبول بنصر رتشارد

عندما استولى الملك على البلدة

- ١٢٧٣ -

وأعلامه فوق أسوارها خفقت تلقى رسالة من ملك فرنسا
فيها كلمات حسد ورعونة
أنه وأتباعه حزنوا واندهشوا
لأن الأعلام قد رفعت
ووجه وقال:لتنزل الأعلام
وعلى أسوار المدينة لتنصب
الأعلام الفرنسية ولتحل محلها.
وفي الحقيقة،زاد على هذا وبعث يقول
أن رتشارد بما قام به،بشكل صريح
خرق تبعيته له وعنها تخلى
ولهذا هومضطر لاتخاذ اجراء مؤلم ضده.
مولاي،حكمك الآن أنا أطلب:
من الذي له الحق أكثر في نشر أعلامه
الذي وقف جانباً وتقاعس
ولم يرغب في القتال أن يشارك
أو الذي شارك وتجرأ؟
وسمع الملك رتشارد الرسالة،وأرسلها،
ولم يتلطف في مناقشاته المطولة
التي أقامها مع فيليب،الذي بهذا

أثير وغضب غضباً شديداً.
ومع هذا قال وسمع
كثيراً من الكلمات الجارحة المقذعة.
لكن ليس لائقاً بالكتاب
وجوب كتابة كل حماقة

ارسال رتشارد سفراء الى تانكرد

وتوسل عندئذ رجال كبار وعظماء من رجال الدين
وتباحثوا،حتى توافقوا
على سلام،تبعاً لشروطه ومواصفاته
يمكن لكل ملك أن يرفع أعلامه
على برج وعلى شرافة من شرافات السور
ورتبوا أن ترسل رسالة
مباشرة الى ملك صقلية
حول الاعتداءات والاهانات
التي وجهت إليهم والتي رأوها هناك
من قبل السكان والبلدة.
وتوجب على سفراء الملك رتشارد أن يبينو
باسمه،وأن يوضحوا اتمام الايضاح
أنه بحق قوة القانون

- ١٢٧٥ -

يطلب منه بائنة أخته
وحصتها في الثروة العظيمة
حسبما يمكن أن تدعي وفق المعايير القانونية،
ووفق مايمكن للشريعة والعدالة أن
تمنحه للسيدة بمثابة حقها الشرعي.
وبكل سرعة وأبهة جرت تسمية السفراء:
رجال نبلاء حقاً معروفين،وواسعي الشهرة
منحدرين من آباء ذوي مكانة عالية جداً
لوردات،ومن أصل رفيع
ذوي كفاءات وقدرات عظيمة
وغادروا للقيام بهذه السفارة.
وكان بين هؤلاء السفراء
دوق بيرغندي،كان الأول
ومثله روبرت دي سابلSable
وكان شجاعاً،ونبيلاً،وبارعاً في السياسة؛
ولربما ذهب معهما واحدآخر
أنا لاأعرف من هو ولااسمه.
ثم امتطى هذان النبيلان فرسين
وعلى الطريق سارامسرعين

نحو بلرم،حتى يقدما
ويخبرا بالرسالة التي يحملانها الملك.

الذي ردّ بكلمات لطيفة

الملك تانكرد الذي كان حكيماً جداً
أعد مجلساً لسماع السفراء
وبكثير من المغامرات قد ملأ
حياته،وكان مدبراً جيداً،وبارعاً
بالكتابة.وكان يعرف ماالذي حدث.
وبدون طويل نقاش
قام به، ولم يتردد أو يتوقف
بل عمل رداً بدون تأخير
الى ملك رجال انكلترا
إنه وفقاً للنظام السائد في بلاده
ولعادات الملك وليم،مع
لوردات وبارونات بلاده
سوف ينهي الآن هذا الخصام
ويفعل مايبدو للجميع أنه الأكثر لياقة.
وإذا ماتولى برجاسية مسينا
القيام بعنف غير لائق

لإيذاء الملك ولازعاجه
يتوجب عليهم القيام بالترضيه.
وعندما الرسل الذين أرسلوا
من قبل الملك رتشارد سمعوا هذا الجواب
البعض بينهم أعلن، بالحقيقة،
وكثيراً تكلموا،باحتجاج واعتراض
لكن بالنسبة لرسل فرنسا
فقد منحوا الكثير من الكؤوس الجيدة.
ووقتها فقد الآخرون صبرهم وتخلوا عنه.

خيانة فيليب

سوف تسمعون الآن عن خلاف عظيم
دونّا أخباره آنذاك وفيما بعد
وهوالذي عمله ملك فرنسا
لأنه—كما يبدو—أرسل رسالة الى
الملك تانكرد سرية جداً
(ولست أدري مالذي تأمله منها)
ليفعل كل مايبدو جيداً بنظره
وأنه هو سيدافع عن حقه
وأنه و هو ملك فرنسا،سوف لن يعلن

- ١٢٧٨ -

الحرب عليه من أجل انكلترا
وأنه أقسم على تقديم العون لتانكرد
وإذا صح هذا،لاقى أجره شراً.
والتاريخ لايضمن ولايؤكد
أنه أبدع مثل هذه الشرور
لكن أصحيح هذا أم غير صحيح،الناس لايجزمون
أنه صدقا قد أرسل رسالة من هذا النوع.
ونكص الذين لم يحصلوا على كؤوس
على أعقابهم وعادوا مسرعين بأقصى سرعة ممكنة
وكانت رسالتهم عالقة في أذهانهم وقد حفظوها
والى مسينا انقلبوا راجعين.

ميتغريفون كان جواب رتشارد

وكان الملك رتشارد آنذاك مشغولاً
ببناء،مع سرور كبير،وفخار
ميتغريفون قوية في شاتو
ملأت الاغريق برعب وحسد عظيم.
وإليه وقتئذ جلب الرسل
تقريراً حول الذي طلبوه
من تانكرد،والذي أعطاهم إياه

جوابا على الطلبات التي طلبوها وأنه
ببراعة قال: القانون سيكون دليله
وهو مع الذي سوف يقرره باروناته
وعلى هذا رد الملك رتشارد.
ولم يتأخر في إعطاء جوابه:
بأنه لن يرفع قضيته لمثل هذا البلاط
بل سيلجأ الى وسائله الذاتيه.
وعندما أعلنت الأخبار وسمعت في الخارج
أنه لن يكون هناك لاسلام ولا هدنة
الخوف من الحرب بات مرعباً جداً
لأن التأييد الذي قدمه ملك فرنسا
للومبارد،الذين كانوا أذكياء وبارعين،
قد جعل هذا الملك حليفهم.

وبناء عليه عرض تانكرد تنازلات

ولم يأت الآن الى الحشد شيئاً كثيراً أو قليلاً
من أي نوع من الأطعمة أو الأغذية.
ولولا أن السفن والرب كان هناك
لما كان لديهم سوى القليل ليتبلغوا به
لكن في سفن الشحن في الاسطول

- ١٢٨٠ -

كان هناك مخزناً للخمر والقمح واللحم.
وكانت البلدة محروسة بالليل بشكل جيد
وحشد من الخفراء قد تمركز
وحراس.وافترق الملكان واختلفا
بسبب الحسد،الذي جعل الناس يفترقون
ولم يكن ذلك عدلاً أو شيئاً له قيمته.
وسعى الناس ذوي المراتب جاهدين لإقامة
سلم بينهما،ولانهاء الصراع وازالته
ولهذا كانوا الى القصر يركبون
ثم الى ميتغريفون يرجعون
أدراجهم على الطريق نفسه ويعاودون.
ولأنهم جميعاً حاولوا،ومجدداً حاولوا
كانت جميع جهودهم بلا جدوى
حسبما ذكر الكتاب بوضوح وبيان

. . . .

أمام ملك صقلية
الذي عرف أخطاء البلدة تماماً
أخذ فارسين—أحدهما كان ابن
مستشاره،وكان الآخر

ميسيمتMeseemeth صاحب شرطه
وكان رجلاً شجاعاً وأهلاً للإعتماد عليه— والى ملك انكلترا بعث
بهما،يحملان رسالة تقول بأن نيته
لم تكن نحو الحرب متجهة بأي سبيل من السبل
لكن إذا كان الملك رتشارد يقبل بالدفع
من أجل ايقاف جميع مطالبه وأحزانه
فهو على استعداد وراغب في اقامة السلام
وأن يدفع من خزانته عشرين
ألف وزنة من الذهب الخالص
وإذا كان بالزواج يرغب،وحوله يريد
أن يتحدث، وإذا ماوافق اللوردات
في أن تكون ابنته،وهي أميرة
غير مخطوبة،وجديرة،وجميلة،
انه على استعداد لتزويجها من آرثر كونت بريتاني
وإذا كان موافقاً على تحقيق هذا
فإنه سيقسم يميناً مؤكداً أنه سيدفع عشرين
ألف وزنة ذهبية اضافية
غير أنه قال:يجب ردّهذا المبلغ إذا لم يتزوج آرثر من الفتاة
ومثل هذا بالنسبة لأخت الملك،هو

- ١٢٨٢ -

سوف يرسلها إليه مجهزة تماماً وراضية.

الأمر الذي قبله رتشارد

وما أن سمع الملك رتشارد هذا ،لم
يضع وقته بالتشاور،أو بالتفكير الطويل
بل على الفور بعث بأساقفة آخرين
لإقامة سلام صحيح ودائم.
الى رئيس أساقفة مونريال
ورئيس أساقفة ريغيو،وكان حليفاً مخلصاً،
وأسقف إفرو،جون عالي الشأن
الذي بحقه اقترف خطأ وألحق به ضرر
فهؤلاء تباحثوا مع رسل الملك
ولقد عرفوا القضية موضع الخلاف
ومضى مع هؤلاء آخرون من ذوي المكانة.
وكان ما نشده هو السلام،وقد عادوا معهم السلام
وجلبوا معهم الذهب
وثروة،أنا الآن سأتحدث عنها.
وعندما عادوا من مهمتهم
ملأ السلام كل انسان بالبهجة
وبناء عليه قرأت الآن مواثيق العهود وتفحصت

وفصلت وتنوعت ونسخت

وهكذا حصلوا على السلام الذي طلبوه وأقسموا

وجرى ضبط الناس والتأكد من ذلك مرة ثانية

وتمّ وزن الذهب وتبرهن أنه صحيح

وأعطى هذا الملك كثيراً جداً من السرور

فقد رغب بهذا المال كثيرا وقصد

أن يصرف في سبيل خدمة الرب .

وجلبت أخته عائدة اليه

وشري ارسالها بثمن مرتفع جداً .

وقد رغب الملك بتحريرها وبعثها بدون تأخير

١٠٣٠ — وكل ما سلبه رجاله وأخذوه

من البرجاسية أو من القلعة

توجبت اعادته . ووافقه تماماً

أن يعترف كل واحد لكاهنه

(وإلا سوف يحرم)

كيف أنه أعاد كل شيء . فهذه كانت نصيحة

رئيس أساقفة روان الحكيم .

- ١٢٨٤ -

واستعيد السلام

كانت البلدة الآن في نظام حسن
بلا خصام أو صخب
وكل من خاطر لإحداث
صراع ، شنقوه على الفور ، أو أعدموه .
وتمتع الحشد بعدل حقيقي وهدوء
بارك الرب بروحه ، الذي أقام ذلك هناك
وسافر الناس على الطرق وارتحلوا كما من قبل
ومرة أخرى توفر طعام جيد كثير
طعام للبشر وعلف للبهائم
وهكذا توقفت الاضطرابات
وسكان المدينة الهادئين ، بسرور
أعطوا الحجاج الضيافات .
وتخلى الملكان عن الخصام . مع أنه بالحقيقة
ما لبث بعد ذلك أن تفجر مجدداً
وبعد أمد ، الذهب بعناية
اقتسماه ، وكل أخذ حصته

كرم رتشارد

الفرسان الذين طوال الصيف كله

- ١٢٨٥ -

كانوا هناك ، قالوا : من الخطأ
الاطالة والتأخير، ورفعوا أصواتهم بالشكوى
لأن الاقامة كلفتهم كثيراً من النفقات .
وذهبت الشكاوي الى هنا والى هناك
حتى وصلت الى مسامع رتشارد الذي وعد بكثير من التجهيزات
لكل واحد حتى يرضى .
ورتشارد ، الذي لم يعرف البخل
ثم أعطاهم عطايا ذوات أثمان عالية
طسوت صنعت من الفضة وكؤوس من ذهب حملوها
في حجورهم ، وكل أخذ بقدر ما يستطيع
وذلك وفقاً لتفاوت مراتبهم
ذلك أن توسعته أكسبته المدح والشكر
من العظيم ، ومن الوسط ، ومن الصغير
وكانت عطايا ه عظيمة جداً
الى حد ، أن كل حاج ، مع أنهم لم يكونوا من الخيالة ،
تسلم مائة قطعة نقدية منه
وأعطى أعطيات ثمينة جداً
للسيدات ، والنساء ، اللائي فقدن
أراضيهن السورية ، وأكثر من هذا

ألقي بهن وطردن من الساحل السوري
وبمثل هذه العطايا المبهجة ، الملك
الفرنسي ، أرضى أتباعه وأفرحهم .
وبات الآن الحشد كله مسروراً
للتشريف العظيم والهبات السخية
ولأعمال القتال التي توقفت
١٠٨٠ — وأقيم الآن هناك احتفال عظيم جداً
٢٥ كانون الثاني ١١٩٠ ففي يوم الميلاد
الملك رتشارد ، صاحب الصدق
عمم النداء ، إن على الجميع أفراد وجماعات
وجوب الاحتفال معه
وجلب ، بالجهد ، وبالكلام
ملك فرنسا ليشارك في مائدته

احتفالات عيد الميلاد

وأقاموا هذا الاحتفال المهيب
في ميتغريغون ، في القاعة
التي بناها ملك انكلترا بقدرة
١٠٩٠ — على الرغم من ارادة جميع سكان المدينة
أنا رأيت الاحتفال والطعام

ولم أشهد هناك منديلاً متسخاً
ولا وعاء ولا طستاً من خشب .
بل رأيت آنية ثمينة وجيدة
محفورة منحوتة بشكل جيد ومرصعة بشكل جميل
وجرى عرض تماثيل غضارية
محلاة بالجواهر الثمينة والمشعة
مما أعطى البهجة وسرور المشهد .
ولقد رأيت خدمات قدمت
بشكل جيد ، فأرضت الجميع وسرتهم .
ولقد كان مهرجاناً جميلاً وبهياً
كما هو لائق ومناسب
وأنا لم أرقط هدايا جمعت بين الثراء
والروعة مثل تلك الهدايا التي
رأيت ، وأعطاها الملك رتشارد
وبكرم منحها الى
الملك الفرنسي والى حاشيته
في صحون من الذهب ومن الفضة أيضاً.

إبحار فيليب نحو عكا

وحان الآن الوقت لجواز البحر

واستعد الآن الرجال الشجعان بحكمة وتدبير

١٨ايلول ١١٩٠ شروعاً من عيد سيدتنا في ايلول

آذار—١١٩١ حتى نهاية الصوم ، حسبما أذكر

كانت الاقامة المؤقتة في مسينا صعبة

الحشد ، الذي تشوق كثيراً جداً

لأن يكون في عكا ، ليشارك في المهام

مع الذين تجرأوا على القاء الحصار

حيث كان هناك كثيراً من الأسى والحزن

أكثر مما زودنا به من أخبار وعرفناه

وشقاء وعذاب بالغ القسوة

١١٢٠— وآلام تحملوها في نصف السنة تلك

والآن عندما باتوا جميعاًمستعدين بشكل جيد

ومن أجل رحلتهم الرب هيأ

كل شيء احتاجوه حقاً

وملك فرنسا الذي نحو البحر اتجه

مع رجاله ، قبل قليل

٧نيسان ١١٩١ من حلول أحد السعف فارق الشاطىء

قدوم بيرنغاريا

ولم يكن ممكناً للملك رتشارد التحرك من هناك

- ١٢٨٩ -

لأن تجهيزاته لم تكن قد اكتملت
السفن والغلايين التي احتاجها
لنقل خيوله المعدة للقتال
وأسلحته وعتاده أيضاً
التي بها سوف يقاتل الكفار.
إحتاج تجهيزها الى وقت طويل جداً
مع القيام باستعدادات أفضل
ورافق الملك الفرنسي
ثم أبحرت على طول جانب بيكون
غلاينيه ، والى ريغيو ذهب
حيث تسلم رسالة أرسلت
تقول إن أمه الى هناك جاءت
وبرفقتها عروسه ، حسناء
وآنسة جديرة ، وصادقة ، وجيدة
ولطيفة جداً في مظهرها النسائي
ومؤمنة ، ونقية من الخطأ أو العار
وبيرنغاريا كان اسمها
وأبوها هو الحاكم في نافار
قد عهد بها الى عناية

- ١٢٩٠ -

أم رتشارد التي جلبتها
سليمة الى جانب الملك رتشارد
ودعيت فيما بعد باسم الملكة ، وقد أحبها
الملك كثيراً،و احترمها
منذ أن كان كونت بواتو
ورغباته كانت دائماً راغبة بها
وقد جعل أمه تأخذها
الى مسينا مع حاشيتها
من الوصيفات ، وكل واحد أخبر الآخر
عن سروره وأنه لم يستطع الصبر
عن الاحتفاظ معه بالفتاة التي
أحبها ، وبعث بأمه الى الوطن
لتتولى حكم بلاده في مكانه
فهي لن تسيء اليه أو تلطخ سمعته
وولتر، رئيس أساقفة روان
وكان رجلاً حكيماً ، عليه اعتمد
معها ليتولى الوصاية على انكلترا
حيث قاتل كثيراًوعمل بمشقة
ومعها ، وبرفقتها

مضى غلبرت أوف فاسكويل Vascueil وكان هو
الذي ترك غيسور تؤخذ
منا . ولم يؤخر الملك
بعد هذا إعداد غلاِينيه
لتحمل ، وجهز سفنه بعناية
وجهز كل شيء للشروع
ولعدم التأخر أكثر للانطلاق
والى البحر بعث بباروناته أمامه
ومثلهم بعث بخطيبته ، الجديرة بالخير
ومضى عدد كبير من الفرسان النبلاء
إلى جانب أخته وخطيبته
في سفينة كبيرة واحدة ، حتى يمكنهم
مواساة بعضهم بعضاً على الطريق

مغادرة رتشارد لمسينا

وأولاً بعث بهم قبل كل شيء
للابحار نحو مشرق الشمس
المراكب من النوع السريع جدا
لم تبق وقتاً أطول في الميناء
وانتظرت الملك حتى يتناول طعامه

- ١٢٩٢ -

ثم أقلعَ الاسطول وانطلق في صفوف

من السفن والمراكب الرائعة .

وحدث في اسبوع الآلام العظيمة

أن غادر الاسطول ميناء مسينا

لاحضار مجد الرب والتأييد .

١٠ نيسان ١١٩١ وكان اليوم يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس

١١٩٠ — عندما عرف الرب الألم وتعذب مجرداً

ونحن بدورنا ، عانينا من جانبنا

من السهر، ومن الخوف ، ومن الرعب

ومسينا حيث على طرف ساحلها

عدداً كبيراً جداً من السفن يمكنها التفاخر والإدعاء

أنه لم يتقدم في يوم من الأيام

أن أقلع من هناك وسافر اسطول بمثل هذا الثراء

- ١٢٩٣ -

الفصل الثاني

عاصفة في البحر

تابع الأسطول ابحاره متقدماً بانتظام
نحو الأرض المقدسة المصابة بالويلات
وبسرعة جاز بيكون وبثبات
نحو عكا في داخل البحر المفتوح
للالتحاق بسفن النقل التي أبحرت
لكن رأينا وقتها توقف الرياح الطيبة
لذلك كان على الملك مسروراً الانعطاف عائداً
وتوجب عليه تلك الليلة التوقف ، لانعدام
الريح ، مهما وقع من أمر وحدث فيها بين كالبير ومونتغبل Montgibel
١١ نيسان ١١٩١ ثم في يوم عيد خميس العهد (الغسل)
والذي أخذ الرياح وأخفاها
إنه هو الذي يمكنه أن يعطي وكذلك أن يأخذ
قام عن طواعية بإعادة الرياح
وأعارنا إياها طوال النهار كله

لكنها كانت ضعيفة ، ولهذا فإن السفينة
القوية والغنية توجب توقفها
١٢ نيسان وفي يوم عبادة الصليب
ضربتنا رياح معاكسة هناك
من اليسار، وكانت شديد عند فياري Viaires (رأس سبارتفنتو)
وجاش البحر من الأعماق واضطرب
وتضاعفت الهبات الشديدة في قوتها
وانحنت الأمواج تحت قوتها
ولهذا لم نفعل شيئاً سوى أننا فقدنا مسارنا
وتملكنا الخوف وأصبنا بالغثيان
وضربتنا الآلام في الفم والقلب والرأس
وصحيح أننا عانينا من شدائد كثيرة
لقد عانينا منها عن طواعية
وصمدنا وصمودنا كان مسوغاً
وكان ذلك من أجله هو الذي تفضل
فتحمل في هذا اليوم الآلام
في سبيل أن يضمن خلاصنا
وكانت العاصفة قوية حتى دفعتنابعيداً
حتى حلول المساء

ووقتها لقينا ريحاً طيبة
مواتية جداً ، وجميلة ، ولطيفة

الابحار الى رودس

فعل الملك رتشارد أفاعيل جيدة
وكان نحو الخير سريعاً ومتدفقاً
وكان من عادته كل ليلة
أن يضع على سفينته اضاءه
مصباح مشتعل يرى
بوضوح كبير وبشعاع لامع
ويظل مشتعلاًطوال الليل حتى طلوع النهار
ويري السفن الأخرى طريقها .
وكان معه بحارة جيدين
عناصر صامدة ، وبارعة في حرفتها
واتجه الجميع نحو مصباح الملك المضيء
ونادراً ما رفعوا أنظارهم عنه
واذا صدف وضلت سفينة وتاهت
بكرم أوقف الملك سفينته
وهذا الاسطول العظيم بسفنه ورجاله
قاده ، مثلما الدجاجة الأم

تقود صيصانها نحو الطعام .
هكذا كانت فروسيته الأهلية
وطوال تلك الليلة أبحرنا ، متحررين
من سوء الطالع ، ومن الأذى
١٣نيسان وعشية عيد الفصح ، الذي سيكون غداً
الرب قادنا من دون حزن أو أسى
وتلك الليلة أيضاً ، وبدون تأخير
١٤نيسان وكذلك طوال يوم عيد الفصح
ولمدة أيام ثلاثة كاملة تقدم الاسطول مسرعاً
ولم يتباطىء الابحار أو تنخفض السرعة مطلقاً
الملك نفسه تولى قيادة الاسطول
١٧— نيسان ويوم الأربعاء غدونا على مرأى من كريت
وتوجه ملك انكلترا نحو اليابسة
ليطوق الجزيرة، وليكون على مقربة من الشاطىء.
هناك ومعه اسطوله أقام
لكن خمساً وعشرين مركباً ضاع
تلك الليلة، وجرفوا بعيداً عنا
مما أزعج الملك وأغضبه
وبالأسى وبالحزن تمزق

-١٢٩٧-

وتحركت الأشرعة في الصباح

١٨— نيسان و أبحرنا نحو رودس — وكان ذلك يوم الخميس —

— وهي جزيرة أخرى لم تكن بعيدة.

وكانت الرياح قوية، والأمواج عالية

وكانت سريعة وبقدر ماتعاظم حجمها طارت

وهكذا سارت السفن مسرعة وبصوار فيها انحناء

والرب قادنا مسرعين بشكل رائع

وعلى طول ساحل رودس أبحرنا

مع رجل بحار لم يخفق قط

علامته أنه بسرور نظر

إلى الطريق الذي أخذه شعبه.

وهكذا مضينا — والحقيقة هي ما أرويه —

— مسرعين حتى حل ظلام الليل.

ووصلنا في صباح الغد إلى

مضيق، دخلناه وسرنا به نزولاً

وتملكت أشرعتنا راحة من الرعب

٢١— نيسان وبقينا هناك حتى مضى يوم الأحد

وإلى رودس وصلنا عند الصباح

وهي المدينة التي فيها ولد هيرود

- ١٢٩٨ -

هم توقفوا في رودس ثم تابعوا نحو أضاليا

كانت رودس بلدة هائلة جداً
وقديمة، وآثارها مشهورة
وكادت أن تكون نظيرة لروما، مع أنه
من الصعب معرفة الحقيقة كاملة.
فكثير جداً من سكانها اندثروا
وخرائب، وأسوار، وأبراج كانت مشعثة
وعدد كبير من الكنائس قد بقي
وكثير جداً من الناس سكنوا هنا وعاشوا
سنيناً كثيرة، وكذلك أجيالاً عديدة
وفي وسط مثل هذه المقاطعة الموزعة
لا يمكن لانسان أن يحصي ويدون
من دون انزعاج كبير جداً.
فأوجه أصالتها وعظمتها
تداعت ولفها الاهمال
ومع هذا ما يزال يعيش هناك
أناس باعونا طعاما وأعلافاً
وبما أنه صدف أن كان الملك
مريضاً ويعاني بعض الشيء

وافقت حاجاته التوقف في رودس
وجهد في البحث وليعرف
فيما إذا كانت سفنه الضائعة قد ذهبت.
وغلايينه التي أشرف عليها
تبعته وسارت على مقربة منه إلى اليابسة
وسأل هنا، وتقصى الأخبار
حول الملك الطاغية الذي حكم
جزيرة قبرص، والذي احتجز
الحجاج هناك، وعشرة أيام أمضينا
في رودس، ثم، عندما مضينا نحو الأيام
١ أيار ١١٩١ كان ذلك في اليوم الأول من أيار
فيومها أقلع الاسطول وسار على طريقه
من رودس، بأشرعة منشورة للهواء
مباشرة نحو خليج أضاليا
حيث الممر مخيف مرعب
ولا يوجد أسوأ منه في أي مكان
فهناك أربعة بحار تتحارب بشكل دائم
وكل واحد منها ينازل الآخر
وما أن أعددنا أنفسنا لدخول

الخليج، حتى هبت ريح عنيفة جدا
وساقتنا إلى الخلف، وإلى حلول المساء
كنا ما نزال عند نقطة دخولنا
ثم غيرت الريح اتجاهها، ومثل هذا التغيير غالبا ما يحدث
وبلطف سبلها لانت
ثم من الخلف بشدة وجهت ضربة
نحونا جعلتنا نمتلىء بالرعب
لأن الخليج الذي كنا فيه
أعطانا من الرعب الشيء الكثير

سفينة تحمل أخباراً من سورية

وتولت سفينة الملك قيادة الطريق
حسبما كانت العادة كل يوم
وتطلع الملك نحو البحر الهائل واستطلع
فراى بارجة تقترب من حيث كان
وكانت عائدة من سورية
وبما أنه اشتاق كثيرا نحو سماع الأخبار
اقترب منها ليطلب
الأخبار عن الأرض المقدسة ومنها .
وقد أخبروه بأن ملك فرنسا

- ١٣٠١ -

قد رسا ونزل اليابسة بدون أذى
وهو عند عكا ينتظره هناك
وفي كل يوم يعمل لاعداد
آلات حرب ليأخذ بها المدينة
وفكر الملك رتشارد وخطط لإعداد
خطة مختلفة ورسمها في ذهنه.
أما الآن والبارجة تركت وعنه كثيراً ابتعدت
واصطرع الملك الآن مع الرياح
حتى أذن الرب له بالوصول
إلى أمام قبرص، واقترب من اليابسة،
فالرب قد ألقاها بين يديه.
ووجد أخته وعروسه
كانتا هناك، وكذلك جميع رجالهما.

طاغية قبرص الغدار

أصغوا إلي، يا سادتي، واسمعوا كم من المعاناة
وكم من الاحباطات الهائلة
وكم من الاضطرابات، والعواصف، وغرق السفن
وكم من النكسات والحملات
وكم كانت الرغبات عظيمة، والمآسي هائلة

-١٣٠٢-

وكم من الفواجع والنوازل الكبيرة
تحملته أرض سورية هذه
قبل ضمان انقاذها
وكان الألم بلا حدود من أجل
خسارة الامبراطور الألماني
الذي إلى هناك توجه بأبهة كبيرة
فقط ليموت هكذا بشكل مفاجيء
وامتحنت الأرض المقدسة بشكل مؤلم
عندما هنري، ملك انكلترا، مات
هنري الجيد، الذي كان حكيماً جداً
وامتلك ثروات وامكانات كبيرة
كافية لتمكينه من الاستيلاء على جميع
البلاد، وانقاذ بلدة صور.
وقد كان مصدراً لمزيد من المتاعب
عندما مات وليم، الملك الجيد
الذي في غالب الأوقات جلب إليها العون
وعندما توفي، قام حزن عظيم ومناحة عليه.
وألم بالمملكة سوء حظ عظيم وكوارث
من مآسي مثل هذه وحظوظ عاثرة

لكن ما من أحد سبب لها من الأحزان العظيمة
والعذاب والتعاسة والشقاء
مثلما جاءها مرسلاً من قبرص
وهي جزيرة غنية قريبة من ساحل سورية
للمملكة بعثت بكثير من العون فيما مضى
لكن الآن لم يعد يأتي شيئاً من تلك الجزيرة
لأن طاغية الآن سكن فيها
مع كل الشرور والمساوىء وتعامل
بالغدر والفساد والخيانة وكان
أسوأ من يهوذا أو جنلون
وعن جميع المسيحيين تخلى ولهم هجر
ولصلاح الدين اتخذ لنفسه صديقاً.
وعنهما قيل وبمثابة حقيقة روي
أنهما وقّعا فيما بينهما ميثاق صداقة.
بشرب كل واحد منهما لدم الآخر
وقد تبرهن أن هذا ليس زيفاً ولااختراع
وسواء أكانت دولته امبراطورية أو ملكية
من المتوجب حقاً تحويلها إلى دمار
وهو نفسه أن يدمر ويحطم

فهو إن لم يوقف، بدون ضبط أو ربط
لقوى الشر سوف يثير
وسيصيب بالطاعون الرعايا المسيحيين الطيبين عند الرب

محاولات لأسر الملكتين

من مراكب رتشارد التي تفرقت
ثلاثة ألقيت هنا على الساحل وانشطرت.
الذين نجو من غرق السفن و
وسط المخاطر شقوا طريقهم نحو اليابسة
أمر بانتزاع أسلحتهم منهم ثم جعل
منهم أسرى لديه ومغدور بهم
لأنه من خلالهم ضمن لنفسه
السلامة، لكن لمدة وجيزة من الزمن
لأنه هنا الذي افتقر إلى الصدق وإلى الشرف
عرضهم مباشرة للهجوم والحملة عليهم.
غير أنهم دافعوا عن أنفسهم بثبات وبشجاعة
وباعوا بالحقيقة غضبهم بثمن مرتفع جداً
فكل واحد من ثلاثة منهم كان لديه قوس واحد
لم يعلم به الاغريق السفهاء.
وكان هناك رودن دي هيردكورت Herdecourt

- ١٣٠٥ -

رجل الملك، وواحد من أعضاء بلاطه.
الذي على ظهر مهر منهك امتطى
وبسرعة قطّعهم وأنقص تعدادهم
ووليم دي بوي Bois وهو نورماندي كذلك
وكان رامياً ماهراً، رمى بنشابه بشكل جيد
فطعنهم وأصابهم بالوجه وبالظهر
ما من آلة، كان يمكنها احداث خوف أعظم.
وهكذا، شقوا بشكل علني طريقهم
إلى حيث السفن كانت راسية بالميناء
فإلى هناك كانت الملكة قد جلبت
وهناك كانت معركة هائلة قوتلت.
وقاتل الأسرى ببسالة.

وصول رتشارد لمقاومته

وعندما علم الملك بهذه الخيانة
أمر بالتوقف في الميناء، وعندما عرف
بالأذى الذي لحق برجاله
ورأى مركب أخته، حيث
انتظرت وصوله في خوف عظيم
ورأى الرصيف كله قد غطي من

– ١٣٠٦ –

قبل هؤلاء الاغريق الحقراء والجبناء
وهم يريدون اقتراف المزيد من الكفر، فمنعهم
وعلى الفور نزل إلى الشاطىء
الذي فكر الطاغية بالدفاع عنه
لكنه لم يتجرأ على مواجهة الملك الأبي
٦– أيار ١١٩١ صباح يوم اثنين كان هو التاريخ
الذي تفضل الرب بتعيينه
للملك ليقوم بتنفيذ هذه الأفاعيل
لينقذ السفن الجانحة في وقت حاجتها
وليحفظ أخته من المساوىء
وليتولى تحرير عروسه.
وكان مكروهاً لكل واحدة من السيدتين
اليوم الذي وصلتا فيه إلى هذا الميناء
لأنه كان مؤكداً أن الامبراطور سوف
يعتقلهما معاً لو أنه فقط استطاع.
وخطط الملك لمهاجمة الميناء
وبيسر كان سيستولي عليه لولا أنه لم يخل
من مدافعين، لأن الامبراطور
نفسه جاء إلى الساحل نازلاً

- ١٣٠٧ -

مع جميع أعوانه وكل
من استطاع أن يستأجره أو يأمره.

وأهين من قبل الامبراطور

واختار الملك رسولاً
وجعله يجذف باتجاه الشاطىء مباشرة
وإلى الامبراطور توجه، ومنه
طلب بكل لطف وأدب
أن يعيد كل ما هو عائد
إلى الأسرى وأن يعوض عن الأضرار
التي ألحقها بالحجاج
والتي جلبت الدموع لكثير من اليتامى.
ورد الامبراطور بازدراء واستخفاف
كان عظيماً إلى حد أنه فاق كل التحمل
وأجاب الرسول
بغضب غير ملجوم قائلاً: «Tproupt sir »
ولم يكن يرغب في أن يعطي جواباً ألطف
بل غضب وسخر واستهزأ
وعندها على الفور عاد الرسول مسرعاً
إلى الملك وأخبره بما قيل.

-١٣٠٨-

وسمع الملك الكلمات القبيحة، ثم التفت
نحو رجاله وقال: «سلحوا أنفسكم»
الأمر الذي نفذوه جميعاً على الفور
دونما توقف أو تأخير طويل.
وتوجب الآن في القوارب الصغيرة لسفنهم
ايداع أنفسهم، وهم شاكي السلاح
وملئت القوارب بفرسان جيدين
وبرماة الجروخ البواسل والبارعين
ومثل هذا حمل رجال عدونا قسياً عقارة
واصطف رجاله واتخذوا مواقعهم على الساحل
وكان لديهم خمسة غلايين، أيضاً، وكانوا
مسلحين وجاهزين للقتال.
لكن لدى رؤيتهم لسلاحنا، غير مأمونين
شعروا، وخافوا من سوء المنقلب.

تحقيق الانكليز لإنزال بالقوة

في ليماسول، بلدة قائمة هناك
تأصل القتال وهناك اندلع
ولم تكن نافذة أو بوابة هناك تركت
أو سلاح مناسب للمتطوعة

أو برميل أو وعاء أو ترس أو دريئة
أو غليون قديم، أو بارجة عتيقة
أو لوح أو عارضة خشبية أوسلم أو قطع من أي نوع
كان بإمكانهم ايجادها متوفرة للنقل
إلا وجلبوها إلى الساحل
بقصد ايذاء الحجاج بالقدر الممكن
واصطفوا مسلحين على الرصيف، وشعروا بفخار تجاوز
شعور أي انسان يعيش في الكون
وكان معهم أعلام خفاقة وصفوف
من المعدات الثمينة والأشياء الزاهية
وامتطوا خيولاً قوية وسريعة
أو على بغال جميلة أو مهرة
ومثل الكلاب نحونا نبحوا ومنا سخروا
لكن فخارهم بسرعة اختفى
ومن البداية كنا نحن معاقين
لأننا من البحر جئنا مباشرة سائقين
وأرسلنا بقوارب صغيرة جداً ، لابل صغيرة الى أبعد الحدود
وبجيشان البحر مزقنا
وقذفنا وتأرجحنا الى هنا وهناك وأنهكنا .

وكل واحد منا على قدميه ، انحنى
بثقل سلاحه ومعداته
وكانوا هم في بلادهم
لكن بالحرب كنا نعرف أكثر منهم كثيراً
وأقواسنا العقارة أصابت مقاتليهم
وكثير منهم لم ينج منها ، أنا عرفت .
وعلى الغليون رجال ، غير مدربين
على الحرب ، في البداية أمطروهم بنشابهم
وجرحوهم وآلموهم كثيراً وطعنوهم
حتى أن كثيرين قفزوا من قواربهم
الى الماء ، أربعة فأربعة
وكل واحد منهم تعثر بالذي قبله
ثم قلبت غلايينهم
واستولي عليها وشغلها رجالنا
ورماتنا ومثلهم رماة الجروخ
أرسلوا سحائب من النشاب على أعدائهم
ونكص الاغريق على أعقابهم أمام الرمايات
ووقتها كان عليك أن تسمع جندنا وهم يسخرون
منهم ، مثلما سخروا منا قبل وقت قصير مضى

قبل أن نبدأ هجومنا
وعلى كلا الجانبين رمى الجند وقذفوا
نشابهم فيما تابع مجذفونا الاندفاع
بثبات ، بينما سحابة كثيفة وسريعة
من النشاب والجروخ نحوهم رميت
وكل الشاطىء على طول الرصيف
امتلأ بأناس متوحشين وهمج
وأعمال جريئة كان بإمكانك
أن تراها ، وأن ترى مقاتلين بارعين في القتال
وعندما رأى الملك كم من الأذى لحق
بجماعته ، كان على وشك أن يضع قدميه
على اليابسة ، ومن قاربه قفز
الى البحر ، وبقوة طعن
الأغريق ، وسار البقية بعده
وتبعوه . وقام الاغريق بالدفاع
وانصب رجالنا وعلى طول الشاطىء انتشروا
يضربون الاغريق ويلحقون بهم الهزيمة .

تمزق الاغريق

ثم هل رأيت انهمار النشاب

– ١٣١٢ –

والاغريق وقد تمزقوا وقتلوا
وبشدة شديدة صدموا وبقسوة ضربوا
والى داخل البلدة سيقوا وأبعدوا
وعساكرنا مثل الأسود بسرعة طاردوهم
وللرجال وللخيول قطعوا وبتروا .
وأمام شعب اللاتين الشجعان
الاغريق والأرمن هربوا وانسحقوا
حتى الى الحقول انهزموا فارين
وطاردهم رجالنا عن قرب وساقوهم
والامبراطور نفسه ، الذي انهزم
تبعه الملك مباشرة ولاحقه
حتى ، توقف في طريقه وهو يطارده
فقد جاء على ظهر فرس أو حصان
على ظهره بدلاً من السرج حقيبة
وركابات من الخيش امتلك الفرس العجوز .
وبقفزة ، تجاوز السرج وتخطاه
والى الامبراطور المزيف صرخ وقال :
« تعال أيها الامبراطور ، وقارع ، تعال مسرعا»
لكنه للقراع لم يكن لديه مزاج

- ١٣١٣ -

وطاردهم في التلال

وأعطى الملك الأمر بالترجل من على
ظهور جميع الخيول ، بعد حلول الظلام
وأمر بجلب جميع غلايينه
وعن الامبراطور كان لا يعلم شيئاً
ولم يدر لأي طريق سلك
ثم تركت الخيول للرعي والاستراحة
لأنها كانت كلها منهكة ومعقورة
ومتيبسة بسبب الشهر المتقدم كله
الذي أمضوه فوق ظهر البحار
حيث لم يكن بمقدورهم الاضطجاع بحرية
وبهذه الاستراحة القصيرة ، كل متاعبهم
بدأت تزول ، وأخذوا يعودون الى طبيعتهم
وفي الصباح مباشرة امتطى الملك حصانه
فهو الذي تولى هذا الأمر شخصياً
وفي داخل بستان للزيتون ، على محاذاة
طرف الطريق ، ليس بعيداً كان هناك حشد
من الاغريق واقفين ومعهم أعلامهم
وراياتهم من مختلف الأشكال والأنواع .

ومن هناك طردهم الملك ، ثم وضع
على رأسه خوذة من الفولاذ
وسريعاً أخذ بالمطاردة
ثم كان بإمكانك أن ترى رجال شجاعة وصدق
يطاردون عن قرب من قبل طلائعنا
وقد فروا ، وضغطنا عليهم بسرعة وشدة
حتى تصادم رجالنا مع
حشدهم الأساسي ، وطاردناهم ، وهربوا
ووقتها أوقفنا مطاردتنا
وهم بدأوا بالصراخ والنباح
وصاحوا وأصدروا صخباً عالياً
(فهذا ما أخبرنا به الذين سمعوا الأصوات)
إلى حد أن الامبراطور في خيمته
سمع — كما قيل — الصراخ والعويل
من مسافة تزيد على نصف مرحلة
مما جعله ينسحب ليقيم
وتغدى ونام بينما استمر الصراع
لكنهم بجرأة انقضوا عليه
فقام وصحبه بامتطاء الخيول

والى الجبال توجهوا وركبوا الطريق
ليروا فقط ما كان بإمكان رجالهم أن يفعلوا
وهم الذين عرفوا الرماية ولم يعرفوا شيئاً آخر .
وظلوا يصرخون ، وحول الحلبة يدورون
ورجالنا لم يتحركوا من مكانهم

رتشارد يطارد دون مبالاة بالمخاطر

والى الملك جاء كاتب غير مسلح
هيوج دي لى مير ، كان اسم الكاتب
والى الملك أعطى نصيحة ، مولاي
قال له : ابتعد من هنا ، وتراجع
إن لديهم قوة عظيمة تتجاوز التعداد
وقال الملك : الى دفاترك
عد أيها السيد الكاتب ، ابتعد واكتب
واجعل نفسك نائياً عن القتال
ودع لنا أمور الفروسية والنضال
من أجل الرب ومن أجل القديسة مريم
هكذا قال هذا الرجل مع آخرين
لدى رؤيتهم الأعداد بهذا العدد الهائل
لأنه في تلك الساعة وقف أمام ذلك الحشد

-١٣١٦-

أربعين فقط ، أو إذا بالغنا قلنا
خمسين ، من الفرسان الجيدين وراء الملك
ولم ينتظر الملك الشجاع أن يُهاجم
بل انقض عليهم بإندفاع
أسرع من ضوء أي برق .
مثلما ينقض على قنبرة طائر صيد
(وكل من رأى الانقضاض ذلك اليوم أثنى عليه.)
وهكذا انقض الملك واندفع نحو الأمام
وطعن الحشد الأغريقي الشرير
ومزق وفرق جمعهم
ورماهم بالرعب وضربهم بالفزع
وسبب لهم الفوضى واليأس
وفي الوقت نفسه تجمع رجاله هناك
ومع ازدياد قوته بالعدد
أسروا كثيراًمن الأغريق أو قتلوا
ودون احصاء للذين بدناءة فروا
ما من انسان يمكنه أبداً أن يحصي القتلى
لأن الذين منهم كانت لديهم خيول
صعدوا تلالاً وهبطوا ودياناً دونما توقف

ثي حين الرجّالة ، الجماعات المتواضعة والبسيطة
أخذوا جميعاً أسرى ، أو قتلوا

الاستيلاء على العلم الامبراطوري

وكان القتال شديداً ، وحيثما ذهبت
كانت هناك خيول ملقاة على الأرض .
ودروع وأعلام ، ورماح وسيوف
ملقاة هنا وهناك ، شذ ر مذر فوق سطح الأرض
بينما تمايلت خيول محملة وتأرجحت ووقعت
ولدى رؤيته أن رجاله لن يستطيعوا ايقاف
حملتناوأن أكثر فأكثر
قوتنا ازدادت ، الامبراطور
الى ذروة الجبل انسحب
مع طا قمه من الأغريق والأرمن
متخلين لنا عن البسائط
وعندما رأى رتشارد ملك انكلترا
أنه هكذا فرّ وهرب
تاركاً عساكره في مأزق صعب
أقدم الملك على الرجل الذي حمل
راية الامبراطور

- ١٣١٨ -

وضربه فألقاه أرضاً ، وتلقى بيده
الراية ، وأصدر أوامره
بأن تحرس بكل عناية
ورأى قواتهم المقهورة تنهزم
مثل ذبابات في وسط العاصفة ، وكثيراً من الرؤوس
وكثيراً من الأجساد المجروحة تنزف
ولم يعط أمراً بالمطاردة :
فقد عرف ، أنه لن يستطيع أسرهم
وكان فرنجتنا شجعاناً وأقوياء
قد طاردوهم مرحلتين كاملتين

الأسلاب الثمينة

ثم ببطىء عاد أدراجه ، وعطف
طريقه ، أما جنده فلم يتوقفوا
عن الاستيلاء على صحون ثمينة
من الذهب والفضة ، غالية ، ومزينة
تخلى عنها الامبراطور
وكانت هناك خيمته المضروبة من قبل :
وفيها جهازه وثيابه وفراشه الشخصي
وكثير من الملابس الحريرية وأقمشة لونها أحمر

وخيول وبغال محملة الى أبعد الحدود
وكأنها كانت سوق البلدة
وهناك كانت دروع وخوذ وسيوف أيضاً
ملقاة جانباً هنا وهناك
وثيران وأبقار، وماعز،و أوز
كلها حيوية، وجميلة ورائعة
وأكباش وشياه وخرفان كانت هناك
وكثير جداً من المهرة والأفراس
والديوك والدجاج وديكة مخصية سمينة
وبغال سمينة تماماً قد حملت على
ظهورها القوية ألحفة جميلة مطرزة
وثياباً ذات مظهر جميل وثمين
وخيول جيدة تساوي أكثر بكثير
من خيولنا،لكنها الآن منهكة ومعقورة
ومثل هذا أسروا ترجمانه
الذي اسمه — كما سمعت — جون
واغريق وأرمن بأعداد كبيرة
حتى أنهم أعاقوا الطرق العامة
وخمور جيدة وأطعمة بكميات هائلة

مامن أحد قادر على احصائها أو الحديث عنها.
وأمر الملك باعلان منع وتوقف
وأعطى الأمان بالطول والعرض
لجميع الناس سكان البلاد
الذين ليس لديهم رغبة بالحرب،و
الى الذين ليس لديهم رغبة بالسلام
لم يعدهم لابهدنة ولابكف عن القتال

قدوم الملك غي من سورية

١١—أيار ١١٩١في يوم السبت من ذلك الأسبوع نفسه
الذي أحلّ بالاغريق الويلات الهائلة
وصل الى ليماسول ثلاثة غلايين
من قبرص عائدة بطريق البحر
مع ملك القدس
وعدد كبير من شعبنا حدقوا به
إنه غي لوزغنان،فهو كان الملك
الذي عانى كثيراً من الآلام والمصاعب .
للدفاع عن أرض ربنا ومولانا
وقد توجب عليه مغادرتها أخيراً
لأن ملك فرنسا كان يسره—

الأمر الذي سبب لقلبه الكثير من الآلام—
الاساءة إليه وطرده وخلعه
والى المركيز أن يعطي التاج
ولهذا ترك البلاد وفرّ
والى ملك انكلترا باردمسرعاً
لينقذه،خشية أن يسقط
وكان الملك مسروراً أنه جاء
وعلى الفور مضى للقائه واستقباله
ويمكنك أن توقن تماماً وتعرف
أنه استقبله بكل حرارة
لأنه كان من أسرة عظيمة
وحمل أقرباؤه كثيراً من الأسماء النبيلة
وكانوا معه عندما جاء
وكان واضحاً تماما
أنهم لم يكونوا من أصل دنيء
وأظهر الملك سروره بقدومه بشكل واضح جداً
وأكرمه وشرفه بمختلف الأنواع
وأعطاه من ممتلكاته
(وصدر ذلك عن حكمة ولطف زائد)

- ١٣٢٢ -

كما أعتقد،ألفي مارك تماماً

(وهي هدية ليست ذات قدر صغير)

وأعطاه عشرين كأساً،كما أخبرت

اثنتان منهن صنعتا من الذهب الخالص

زواج رتشارد من بيرنغاريا

١٢—أيار وفي اليوم التالي لذلك اليوم

كان زواجه من عروسه الجميلة

وحدث في ليماسول أن جرى تتويج

أجمل عروس يمكن أن توجد

في أي وقت وفي أي مكان

١٧٤٠— ملكة فاضلة مع وجه جميل

وبات الملك الآن الأكثر روعة

لأنه كان المنتصر

ولأنه تزوج من الفتاة

التي كرس لها حياته وعاهدها بلسانه

رتشارد ينظم قوته

والآن وقد جاءت غلايينه،التي

انتظرها بفارغ الصبر

وظهرت وهي مسلحة بشكل جيد

حتى أننا لم نر لها نظيرا
وكان مع السفن الأخرى،الخمس
١٧٥٠ — التي ربحناها،ومعهم وصلت
ومع الأخرى التي كانت في الميناء
والتي التجأ إليها التجاء كاملاً
سلح من السفن أربعين سفينة تماماً
ساوت بالقيمة خمسين سفينة،وربما أكثر
واستولى فيما بعد على السفينة
الرائعة مع طاقم بحارتها الكبير من الرجال الشجعان
وكان تعدادهم ثمانمائة رجل،فهكذا قدروا
وكانوا جميعاً من الترك والفرس،غير معمدين
وأردا الملك انزال المزيد من ضرباته الغاضبة
١٧٦٠ — على الأرمن الملعونين والاغريق
وأعد حشده للقتال
وطلب من حراسه الحراسة أثناء الليل
على أمل أسر الامبراطور
في قلب أملاكه الشخصية

الامبراطور يتوسل للسلام

بعد هذه المتاعب وإثرها

– ١٣٢٤ –

عندما تحمل الاغريق عاراً عظيماً
كان الامبراطور في نيقوسيا
هو شخصياً ومعه جماعته الكبيرة
وقد أصيب بحزن عظيم،وبغضب،واذلال
لأنه فقد جميع رجاله في القتال
ولأن قواته هربت وفرت
ولم يجد مواساة
فقد نظرت بلاده إليه نظرة كراهية
وكان خوفه من ملك انكلترا عظيماً
ولهذا بعث إليه برسول
يعده بتقديم تعويض.
وأكد أنه سيقدم إليه
وسوف يقسم بلسانه على الولاءله
والى سورية سوف يرسل
مساعدة أعدها للملك هي خمسمائه
رجل من الخيالة،سوف يقفون بثبات
في سبيل الرب،وسيطيعون أوامر الملك.
وزيادة على هذا وافق
على إعطاء الملك المزيد من الضمانات

- ١٣٢٥ -

من ذلك ضمانة وضع قلاعه تحت تصرفه
ومعها ميراثه الغني
وتعويضاً عن الرجال الذين قتلوا أثناء الاضطراب
سيدفع ثلاثة آلاف وخمسمائة مارك.
وإذا ماأطاع أوامر الملك وخدمه
بأمانة،سوف يسترد منه بلاده.

إقسام أيمان التبعية لرتشارد

ولم يكن الملك غير مهتم بالصفقة
وكذلك مثله كان الامبراطور،وكلاهما
حددا بسرعة موعداً ومكانا
حيث يمكن خلاله وفيه التباحث
وكان المكان بستان تين وقع
فيما بين الشاطيء والطريق العام
المؤدي الى ليماسول،كما يبدولي
وهناك اجتمعا مع وفدين كاملين
وكانت هناك مسائل قيل عنها وأخبر
إنها أفضل مما كان قد أنجز
وجمع الملك اليه مستشاريه
تشاور مع أكثر رجاله عقلاً وحكمة

- ١٣٢٦ -

وقال للذين جلسوا هناك
والذين كثيرا رغبوا بمثل هذا السلام وإليه تطلعوا:
« سادتي اللوردات أنتم ذراعي الأيمن.انظروا
فيما إذا كان مثل هذا الاتفاق ممكناً
وانظروا أن ذلك لن يلحق ضرراً
بشرفكم،الذي هوهنا موضع رهان
لأنه إذا كان يرضيكم،سوف
يتم،لكن لن يكون إذا ابدا لكم سيئاً».
فقالوا:«مولاي،نعتقد أنه جيد
وبوساطة مثل هذا السلام نحن مشرفون»
وبناء عليه عادوا،وفي الحقيقة
وافقوا على جميع شروط السلام.
والى الملك،الامبراطور
أقسم الآن يمين الولاء
وأعطاه ضمانه،وبوقار
قبله قبلة الولاء والاخلاص

وتلقى الهدايا

وقام الملك بتعويض الحشد
الذي تضرر،وكان على الفور هناك

وأعطى وعداً صادقاً أنه سيضاعف ثلاث مرات ثرواته
والخيام الثمينة جداً،التي
استولى عليها أثناء الهزيمة
التي أنزلت بالاغريق الأدنياء
(وكانوا من أفخر القماش،كما كانوا
كما أعتقد،خيم الامبراطور الخاصة)
وصحون ثمينة بكميات هائلة
أرسلهم برفق كبير وبحكمه
الى الامبراطور،الذي لم يستخف أبداً ولم يرفض
١٨٣٠ —الصحون،وأعاد الخيم
الى البقعة التي كانوا فيها قبل
المفاوضات التي عنها تحدثنا.

الامبراطور يهرب بغدر

في ساعة صلاة المساء نفسها
عندما اتخذوا قرارهم حول هذا السلام
حدث أن كان لدى الامبراطور بين رجاله
فارس صاحب لسان شرير
كان اسمه بيان أوف كيفاس (صاحب حيفا)
أقذر من كلب كان

لقد جعل الامبراطور يعتقد أن الملك

١٨٤٠ — سوف يتخذه أسيراً،وكانت المسألة

ليست أكثر من مجرد كذب مخجل.

فانطلق الامبراطور،وقام بالفرار

وامتطى ظهر حصان سريع،وتقدم

نحو الأمام—وكان فوفلFauvel اسم حصانه—

وسار مسرعاً بعيداً وكأنه الى فرح متجه

وسار بعيداً غير قادر على ضبط نفسه

وترك الجهاز والخيام خلفه

مثل انسان فقد عقله تماماً.

وخلف فرسين سريعين وقويين

١٨٥٠ —وفر وهو يائس بلا توقف.

مطاردته من قبل رتشارد وغي

وعندما علم الملك رتشارد بخبر فراره

لم يمكنه اللحاق به أو مطاردته

لأنه لم يرغب في أن يحدث خرقاً

للهدنة،ولم يكن لديه فرس يمكنه من الوصول

إليه،ومع ذلك،عندما سمع بفراره

لم يرغب له الذهاب بهدوء

من دون ثمن،وبناء عليه أمر بالتماسه
براً وبحراً،والبحث عنه
من قبل غلايينه، التي كانت تبحر تلك الليلة
نفسها،ومالبث أن وصل الى فيماغوستا
وتوجه الملك نفسه معهم الى هناك
وهوقلق وراغب في تسوية الأمور
وأخبر ملك القدس بوجوب
أن يتبعهم على طول الشاطىءوأن يسايرهم
ليرى فيما إذا بامكانه العثور على الخائن
هذا الامبراطور،هذا المعتدي الناكث
ليمينه الذي أقسمه.ودونما تأخير
انطلق الملك غي وأخذ طريقه
وبعد مسير ثلاثة أيام
وصل الى فيماغوستا،بدون شك
التي منها سكانها هربوا.
وهناك ألقى الملك رتشارد بمراسي
سفنه،وأمرهم بالمراقبة
بعناية البوابات،وأن يتشوفوا
حتى لايتمكن رجلهم من الفرار بلا عقاب

ويتخذ طريق نجاته عبر البحر.
وترك الغلايين حيث مضت
ولمدة ثلاثة أيام مكثوا في البلدة

رفض رتشارد التماس فيليب بالاسراع نحو عكا

في أثناء استمرار إقامته
قدم الى هناك رسولان من فرنسا.
أحدهما درو دي ميلو،هكذا قالوا
ومعه أسقف بوفياس
وقد جاءا باصرار لحث
الملك—وضغطا عليه ليتجنب
الإهانة—للاسراع بالذهاب الى عكا
لأن ملك فرنسا لن يزحف
للقيام بأي نوع من القتال
حتى ينال دعم رتشارد وتأييده.
وضغطا عليه وشددا،وحاولا
إيلامه وما كانا ليتوقفا
حتى أثارا غضب الملك
ورفع الى الأعلى حاجبيه
وتفوه بكلمات غير موائمة

- ١٣٣١ -

لتكتب هنا وتدون
وعبثاً كانت المحاولة في حثه على الاسراع
وكانت الكلمات التي تفوها بها مجرد ضياع
وهو نفسه قام بعمل سريع
وبما أنه مع الاغريق بدأ
نصف ثروات روسيا لن يعبأ بها
وسوف لن ينعطف ليتجه نحو سورية
حتى يسحق القبارصة
الذين من جزيرتهم يمكن الحصول على ميرة كثيرة
ولن يتخلي عن مغامرته
حتى ينال عنها جائزته
ومع هذا سعى هذان السفيران
الى حثه للتخلى عن تقاعسه

الزحف نحو نيقوسيا

وهكذا،مع حشده المجتمع،هو
تحرك مباشرة الى نيقوسيا
وحمل كل واحد سلاحه،وكل واحد
حمل من الطعام مؤونة كاملة.
والامبراطور الذي اختبأ قريبا من هناك

على الجيش الزاحف تجسس
وقاد الملك قوات الساقه،خوفاً
وخشية أن يأتيها الأذى من الخلف.
ثم من الكمين حيث اختبأ
قام الامبراطور بهجوم سريع
مع قوة سبعمائة رجل
الذين جبنهم سبب،ألماً محيراً.
فقد أرسلوا رماياتهم نحو رجال الطليعة
الذين تركوهم يتقدمون مباشرة
نحوهم،واشتبكوا معهم على الاطراف
ومثل توركبلي سريع ،ركب
الامبراطور،وبسرعة عدا
نحو الساقة التي قادها رتشارد
وباتجاه الملك رمى بنشابتين
كانتا قد غمستافي سم مخمر
واندفع الملك من وسط قواته
وكاد أن يأخذ انتقامه من
هذا الامبراطور الشرير الذي شعر بالخطر
لكنه كان ممتطياً فوفل السريع

وهرب بدون توقف على ظهر حصانه
مثل مهر عدا بأقصى سرعته
وعن ملجأ بحث،برعب شديد
في كانتارا،قلعته الحصينة
وحيث أن الملك لم يستطع أن يمنعه
توجه الى نيقوسيا مباشرة.

على الرغم من الامبراطور نيقوسيا تعلن الولاء لرتشارد

استولى رجالنا على عدد كبير من الخيول
القوية، وأسروا حشداً من
الاغريق-وكان بعضهم مجروحاً أيضاً-
١٩٤٠- الذين اقتربوا كثيراً من الجيش.
وزحفوا الآن وراء الملك
لايخشون من أي شيء
وهكذا وصلوا عند أول النهار
الى نيقوسيا،وهناك السكان
خرجوا مباشرة بارادة واحدة
وأسرعوا لدعوة الملك على أنه مولاهم
وبمثابة أب احترموه
شخصياً.وأمر بأن يحلق كل رجل لحيته.

١٩٥٠- ولدى سماع الامبراطور بهذا غضب غضباً عظيماً واكتأب
واقترب من الجنون،وأساء معاملة
رجالنا،ورجاله بطرائق غير لائقة:
من رجاله الذين أقاموا سلاماً
معنا،ومن رجالنا كل من استطاع أخذه
وحيثما كان بامكانه الامساك بهم
قطع أيديهم وبتر أرجلهم بوحشية
وجدع أنوفهم،واقتلع أعينهم
حيث لم يجد وسيلة للانتقام غيرها.
وفي الوقت نفسه تسلم الملك الولاء
١٩٦٠- من أكثر الناس جدارة ومن الحكماء
الذين عن طواعية تبرأوا
من الامبراطور،الذي كرهوه

استيلاء غي على كيرينا cerines ***وأسره ابنة الامبراطور***

وانقسم الآن حشد الملك الى ثلاثة
أقسام ليعمل كل منها على حده
وبذلك ألقى الحصار على
ثلاث قلاع،واستولى بسرعة على اثنتين.
وتوجه أحد الجيوش نحو كيرينا

- ١٣٣٥ -

وكان الملك من وراء البحار هو الذي
تولى بنجاح القيادة هناك
فعلى مقربة من الحصن سلح أتباعه
وحاصره من جانبي البر والبحر
وحمل عليه حملات شديدة
وحيث أن الرجال في داخله افتقروا
الى التأييد والضمان،لم يستطع
المدافعون أن يفعلوا سوى الاستسلام.
ولهذا استسلموا وسلموا بسرعة وطواعية
القلعة الى الملك غي الشجاع
مع ابنة الامبراطور
الأمر الذي أخافه وآلمه إيلاماً شديداً
حتى أنه فقد شعوره وخرج عقله من رأسه
ولم يعثر على مواساة من أحد
وهكذا على البرج أعلام
الملك غي رفعت عالياً.
وفي القلعة مركز حراساً
والى ديوادامور قاد الجيش.

حصار ديودامور (قلعه القديس هيلاريون)

كانت ديودامور ذات حصانة عظيمة
حتى يمكن أخذها عنوة أو قتالاً
لكن الذين كانوا يدافعون عنها كانوا مذهولين
ومخبولين جداً ومندهشين
بوساطة الأخبار التي رويت
إليهم،أنه من الصعب عليهم الصمود
والحفاظ،ومع ذلك قذفوا بين حين وآخر
بصخور عظيمة نحو رجالنا
ومع أنهم كانوا آمنين داخل
الأسوار،كان هؤلاء الناس مرعوبين
ومع رجاله حاصرها الملك غي
لعدة أيام،حتى الامبراطور
أعلن أنه لن يتابع الدفاع
عنها،وأمر الذين كانوا بداخلها بالنزول.
وعندما استسلموا الى الملك
حسبما سمعت الناس يروون الأخبار
أعطيت الى الملك غي
الذي أمر بالاهتمام الزائد والعناية
بحراسة الفتاة في داخل البرج

- ١٣٣٧ -

حتى لايمكن سرقتها أو اختطافها
وابعادها.ثم قاد قواته عائداً
غير أنه وجد البلاد عالية التكاليف

استسلام الامبراطور

الملك رتشارد في نيقوسيا
رقد مريضاً يعاني من علة.
وعندما شعر بالمعاناة،توجه نحو
حصار قلعة بوفانتوBuffavento
وكانت حصنا واسعاً جداً وحصيناً.
وحكي هنا عن المغامرة الغريبة
للامبراطور المزيف،الذي
الذي جلبت له شروره نهاية مؤسفة
وإلى داخل أسوار كنتارا جاء
ليستسلم للحزن والعار
وعندما علم،أنه سقط في الشرك،
وبأن بوفانتو باتت مطوقة
وأننا قد اتخذنا أسيراً
داخل البرج ابنته،التي
أحبها أكثر من أي كائن حي

وجعله هذا متشوقاً لبذل الجهد
لإقامة سلامه،مهما كلفه ذلك
لاخراجه من ورطته وتخليصه
وكان الثمن محزناً ومؤلماً
وهو أن يفقد القلاع التي امتلكها
وكل ممتلكاته ومقتنياته
بسبب ظلمه وجوره.
وكان أعظم ماحدث له وأثر عليه
أن رجاله تخلوا عن قضيته.
وتحت ضغط الحاجة لم يتابع المقاومة
بل نزل من كنتارا وأخذ
طريقه الى الملك رتشارد مقدماً
نفسه،قانطاً من الحماية أو الوقاية.

لكنه التمس الرحمة من رتشارد

وما أن جاء الى هنا حتى بعث يلتمس
الرحمة من رتشارد،ووافق على أن يمنحه كل شيء،وأن يُحرم
من كل شيء،وأن لايترك لنفسه شيئاً
لاأرضاً ولابيتاً،أو قلعة في أي مكان
والذي فقط تمناه فضلاً منه هو

أن لايصفد بسلسلة من حديد
حتى توفر كرامته وهذا الألم الكبير.
واستجاب الملك فأمر بأن يصفد
بسلسلة من فضة،وبذلك أسكت
جميع الصرخات،فقد جثا على ركبتيه
وطلب رحمة والتمسها حسبما يتفضل
الملك، الذي رأى أنه كان مخلصاً
ورأى أغلاطه وخسارته بشكل واضح
ورأى أنه لم يعد يمكنه أن يفعل شيئاً أكثر لنا
وأن الرب شاء أن تكون الأمور هكذا
وهكذا، ولكي ينهي هذه المغامرة
جعل الامبراطور ينهض
وأن يجلس الى جانبه وعن يمينه
وأن يرى ابنته ويشاهدها.
وبرؤيته لها،كان سروره أعظم كمالاً
مما لو أمسك الرب من قدميه.
وبكى،وقبلها ثم زاد تقبيلها
أكثر من مئة مرة.لكن لماذا أحكى أكثر؟
فبوساطة خمسة عشر يوماً من التأخير

استولى الملك على قبرص كلها،والذي أقوله
لاشيء غير الصدق،للرب كل الشكر
يعطى،فقد غدت تحت سيادة الفرنجة

أسلاب قبرص

عندما حصل الملك على سيادة
قبرص،في سبيل الصالح العظيم للرب
استولى على القلاع والحصون الحصينة
التي طرد منها الاغريق ونفاهم
ووجد هذه الحصون مشحونة بالأشياء بدون حصر
وبكل نوع من الثروات والكنوز:
وبقدور من فضة،ومراجل،وأباريق
وبطسوت وأوعية من معادن ثمينة
وبأحواض وكؤوس وأكواز من ذهب
وبألجمة،وأسرجة،وبركابات
وبأحجار كريمة ذات أثمان عالية،وبأشياء
لها قدرة شفائية ضد المرض
وبأقمشة حريرية وأرجوانية ذات لمعان جميل
(مثلها أنا لم أر قط في أي مكان)
وأشياء أخرى ذات سمات
تليق بالنبلاء.

وكان في سبيل الرب وسبيل مملكته

أن استولى ملك انكلترا على هذه الاشياء وتملكها.
وأرسل الحشد الى ليماسول
وحث رجاله،وطلب منهم جميعاً
أن يستعدوا للابحار بسرعة
وألا يبددوا ساعة أخرى من الوقت.
وأمر بحراسة الامبراطور
من قبل الملك غي الشجاع جداً.
أما ابنته الشابة،والجميلة جدا،
٢٠٩٠ — والفتاة الرائعة ذات الحسن النادر
فقد بعث بها الى الملكة،حتى
تتولى تعليمها بشكل جيدولائق*.

---

*-كانت حوادث حياة هذه الاميرة التالية مثيرة وخيالية الى أبعد الحدود،فقد رافقت الملكة الانكليزية والاميرة في طريق العودة الى أوربا بعد انتهاء الحملة،وعاشت لسنوات عدة في شينون،وجاء اطلاق سراحها ضمن الشروط التي وضعها هنري السادس لاطلاق سراح رتشارد،لكن هذا لم ينفذ،وقبل قليل من عام ١٢٠٢ تزوجت من ريموند السادس صاحب طولوز،لكن مالبثت أن انفصلت عنه عندما رغب الامير بالزواج من جوانا بلانتغنت،وكانت في سنة ١٢٠٢ في مرسيليا عندما تجمع هناك حشد صليبي من أجل الحملة الرابعة،وقابلها صليبي فلمنكي من أقرباء بلدوين صاحب فلاندرز،وتزوجها مع نية المطالبة بوساطتها بعرش قبرص،وذهبا الى قبرص وطلبا العرش من الملك عموري دي لوزغنان،وحثوه على أن يعطيهما إياه على أساس أنه ليس بحاجة إليه لأنه كان ملك القدس،وأخفقا في اقناعه،ورفض طلبهما،واضطرا وهما يشعران بالاحباط الى الفرار الى كليكيا الخاضعة للأرمن حيث اختفيا عن مسرح التاريخ.

-١٣٤٢-

مغادرة قبرص

وهكذا زحف الجيش الآن
عائداً الى الاسطول،وقام بكل سرعة
بتحميل السفن،حتى يمكنها
الاقلاع والابحار عندما يغدو كل شيء مناسباً وصحيحاً.
وبعدما صعدوا الى ظهور السفن،الاسطول
سار في البحر،في الساعة المقررة
وأبحرت الملكة أيضاً مع السفائن
وجميع الدرمونات كانت هناك
وفي الجزيرة ترك الملك رجالاً
بارعين جداً في القتال،وإثر هذا بعث هؤلاء
الرجال إليه بالمؤن،وبحزم
القمح والشعير،وبالأغنام والأبقار
التي وجدت عندهم بوفرة كبيرة
والتي أفادت في سورية فائدة كبيرة.
وأخذ الآن رجال يجلبون عبر البحر
أخباراً،تولوا روايتها الى الملك
وتحدثوا فيها كيف أن أعمال الحصار بدأت بداية
جيدة عند عكا،وما الذي يمكن حدوثه

قبل أن يصل،وقد قال:

« ليس من اللائق بدوني

أن يستولي رجل آخر على هذه البلدة»

ومنذ الآن قرر عدم البقاء أكثر

من الوقت الذي يحتاجه رفاقه

للتجمع هناك لمرافقته واصطحابه.

أنا لست أدري كم عددهم

الابحار نحوسورية

من فيماغوستا سفينة أخذ

٢١٢٠ — وأعطى الأوامر بتجهيز

غلايينه. واتخذ هو نفسه مكانا

في سفينة قوية جدا، وكبيرة وواسعة.

مامن ميناء تحت السماء لن يكون

مرعوباً،ويعاني من الذهول

أمام سفن حرب بمثل هذه الروعة

ورجال حرب أشداء بمثل هذه البسالة.

انتبهوا، الغلايين تغادر الميناء

كلها لائق ومن أفضل الأنواع

وكان الملك كالعادة مشرقاً مسروراً

رشيقاً مثل ريشه،قاد الطريق
وسريعاً مثل أي غزال شرع
يعبر البحر وهو مسافر
ثم انه رأى المرقب،على طرف
بلاد الرب الحقيقية
ثم إنه رأى طرطوس من بعدها
مبنية على طرف البحر شديدة وللأمواج مقاومة
وجاز مسرعاً في طريقه
طرابلس،والبترون،وانفه
ورأى بعد ذلك جبلة
٢١٤٠ — ببرجها القائم فوق القلعة

سفينة مسلمة كبيرة

قرب بيروت،ملاصق لساحل صيدا
وباتجاه الملك كانت هناك سفينة
مشحونة برجال من جند صلاح الدين.
ومجهزة من قبل سيف الدين
فيها رجال من خيرة الترك،انتخبوا من
بين أحسن جميع المسلمين
ولم يكن بامكانها الدخول الى عكا ،ولذلك

أبحرت خارجها ذهاباً وإياباً
حتى يتسنى لها الدخول بأمان الى الميناء.
لكن الملك انطلق في سبيل تعطيل
خطة رجالها،وبسرعة ساق
غليونه،حتى وصل
الى حيث كانوا، فرأى مركبهم
كان عريضاً،وعالياً،وذا قدرة عظيمة
له أشرعة ثلاثة طويلة:إنه لم يكن
مركباً صنع وجهز بشكل سريع.
ومن قبل المسلمين كانت السفينة
مغطاة،من أحد الجوانب،بلباد أخضر
مع لباد أصفر،حسبما وصفوا
كان يغطي الطرف الآخر.
والسفينة كلها كانت هكذا
مفروشة مزينة كأنها عروس مجلاة
وكانت مليئة بالسلاح
بدون تعداد أو قياس :
وتحدث رجل وأكد ما فوق الاشاعة
(وهو كان موجوداً في بيروت

عندما وضعوا على ظهر هذه السفينة هذه
الحمولة نفسها ، لترسل بشكل معيب)
أنه رأى سلاحاً أودع في المخزن
حمولة مائة جمل وأكثر منه :
القسي والرماح والقسي العقارة والجروخ
(حزم ، ودواليب ، أو فتائل ، وعدّ ما شئت)
وثمانمائة من خيرة نخبة الترك
أرسلوا من قبل الشيطان للعمل لصالحه
والمزيد من الأطعمة والمؤن
مما يستطيع انسان أن يفصل أو يجمل
ومثل هذا في قوارير كانت هناك
نفوط ، تكلم الناس عنها كثيراً
وخزن في السفينة جانباً
مائتي أفعى شريرة وسامة
(هكذا دّون ، وأخبر الذي
ساعد على وضعهم في الخزائن)
خططوا لاطلاقهم على
حشدنا ، ولتسبيب الفوضى ونشرها .

إثارة شكوك الانكليز

وجد ف غليوننا واقترب منهم كثيراً
حتى كاد أن يلامسهم
وقدم رجال غليوننا لهم التحية
ذلك أنهم كانوا لا يعرفون من يواجهون
وسألوهم من أين جاءوا
وما هو اسم أميرهم
وكان معهم مترجم فرنسي
وأعطوا جواباً بأنهم انكليز في طريقم الى صور
وريح ثارت وقتها من أرسوف عالياً
فساقتهم وأبعدتهم عن جانب الغليون
وكان على ظهر الغليون رجل راقب عن قرب
السفينة والبحارة ، ولاحظ كم
كانوا حريصين راغبين في التجديف
بعيداً ، فقال للملك : « إنه لواضح
يا مولاي العظيم ، وإذا أخطأت اشنقوني أو اقتلوني ،
٢٢٠٠ — أنك تقابل خدعة تركية ، وبناء عليه
قال الملك : « أو أنت متأكد من ذلك »؟
« حقاً يا سيدي تمام التأكيد

أطلق الآن وبسرعة قصوى
غليوناً آخر يتولى المطاردة
وأصدر اليه الأمر بعدم تقديم التحية
لرجالهم . ثم انظر ما الذي سوف يفعلون
وفيما إذا كان إيمانهم مزيفاً أو حقيقياً
وأعطى الملك الأمر ، والغلايين
٢٢١٠ — أسرعت نحوهم ، لكنها لم ترمهم

مهاجمة السفينة

ولم يتمهلوا إلاّ قليلا في تعاملهم مع رجالنا
وشرعوا في اطلاق نشابهم
من القسي العقارة والقسي الدمشقية
وانقض الملك ورجاله على الأعداء
بهجوم سريع وفعال
وذلك عندما رآهم يرموننا
وقد دافعوا عن أنفسهم بشكل جيد
ورنت أوتار القسي وتساقط النشاب
أكثف من البرد ، وكان العراك
على الجانبين شديداً متواصلاً
وسارت سفينتهم بسرعة بطيئة ، بسبب ركود الريح

ووصل رجالنا اليها وحاذوها بسهولة
وغالباً ما أرادوا ، لكن لم يتجرأوا على الصعود
عليها ، كما أنهم لم يتمكنوا من سحق الحشد المسلم
وأقسم الملك يميناً مؤكداً،أنه آنذاك
وهناك،سوف يشنق رجال الغليون
إذا ماتوانوا أو ضعفوا،أو إذا
ماسمحوا للترك بالنجاة والابتعاد.
ومثل عاصفة انقضوا عليهم
وبدون انتظار غاصوا في الماء
تحت السفينة،ومن الجانب الآخر
عادوا يسبحون،وبرشاقة ربطوا
الحبال التي كانت مشدودة الى مقود دفة
سفينة المسلمين،وبذلك كانوا يعطلون
المسلمين،ويسببوا انعطاف سفينتهم.
وبناء عليه تسلقوا عليها
ومباشرة تدفقوا على قلب السفينة.
ولم يقف الأعداء مكتوفي الأيدي،بل
انقضوا على رجالنا،لتقطيعهم وقتلهم.
ورجالنا الذين جرى اختيارهم

لهذه الأشياء،قفزوا بنشاط
الى داخل السفينة، في حين قطع المسلمون أيديهم
وأرجلهم،وألحقوا بناضرراً بالغاً

واغراقها

وقاتل رجالنا معركة كبيرة الى حد
أنهم ساقوهم الى داخل الميناء
والمسلمون الذين الى أبعد الحدود
خافوا الموت،قاتلوا بشكل يائس
وعلى شكل فرق صعدوا على ظهر السفينة
— وأعدّت فرقة بعناية وقدمت
عساكر جديدة للمعركة الدائرة تقدموا
بصفوف جريئة،مسلحين بشكل كامل
وهكذا قاتلوا،وتبادل الطرفان الطعنات
والضربات العظيمة داخل مركب المسلمين.
وأقلع المسلمون بهجوم كان
قويا الى حد أنهم ردوا بحارتنا الى الخلف
لكن الذين كانوا في الغلايين أعادوا جمع
صفوفهم،وأقلعوا بهجوم جديد
وأخبرهم الملك بأن ينطحوا ويصدموا

٢٢٦٠ — السفينة حتى يخرقوها
ونطحوها مراراً،وهكذا خرقوها بشدة
حتى أنها خرقت في عدة أماكن.
وفتح قائدها ثغرة كبيرة في أسفلها
منهيا بذلك هذه المعركة الشرسة
وهكذا توقف المسلمون عن القتال
وقفزوا الى الماء عشرة بعد عشرة.
وقتل كل واحد من رجالنا منهم حسبما استطاع:
وكان بامكانكم أن تروا هناك ضربات عظيمة،وتعامل
الملك رتشارد بارادة
٢٢٧٠ — حادة ليدمرهم وليقتلهم.
وعلى كل حال،كان هناك خمسة وثلاثين
منهم أبقاهم على قيد الحياة
حيث كان بعضهم مهندسين جيدين
بارعين في الآلات،وبعض الأمراء:
وجرى اغراق البقية:فهكذا كانت نهاية
الفرس،والترك،والمرتدين.
ولو دخلت السفينة الى عكا،إنه لواضح تماماً
أن البلدة ماكانت لتسقط

ذلك أنها جلبت امكانات للدفاع هائلة
لكن الرب،الذي يعين عباده،هكذا كانت مشيئته
ثم إن ملك انكلترا،جيد،وشجاع
في الحرب،ومغامر.

حزن صلاح الدين العظيم وأساه

المسلمون من فوق أحد التلال شهدوا
هذا الحدث الذي جلب لهم السوء.
وهم ممتلئون بالغضب والغم
أرسلوا خبر ما حدث الى صلاح الدين بذلك
وبما حدث،ثلاث مرات نتف لحيته لغضبه
ثم مثل رجل بلاوعي،قال:
«يارب، الآن ضاعت عكا مني
ورجالي أيضاً،الذين ظننت أنهم بأمان
سببوا لي حزناً،صعب تحمله»
وصدر عن الجيش المسلم نواح عظيم-
وحكى الذين سمعوا ذلك ورووا-
بأن الترك نتفوا شعورهم
حزناً،ولثيابهم مزقوا
لأنهم في داخل هذه السفينة فقدوا

-١٣٥٣-

قادتهم والذين رعوهم كثيراً.

متابعة الاسطول ابحاره الى عكا

الملك،عندما هذه السفينة ذات القوه
وبحارتها استولى عليهم في القتال
كان متشوقاً للتحرك نحوعكا
والى ذلك الاتجاه حول مسار
غلايينه جميعا في نظام جميل
وهي التي ربحت المعركة من السفينة.
وعندما مع اسطوله ساق نحو الأمام
الرب أرسل له ريحاً طيبة من الشمال
وهكذا أمضوا تلك الليلة أمام صور
وكان كل من الملك والعساكر راضين كثيرا
الملك النبيل،قلب الأسد
رأى في الصباح اسكندرونة
ثم جاز قلعة الزيب ،ثم مباشرة
ظهرت أمامه عكا ورآها
وزهرة العالم كله وجدها
معكسرة هناك،وملتفة حول بعضها بعضاً
ورأى الجبال والوديان

والسهول المفتوحة والتلال والمنخفضات
مكسوة بالسراقات وبالخيام
ورجال امتلأوا حقداً وضغينة وخشية
أن يلحق سوء بالمسيحيه
٢٣٢٠ — وكانوا يشكلون حشداً جباراً
ورأى خيام صلاح الدين
وخيام أخيه سيف الدين
وكان المسلمون قريبين جدا الى حد أنهم كادوا
يركبون أكتاف الحشد المسيحي.
تقي الدين،على الجانب الآخر
المحامي عن ديار المسلمين
حرس ساحل البحر والشاطىء
وعلى حشدنا شن حرباً مستمرة
وكان دوماً مستنفزاً وجاهزاً للقتال
٢٣٣٠ — وللهجوم علينا وارغامنا على التراجع.

رسو رتشارد عند عكا

ونظر الملك الى كل شيء،وتفحصه
وعمل خططاً،وخططاً عمل.
وعندما جاء لينزل الى البر،كان بامكانك

رؤية حشد البارونات العظيم كله
الذي جاء مع الملك الفرنسي لاستقباله
وبشوق عظيم رحبوا به وحيوه.
وكثير من الناس كانوا على الرصيف
لرؤيته. ووضع قدمه على الأرض:
وسمعت وقتها البوق يصدح
— ليحيي رتشارد، الملك الذي لانظير له.
والحشد المسيحي كله
كان سعيداً، لأنه جاء.
لكنه عندما جاء، الترك في داخل
بلدة عكا كانوا مرعوبين.
كان معه سفنا كثيرة، وقد عرفوا
أنه سيضع حداً ويوقف
خروجهم من البلدة ودخولهم إليها
وهو ماكان يسبب لنا الأذى والنكد
والآن الملكان جنبا الى جنب
— ركبا معا وتسايرا طوال طريقهما.
ودخل الملك رتشارد الى خيمه
وعلّمه بكثير من اليقظة

ما يمكن أن يكون السبيل المؤكد
للاستيلاء على عكا،بأقل تأخير.

بهجة الصليبيين وسرورهم

السرور كان عظيما وواضحاً تلك الليلة:
مامن ابن امرأة يمكنه قط ادعاء
رؤية أو معرفة مثل هذا الترحاب
الذي قدمه الحشد للملك.
فقد قرعت الأجراس وصدحت الأبواق
والنفر،والنايات،وبقية أدوات الموسيقى
وكان بامكانك رؤية أناس من كل نوع
وقد امتلأوا بالمرح والسرور يلهون هم
أنفسهم مع الموسيقى والأغاني
وحملة كؤوس يحملون الخمرة ويقدمونها
بكؤوس جميلة خلال الشوارع لجميع
الناس سواء أكانوا كباراً أم صغارا.
ذلك أن استيلاء الملك على قبرص،قد
جعل الجيش كله مسروراً
لأنه من هناك سوف ترد الأطعمة
لتبقي الحشد الهائل حياً

وامتلأالناس بالأمل وكانوا مسرورين؛
وكان الوقت مساء السبت
حيثما كان من الممكن أن تذهب أو تكون
أعتقد أنه ماكان بامكانك أن ترى قط
أضواء أومشاعل مثل التي أشعت
ولهذا بدت الأمور للترك
كأنما الوادي،جمعية بلا استثناء
قد أنير بنار مشتعلة
وعلموا أن سرورنا ومرحنا
٢٣٨٠— كان بسبب مجيء الملك
وملأوا الوادي بعرض عظيم
للقوات المقاتلة عندما جاء النهار:
هؤلاء القوم الكفرة،الدنسين القذره
هاجمونا،وقاتلونا حول خط خنادقنا
وأطلقوا النشاب،وأغاروا بدون توقف
على حشدنا،وعليه شددوا الضغط عن قرب.

الفصل الثالث

عودة الرواية الى حوادث أبكر

سوف ندع الآن الرواية لبرهة
(وعندما يأتي الوقت المناسب والمكان
اذا ما تابعتموني وسايرتموني،أنتم
سوف تسمعوني أتناولها من جديد)
عن قدوم الملكين اللذين عنهما أنا كتبت أشياء كثيرة
واللذين جلبتهما الآن الى عكا.
اسمعوا الآن،وضعوا في اعتباركم
أنني أرغب، ولابد أن أبذل جهدي
لقطع سياق روايتي
لكنني سوف أعود لربطه مرة جديدة
وأعيد مجرى السياق محكماكما كان من قبل :
لأن الملكين لم يكونا الأول،بل بالحري
كانا آخر من التحق بالحصار
ولهذا بالنسبة للذين سوف ينسرون
ليعلموا،أمبرويزسوف يشرح الآن ويبين

من الذي تولى القيام بالمخاطرة
للاستيلاء على عكا،والذي حسبما كما هو معروف
بنفسه لم ير شيئا من وقائعها
لكنه قرأ الذي كتب عنها.
والذين حاصروها أولاً،والجرأة
بالمحاولات التي تولوها سوف الآن عنه نتحدث
لقد سمعتموني أقول-ومن المفيد
—أن أروي مرة أخرى وأن أحكي-
عندما بدأت هذا التاريخ
إذا ما كنتم تتذكرون
كيف نزل بنا في سورية
أعظم ضرر محزن،وأذى،وعار.
وكان ذلك في أيام الملك غي
الذي عانى كثيرا من ذلك
لكن الرجال الذين يعرفون الطريق
الذي تولى الحسد فيها خيانة الملك.

أسرة حكم القدس

ملك نشأ وتربى فيما وراء البحار
— ملك كان اسمه عموري:

منه جاء ولد،كان هو الملك التالي
وبلدوين المجذوم كان اسمه
وعاش الملك بلدوين طوال حياته
حتى نخره المرض ومات.
وقد امتلك اختين،سيدتين جميلتين،
ذواتا فضائل،وجدارة،وجودة نادرة:
وهاتان السيدتان تزوجتا،احداهن-ايزابلا-
من البارون همفري دي تيرون
والأخرى من سيد نبيل-سيبلا-
هو الكونت وليم الملقب بصاحب السيف الطويل
وصاحب يافا القائمة على الشاطىء
وأخ لمركيز مونتفرات
ومنه السيدة أنجبت
وريثاً ذكراً: بلدوين كان اسمه-بلدوين الخامس-
وعاش الطفل الصغير،لكن الكونت مات
وكان هذا مارضيه القدر وقرره.
ورغب غي لوزغنان وتمنى
الكونتسة،ومنها تزوج
وكان الطفل ملكاً،لكنه لم يتملك

لأن الرب هكذا قضى بكل شيء
فعندما سوء المصير استولى على الطفل
إنه الى السيدة بالحق وصدقاً
آلت إليها المملكة،وكان هذا صحيحاً
وفق منطق جيد،وسبب معقول.
ثم كان أن أخذ الملك غي التاج
وكثير من الصراع والخصام نجم عن ذلك

خيانة ريموند صاحب طرابلس

بين الكونت ريموند المزيف والساقط
وبين صلاح الدين،الذي عنه تحدثت
قام تحالف مديد منذ أمد طويل
عنه سورية تحدثت كثيراً.
تاق ريموند لتسلم المملكة،التي
اعتقد أنه سيحوذها،لأنه كان غنياً
ولأنه كان كونت طرابلس
لكنه لم يستحوذ عليها،الشكر هو
للرب.وعندما توج غي ملكاً
واختير من الرب للتشريف
دعا باروناته كلهم بلا استثناء

ومن بينهم بعث يستدعي
كونت طرابلس،لكن يمكنكم
أن تسألوا عبثا عن نوع استجابته
وعن الجواب الذي قدمه
وعاد الرسول بالفعل
وسار الكونت على الفور
ليعلن شكواه لصلاح الدين
قائلاً إنه لن يستطع البقاء في
أرضه، بسبب أن غي الذي جلس
على العرش يكرهه كراهية
عظيمة.وقال كثيراً من الأقوال وكذب
بأن المسيحية تأذت بسبب ذلك....
وسأله،من أجل خاطر حبه العظيم له
أن يعينه حتى ينتقم انتقاماً كاملاً.
ياسادتي،لقد تم في مكان الاجتماع ذاك
التخطيط هناك للخيانة الدنيئة
التي جلبت للمسيحية تلك الخسائر العظيمة
وجعلتنا نفقد الصليب المقدس.
واستدعي الكونت مرة أخرى

- ١٣٦٤ -

الى البلاط،وإليه توسلوا كثيراً
أن يأتي.فقال إنه لن يفعل ذلك
ومن الملك غي لن يأخذ شيئاً وبه لن يعترف
ومرة ثالثة أرسل إليه الملك،مع عهد موثق
بأن يتخلى له عن كل حقوقه.
وهكذا جاء.ومقدم سوء كان
لأنه كان واثقاً من أنه سوف يتدبر
تدمير البلاد. وبناء عليه
جعل العمل الشرير يبدأ.
غير أنه عندما مات،لحق عار كبير
به،حسبما يروي التاريخ.

صلاح الدين يغزو المملكه

سمعتم مراراً كثيرة من قبل
الحكاية، وسمعتموها مرة تلو مرة
كيف،عندما الملك غي جرى تتويجه
لم يدع شهرين يمران وينقضيان
قبل أن أمر بالاستنفار
لأتباعه في جميع أرجاء سورية
وأن يجتمعوا ليقدموا له العون

لأن رجال صلاح الدين قاموا بغزو
البلاد،وبناء على أوامره
تدفقوا وانساحوا بقوة كاملة في البلاد
وأنزلوا برجال غي هزيمة مؤلمة
مائة فارس من النخبة
وجاك دي ميلي هناك قتلوا
مماسبب للداوية آلاما مبرحة.
وكانت هذه الفاجعة
بداية للانتكاسة
التي جلبت كثيراً التعاسة وأنزلتها
بالمسيحية المقدسة
وقدم كونت طرابلس تعهداً-
شفته دوما معلقة مبوزة باستياء-
بأنه سوف يسير الى الملك غي وبه يلتحق
ليقدم له المساندة وقت حاجته
وإليه جاء،ومعه عمل اتفاق
لكن الناس تذكروا بعد ذلك
أنه كان اتفاقاً مزيفاً الذي عمله
وأنه فجأة خانه وتخلى

عنه في أشد ساعات القتال
عندما كثير من الناس الجيدين ماتوا.
ومن الممكن أنه فعل ذلك،مع أنه
من الممكن أنه لم يفعل كذلك.
لكن معظم الناس يشهدون.ويقولون
بأنه خدعه وغشه في المعركة
وإذا صح هذا،لقد استحق نهاية تعيسة
والآن صلاح الدين حشد
رجاله ليأتوا من ممالكه التسعة
مع قسي،ومع دروع،ومع خوذ
ووصلوا في جمع هائل
ومامن واحد تراجع لامن ضعيف ولامن قوي.
وعدد كبير من الأمراء من أعلى المراتب جاءوا
ورجال نبلاء ذوي أسماء ومكانة جبارة
استعدوا لمغادرة بلدانهم
لتدمير المسيحية.

سحق الجيش الصليبي في حطين

الآن الملك غي ،مع مسيحييه
ومعهم بعض البنادقة

شكل قواته في قسمين
من عساكره الرجالة،وعساكره الخيالة
واحداً الى ميناء طبرية
بعث،وواحداً الى صفورية
وتلك القوة مضت نحوحظها السعيد
والذين انحدروا نحو طبرية
مع أنهم فقدوا أجسادهم هناك
— مباشرة أرواحهم توجهت نحو الرب.
كونت طرابلس،الذي خطط
للقيام بغشهم وخداعهم،هو الذي تولى قيادتهم.
ورجالنا لم يرتابوا به،وهم
فقط أصغوا، وأطاعوا
وهكذا فعل،وهكذا بذل جهده
لأن يتولى جيش العدو سوق
جيشنا نحو بحيرة طبرية
حيث لم يمتلك رجاله ماء،ثم جعلهم
يشربون،بخداعه وغشه
— من ماء البحيرة،الذي كان حلوا وجيدا.
وعندما حان الوقت له ليشرع

- ١٣٦٨ -

الرمح،وأن يبذل غاية جهده
انهزم بعيداً،والذين تركوا
حرموا من أرواح أجسادهم.
من الذي طعن من أنا لاأعرف
ولامن نجا،ولامن تمدد مقتولاً
بسبب أنني لم أكن حاضراً ذلك المعترك
لكن صدقا، وهذا أقوله لكم
الرب هيأ ماحدث هنا ووقع
لأن لديه كان واضحاً
ان في العالم الكثير من الذنوب
وكان الناس يعربدون هناك ويقصفون
حتى أن هذا لو لم يحدث،
من خلاله كان سيأتي لكن قليلاً جداً.
وكان أن حدث عند لوبية Marescallia
القائمة على مقربة من طبرية
انشاب الملك غي ورجاله القتال
وقد قتلوا عدداً وافياً من المسلمين
لكن رجالنا عانوا من كثير من الجراحات
فارتموا أرضاً ميتين وبلا رؤوس.

ولم يكن هناك أمل بالنجاة
لأن الأعداء انقضوا على الملك
وجرحوه،وألقوا
به الى الأرض،وضربوه بشكل مؤلم.
بذراعه الأيمن صليب الصلبوت
حمل وأمسكه بشدة،لأن الاهانة تعاظمت
وكان يمكن أن يفعلوها،لولا وجوده
لكن الرب،كما يبدو، جعلها له عبرة.

اجتياح صلاح الدين للبلاد

وعندما جاءت نهاية العراك
٢٥٨٠— الذي قضى الرب بأن ينتهي على هذه الشاكلة
ووقع كل من الملك والصليب بالأسر
والجيش كله تقريباً قتل
(ولهذا أخذت أعداد كبيرة جدا الطريق
وتخلوا عن ثرواتهم وعن قوام حياتهم)
ثم ان صلاح الدين حسبما رغب وكما ارتضى
به، تمكن من الاستيلاء على جميع البلاد
باستثناء صور وعسقلان(الرب هكذا
أعطى لنا أرضه،ثم أخذها منا)

وباستثناء القدس،لكنه
مالبث أن فتحها بكل سرعة.(٢ـ تشرين أول ١١٨٧)
وألقى حصاره على عسقلان
ظانا أنها بسرعة سوف تفتح
لكن من فيها ثبتوا بشجاعة
ضده،وقاوموا بعناد كبير.
ومات عدد كبير من المسلمين هناك
ولم يتمكن من الدخول إليها
حتى أمر رجاله أن يجلبوا
ويعرضوا أمام أسوارها ملكهم
وعرض مقابل القلعة
اطلاق سراح الملك، الذي بعث يخبر
المدافعين عن البلدة أن لايقوموا
بأي استسلام من أجله:
لكنهم، وهم الذين لم يعد بإمكانهم الاستمرار،
كان لابد من أن يرتضوا بأية شروط يمكنهم تحصيلها.
ومن أجله تخلوا عن عسقلان
وبرفقه مقتنياتهم وجهازهم غادروا البلدة. (٤-تشرين ثاني ١١٨٧)

- ١٣٧١ -

اطلاق سراح غي وموت ريموند

وبناء على هذه الشروط،الملك غي
قال الكتاب،أطلق سراحه:
على أن يوافق على التخلي عن المملكة
وأن يسافر على الفور الى ماوراء البحار.
وركب وسافر بالبحر بشكل صحيح
حتى يمكنه الوفاء بيمينه
وإلى جزيرة(أرواد)طرطوس جاء
الأمر الذي أثار سكانها كثيراً
وإلى هناك بعث صلاح الدين برسالة—
ومسلماً عاقلاً وذكياً
هو كان،ويعلم أن الملك قد
كان سيء الحظ،لكنه ليس صلفاً ولادنيئاً
ولم يرغب أن يجلب الى نفسه
مخاطر ملك آخر—
أنه سوف يحلله من قسمه.
وعاد الملك الآن أدراجه
الى طرابلس،على شاطىء البحر
وهناك وجد زوجته،الملكة

والكونت،الذي كرهه،والذي
قال الناس إنه قد خانه أيضاً.
لكنه الآن أعطى الملك،كل ما
فكر به وتمناه،وبحفاوة تلقاه.
والفائدة هي قليلة في تقديم بيان
عن هذا الكونت الفاسد والخائن
الذي جعل عدداً كبيراً من الأطفال يتامى
والذي جلب العار للمسيحية:
ودفع الثمن غالياً من أجل خيانته
ولما اقترفه من خسة ونذالة
فهذا أحل به، بنعمة من الرب،وجلب
موتاً سريعاً،وموتاً مع عار وشنار.

حصار صور

كما أنني لن أتحدث عن حصار صور
الذي سبب لصلاح الدين الازعاج والايلام
وحيث وليم دي لى شابلchapelle

٢٦٤٠— قاتل بشجاعة عظيمة وبشكل جيد
وحيث الأخوة الطبرانيون*
الذين حموا المدينة ببسالة

*-الأخوة الطبرانيون هم: هيوج،ووليم،وأوستي،ورالف صاحب طبرية،أولاد وولتردي سينت أومر واسشيفي Eschive صاحبة طبرية،التي كانت متزوجة من ريموند الثالث يوم حطين،وكان أولادها هؤلاء مع ريموند في حطين،أو أنهم كانوا برفقته عندما هرب من حطين في سنة ١١٧٨، وقد قصدوا مدينة صور حيث ساعدوا في الدفاع عن تلك المدينة،وأصبح هيوج الثاني في القيادة لكونرادد بعدما استولى كونراد على شؤون صور،لكنه ذهب مع غي الى عكا في ١١٩٠-١١٩١،ورافق رتشارد في حملته على يافا سنة ١١٩٢، وبعد انتهاء الحملة الثالثة صار الأخوة بين أتباع ومستشاري هنري أوف شامبين،وصار رالف نائبه المسؤول عن القدس في ١١٩٤-١١٩٨،لكن موت هنري جلب مأساة للاسرة، فالملكة ايزابلا،تركت أرملة،وأخذت تبحث عن زوج، وكان رالف صاحب طبرية واحداً من المرشحين لطلب يدها،ففي سنة ١١٩٧ كان هيوج قد أعطى لوردية طبرية الى رالف،ليمتن وضعه كمرشح للعرش،لكن جرى تجاوز رالف لصالح عموري لوزغنان الذي كان أكثر قوة،كما كان ملك قبرص،وتطور عداء فيما بين عموري ورالف، وأدين رالف بالتآمر ضد الملك الجديد، وأرغم على مغادرة البلاد،ويبدو أن وليم صاحب طبرية قد توفي في هذه الآونة، فقد ظهر اسمه لآخر مرة في عام ١١٩٢،ولم يرد ذكره في رسالة جاءت من البابا انوسنت الثالث الى هيوج وأخويه أوستي ورالف في سنة ١١٩٩.وهرب هيوج ورالف وأوستي الى أرمينيا، والتحق أوستي بريموند روبن وليون ،وورد خبره معهما من ١٢١٠ الى ١٢١٦،وورد ذكره لآخر مرة في قبرص عام ١٢١٨، وذهب هيوج ورالف الى القسطنطينية في أعقاب الحملة الرابعة وتأسيس الامبراطورية اللاتينية،ومات هيوج هناك في حوالي سنة ١٢٠٥،لكن رالف عاد الى عكا وباشر عمله القديم من ١٢٠٧ الى ١٢١٠ ،وشارك في الحملة الصليبية ضد دمياط،وورد ذكره للمرة الأخيرة في عكا سنة ١٢٢٠، وكان رالف قانونياً بارزاً في أيامه،ومنه تعلم فيليب دى نافارعلم القانون،ومن المحتمل أن رالف هو الذي نقل قوانين القدس الى القسطنطينية،التي شكلت القاعدة لرومانيا اللاتينية،وآلت لوردية طبرية الى يودس مونتبليارد الذي تزوج من اسشيفي ابنة رالف.

- ١٣٧٤ -

وكانوا مكرسين تماماً ومخلصين جدا
للرب ولمملكته الأرضية.
ولن أتحدث عن المركيز
الذي هناك بدأ بصمود ونجاح.
وكانت البلاد كلها مغزوة
عندما جاء،وبشكل ما أعان
عمل الرب،وبدأ ببسالة
وانتهى بزيف وخيانه.
وأنا لن أبتعد كثيراً،ولن أتحول
عن الملك غي،الذي هو موضوعي
والذي من سجنه وأسره الآن
تحرر،وعليه تركز تفكيري.

استعداد غي لاستئناف الحرب

أما والآن قد عاد الى طرابلس
فقد سرت عودته الناس من المراتب العلية والدنيا
والآن نال الفقر والبؤس كثيراً
من غي،ملك القدس،وجعله
مثل واحد جاء خارجاً من السجن.
ولم يأخذ أكثر مما استحقه

لأنه لم يكن لديه شيئاً ليأخذه
واحتاج الى بعض النفقة التي توجب عليه تدبرها
وقد عرف أن العدو
قد استولى على عكا،التي كانت المفتاح
لبلاده،وأنهم منها طردوا قواته
ولم يكن يعرف الى أين سيلتجىء.
والى الرب التجأ بأحزانه
والمولى الرب تماماً عوض عليه.
فعندما قرع الناقوس،صباح أحد الأيام هناك
أمير أنطاكية قدم،وتجشم وتكلف
وبحثاً عن الملك غي هوذهب
ليسأله ويطلب منه أن يوافق
ليذهب معه،وليعود
الى انطاكية،وليقيم هناك
حتى يستطيع أن يجمع ويوحد
رجاله،ويسلحهم من أجل القتال
وليعرف أين الأفضل له لينقض على
على الترك،وأين الممكن ربح شيء ما
منهم وذهب الملك غي مع الأمير

الى انطاكية التي هي مقاطعته.
ووقتاً قليلاً أمضاه هناك
وبالوقت نفسه ذرف كثيراً من الدموع
وعندما ذكره دمعه بالمناخ وبالطقس
الذي كان لصالحه،وأنه الآن يضيع وقته.
عندها ذهب عائداً الى طرابلس
وجهز رجاله وأعدهم وسلحهم
وجمع وحشد ووحد كل
الرجال الذين تمكن من دعوتهم
مع ما استطاع جمعه من ديون،لأنه
لم يرغب بالتأخير أكثر.

والتحق به أخوه غيوفري

وأثناء اقامته هناك،كل اهتمامه تركز
على جمع الرجال والسلاح
غيوفري دي لوزغنان أخوه
شخصياً،قدم الى هناك،وكان معروفاً جداً
على أنه الاقطاعي الأقوى في البلاد،لأنه
نشأوتربى بشكل جيد على الحرب.
وعند صور توقف أولا

لكنه لم يجد هناك مأوى لنفسه
لأن المركيز وأتباعه
حرموا عليه الدخول الى الميناء.
— وهكذا وقد رفض وطرد
عاد الآن الى طرابلس
وهناك أخوه وجد الملك غي
الذي رحب به ترحيباً صادقاً جداً.
وعندما الملك استعد استعداداً جيداً
للحرب،جنوده أخذوا طريقهم وزحفوا.
وجاء الى صور عبر الساحل:
وكانت جماعته تتكون من مجرد قليل من الفرسان والرجال.
ووجد الأبواب والمنافذ كلها مغلقة
— بوجهه وبوجوه رجاله بوساطة الحراس:
وكان المركيز منحطاً وحقيراً
وعلى السماح له بالدخول ،لم يكن ليوافق
وأوعز بتصرفات سيئة
حرم بها الملك من مملكته الشخصية.
وهكذا،فإن الملك الذي سلب من حق الدخول
أعلن أنه لن يستطيع بشكل دائم تحمل

مثل هذه الاهانة.وبناء عليه اتخذ موقفاً صلباً
وأمر بخيمته فنصبت فوق الرمال.

على الرغم من كونراد عدد كبير التحق بغي

خارج صور تجمع الحشد
وأنتم تعلمون بأنه تألم ألماً عظيماً
لأن المدينة حظرت عليه
وهذه المواجهة كلها قد خطط لها
من قبل مونتفرات،المركيز المزيف
وكان هذا ابنا لكونراد الشجاع
الذي أسر في القتال الكبير.
وهذا ماكان قط ليعمل مثل هذه المراغمة:
لأنه كان مخلصاً،وفارساً خلوقاً
بينما كان ابنه خائناً
ورجال صور الذين أحبوا كثيرا
ربهم،وأحلوا مصلحة الرب فوق
كل شيء آخر،غادروا المدينة مباشرة
وطلبوا الالتحاق بالملك بدون تأخير
وكان هناك نبيل ألماني،عمل
تلك السنة وخدم باخلاص وصدق

وكان أيضاً الأخوة الطبرانيون الجيدون،
والذين كانوا أكثر مجموعة سورية اخلاصاً
والبيازنة،الذين خدمة منهم للرب
قدموا بشجاعة العون والسيف
وعن بيوتهم تخلوا ولها هجروا
وكذلك عن كثير من الثروات. وقادوا
أزواجهم وأولادهم أيضاً،ليسافروا
الى عكا،حيث كان المسلمون هناك.

الزحف لحصار عكا

أما وقد جلب عون أخيه
سروراً عظيما الى الملك
وحكت الروايات الصحيحة أنه أقام
أربعة أشهر قبل أن يعود
إلى صور فوق الرمل،وهي البلدة
التي بكل مقتضيات العدل بلدته.
وعندما جلب من الديار كلها ووضع
العساكر تحت امرته
مع قوات أخيه—
التي شكلت شطراً كبيراً من موارده—

بات لديه أربعمائه فارس،وأحصى وجود
سبعة آلاف راجل لاأكثر
للقيام بحصار عكا. والذي خلصتُ إليه
أن مامن أحد سواه كان سيتجرأ على مثل هذه المخاطرة
ورائع أنه بمثل هذه البراعة حاول
فيما عدا أنه عرف أن الرب الى جانبه-
قتال قوة كان تعدادها أكبر من تعداد
قوته،بمقدار مائة مقابل أربعة
لكن الرب أراد هذا كله، ووقع الأمر وحدث
ووصل الحشد الى أسوار عكا
التي بقدرة هائلة صلاح الدين
سعى الى تحصينها
لأنه كان متأكداً من وقوع هجوم
من قبل الذين سرهم استردادها.
وقدم الملك خدمة الرب على كل شيء
الزب الذي عن ثقته به لم يتزحزح.
والذي توفر لديه من الرجال، مع أنهم كانوا قلة،
قادهم عبر الطريق الذي جيداً عرفه
وجاز الحشد سريعاً خلال المخاطر

لقد جاز ماقام بين عكا وصور
وعرف المجاز هناك باسم ممر اسكندرونة، وهناك
اقتيد الحشد من قبل الملك غي.
لكن صلاح الدين لم يكن على دراية
بهذا،ولو أنه عرف الأمور
لجرى تدمير الحشد بكل سرعة
وذهب روسيا كلها ما كان ليجنبه
مثل هذا المصير،لكن الرب أراد مصيراً آخر.
وهكذا بدأت المخاطرة التي استهدفت
انقاذ المسيحية
والتي تطورت بسرعة كبيرة
فالآن باسم الجسد المبارك
نحن الذين بالمسيحية نؤمن،الى هنا
جاء جيش الملك الى عكا. وبناء عليه
صعد الملك الى ظهر احدى التلال.
والآن الحشد المسيحي الذي توجه
من صور الى عكا صعد الى
ظهر التل.ويمكنكم أن تعرفوا يقيناً
أنهم صعدوا الى هناك في ظلام الليل:

ولم يتجرأوا على البقاء في الشعراء
ولهذا توجب امتلاكهم لأعلى البقاع.

دفاع صلاح الدين عن عكا

وعندما حان وقت الفجر تحرك الترك وزحفوا
خارجين من البلدة، ورأوهم هناك
يا للهول، البلدة كلها اضطربت
واستثير فرسانها وقلقوا وتشوشوا.
وأرسلوا يخبرون صلاح الدين، أنه قد
حدث أن قليلاً من رجال الفرنجة
بحماقة تحركوا نحوهم ليهاجموهم
وأنه ينبغي أن يقدم مسرعاً
ليقطع رؤوسهم عن أجسادهم ولكي لايبقي حيا
ولا واحداً منهم، لأنهم لن يتجرأوا على
الدفاع عن أنفسهم، وإلى أقصى الحدود
ابتهج صلاح الدين بهذه الأخبار؛
وكان عند الشقيف، التي عليها ضغط
بفعالية، وأراد أن يحاصرها.
واستدعى الاحتياط، وأعطى أوامر
أن عليهم في جميع أطراف بلاده

وجوب التوجه إلى سورية وأخذ
الطريق فوراً، من أجل النهب
وجاءت أعداد كبيرة جداً، علّ الرب يخزيهم
إنه الرب الذي خلق الأرض والسماء من حولها.
ولو أننا قطعّنا إنشاً فإنشاً
مامن واحد كان سيجد مأواه.
وبعد مضي اليوم الثالث على وجود رجالنا على
القمة العالية للتل
(حيث طوال الليل احتفظوا بسلاحهم
خشية من عمل مفاجىء من قبل المسلمين)
خذوا حذركم، إن رجال صلاح الدين
من فرس وترك وبداة
الذين قدموا، عقدوا العزم على
احتلال الأرض كلها بلا استثناء.
وفي اليوم الثالث من الاسبوع
جاء صلاح الدين نفسه ليقوم
بانتقام سريع اشتهاه
وأن يقطع رأس كل فرنجي

- ١٣٨٤ -

بداية الحصار

وليست المسألة مدهشة
إذا توجب عليهم المراقبة بأعين مفتوحة
وإذا كانوا قد تحملوا الرعب والآلام
في محاولتهم لحفظ رؤوسهم وحمايتها
لأنهم عندما كانوا على قمة التلة
هاجمهم الترك في الليل وفي النهار
وحملوا عليهم مراراً وتكراراً بشدة
بلغت حداً أنهم نادراً ماتمكنوا للتوقف للأكل
وصنع غيوفري دي لوزغنان أعظم
الأفعال الكبيرة لحماية الحشد.
من قبل كان شجاعاً وباسلاً
والآن ذاعت شهرته أكثر.
ومن الاثنين حتى الجمعة هكذا
عاشوا في خوف وفي هول عظيم
وستسمعون الآن خبر ماأولاه
الرب من عناية لهؤلاء الذين قرر حمايتهم
فما من شيء يمكن أن يؤذيه أو يضره
الذي أوقف نفسه على خدمة ارادته

- ١٣٨٥ -

وصول جاك دي أفنس مع نجدات

وبينما عاشوا هكذا في رعب وقلق وشك
نظر الملك والذين معه وتطلعوا
نحو أعالي البحار في آخر الأفق
وصلّوا للرب بإخلاص وبحرارة
من أجل صيانتهم وحمايتهم حسبما
يشاء، وهم في ذلك، تطلعوا فرأوا قادماً مسرعاً
أسطولاً رائعاً بسفن مشحونة بالرجال
وفيها قوم قادمون إلى البلاد
جاك دي أفنس كان هناك، وهو صاحب فلاندرز
أنا لا أظن أن الاسكندر
أو هكتور أو آخيل كانوا
رجالاً أكثر نبلاً منه في أخلاقهم
لقد كان جاك هو الذي باع، أو ضمّن
أو رهن، ميراثه ومقتنياته
وباع كل ممتلكاته
ووهب بحكمة لانظير وبإخلاص عظيم
القلب، والنفس، والجسد وأعطاهم
إلى الملك الذي انبعث إلى الحياة من الموت.

- ١٣٨٦ -

وأربعة عشر ألفاً معه جاءوا
رجال شاكي السلاح ومعروفون ولهم شهرة
وكانت هذه المراكب هي الاسطول الدانماركي:
وكانت هناك أعداد كبيرة من كاستيلا كان من الممكن رؤيتهم
ومن كورنوول، ومن التخوم أيضاً
فهكذا الذين عرفوا الحكاية تحدثوا ورووا.
وخيول رائعة من خيول الحرب، كانت
قوية وسريعة، بنية وكستنائية
وعندما باتوا على وشك الرسو، يمكنكم
رؤية الترك وقد اقتربوا من حالة الجنون
وبعنف، نحو الشاطىء اندفعوا
لابل بعضهم حتى في الماء خاض.
وأصيب الذين كانوا بالبلدة بالجنون
فرموا بزخات من النشاب وأسقطوها
لكن الذين كانوا على ظهر التل انحدروا
ومن كل جانب واتجاه مضوا
حيث حملوا، وقاتلوا قتالاً عنيفاً.
لكن الترك — على كل حال — صدوهم، وإلى الخلف أعادوهم
مع رمايات كثيفة. ومع ذلك

نزل رجالنا إلى اليابسة بنجاح.
وعندما رأى صلاح الدين الحشد قد جاء، انشرح
وقال: «الآن غنائمنا قد ازدادت».

المناوشات الأولية

عندما الملك العالي، الذي له نركع
لنتعبده، رأى جيشه يزداد
حتى غدا ثابتاً بعض الشيء، وقوياً
قوة لم يعد بإمكانها الصبر أكثر..
وامتلك رجاله جميعاً الجرأة بوئام
وأخذوا طريقهم منحدرين من التل
وأقاموا ستائر لهم، ونصبوا الخيام
وشرعوا بحصار عكا.
بينما على الطرفين عدوهم، تحرش
بهم، كما أنهم تعرضوا لضغط مريع.
وتماسكوا وثبتوا بأنفسهم على طرف البحر.
وثبت البيازنة وقاوموا مقاومة شجاعة
وببسالة تولوا حراسة سيف البحر
ضد رجال قطيع الكفار المتوحش
حتى لايتمكنوا من تدمير، أو

الاستيلاء على السفن القادمة إلى الشاطىء.
وفي صباح أحد الأيام — وكان اليوم يوم جمعة —
جرى اشتباك عنيف
على بعد، باتجاه تل المصلبين
ووقع قتلى من الجند على كلا الطرفين.
والذين في البلدة قاموا بغارة
وإلى داخل عكا أدخلوا عنوة
قافلة ذات حجم كبير
من الجمال المحملة بالميرة والمؤن
وإلى صلاح الدين جلبوا
الأسلاب والغنائم التي من أجلها قاتلوا.
وكانوا يدخلون إلى البلدة ويخرجون منها تماماً
بكل يسر، مثلهم مثل الذين امتلكوا القدرة.
والذين تمركزوا في عكا لصدنا
لم يكونوا فلاحين، اعلموا هذا جيداً
ولم يجلبوا من وراء العربة أو المحراث
لأننا مؤخراً علمنا وتجددت معرفتنا
أن هؤلاء جميعاً الذين لايطيعون
الرب، مامن أحد كان أكثر أهلية وشجاعة

منهم لاقتحام القلاع، ومامن أحد أكثر شجاعة
٢٩٢٠— منهم لحماية المدن والدفاع عنها.

الصليبيون الغربيون يزدادون قوة

ولم يكن قد مضى أكثر من أربعة عشر يوماً عندما
وصل إلى هناك كونت بريين (ايرارد الثاني ١١٦١ — ١١٩٢)
وأخوه أندرو كان قد جاء معه،
وهو ابن لسيد جيد ولسيدة جيدة.
وكافل مقاطعة فلا ندرز الذي (هلين دي بريين)
جلب عشرين باروناً بالتمام أيضاً
والأمير (لنغريف) الألماني (لويس الثاني لنغريف ثورنغيا ١١٧٢ — ١١٩٠)
وكان معه خيولاً جيدة من اسبانيا—
وكذلك أسقف بيوفياس (فيليب دي درو)
٢٩٣٠— وكان رجلاً مسناً، وضعيفاً، وأبيض الرأس.
لامعاً، ونشيطاً، وثابتاً لايتزعزع.
ووصل كونت بار إلى هناك (هنري الأول كونت بارلى دوك ١١٧٠ — ١١٩١)
وهو الذي لم يكن بين الناس من هو أكثر لطفاً منه؛
وكثير من الآخرين الأشداء والحكماء
رجال جاءوا للالتحاق بالمخاطرة.
ومثير للدهشة أنه كان كلما ازداد عدد القادمين، الأقل

من الخوف أو اليأس أعطوا للأعداء
الذين صدوهم وهاجموا دفاعاتهم
وزاد عليهم الضغط ولاحقوهم حتى إلى خيمهم
وقام رجال البلدة بحملات علينا
والآخرون ازدادوا عدداً
كل يوم، وملأوا البلاد. وتقريباً
أحاطوا بحشدنا الشجاع؛
الذي رجاله — على كل حال — لم يتزحزحوا
بل وقفوا ثابتين في سبيل ملكهم السماوي.
وبينما القتال العنيف دائر أمام عكا
مامن أسقف، أو كاهن، أو كاتب، كان بإمكانه أن يكتب
أو يتحدث عن الأهوال والآلام
التي توجب على العساكر الفرنجية تحملها
ولاعن شقائهم ونيلهم الشهادة حتى وصل الملكان إلى هناك
وهما ملكا انكلترا وفرنسا
ورجالهما ذوي الشجاعة البالغة
الذين أحبوا الرب بكل إيمان وصدق
والذين حولوا أسوار عكا إلى رماد.

- ١٣٩١ -

هجوم الأتراك وصدهم

في يوم جمعة من أيام شهر أيلول
حدث حسبما أتذكر جيداً
أن نزلت بنا نازلة قاسية
وكانت شديدة الإيذاء ومفجعة.
ففي كل يوم المسلمون هاجموا
رجالنا، ومامن يوم واحد تخلوا فيه عن ذلك
وسلح الفرنجة أنفسهم ليأخذ كل
واحد منهم مكانه، تبعاً لأوامر
قائد القوات والعساكر
الذين توزعوا على فئات
والاسبتارية والداوية أيضاً
كانوا على شاطىء البحر، حيث الجماعات
المسلمة المحتشدة كانت كثيرة
وبدأ القتال هكذا دائماً:
في القلب كونت بريين
أخذ موقفه مع رجاله
وهناك لنغريف ألمانيا
أخذ موقفه مع جماعته الكبيرة

قرب البيرهMahomerie للحراسة

العمل الذي أدوه أدوه بنجاح واستحقوا المكافأه.....

والعساكر التي جاءت من بيزا،وعساكر الملك غي

مع آخرين ذوي شجاعة كبيرة وبراعة

على اليمين وقفوا، لإدامة المراقبة

٢٩٨٠— للقوات التركية،المعسكرة في النطرون.

وجاء المسلمون بشدة وعدة،وكان ممكنا

لكم رؤية عدد كبيرمن الوحدات الجيدة.

الداوية والاستبارية

حملوا وعلى قوات المقدمة انقضوا

ولصفوفهم خرقوا،وفعلوا بهم أفاعيل

وطاردوهم عندما شرعوا بالانهزام.

ومثل هذا فعلت بقية قواتنا.ومن جميع الجهات

تمزق المسلمون،وتخلواعن مواقفهم.

لكن الأعداء كانوا في أعداد هائلة

٢٩٩٠— الى حد أنه مامن فرنجي كان يمكنه أن يعرف

أي طريق سيسلك والى أي اتجاه سيتحول

كما لم يكن بامكان الترك عرقلة الانهزام.

-١٣٩٣-

حتى حدث حادث حوّل التيار لصالحهم

الى جانب الجبل هم كانوا
عندما الشيطان،دخل الى المعترك
فقام بأعظم أفاعيل الشر،مما كلفنا
حياة عدد كبير من رجال حشدنا
والذي حدث أن فرساً لألماني
هرب منه وركض بعيداً.وبسرعة قصوى
لحقه هو وأتباعه
لكنهم لم يستطيعوا إمساكه واللحاق به الى حيث فر
ذلك أن الفرس هرب باتجاه المدينة، وهنا
مائة ألف من المسلمين
ظنوا أننا كنا منهزمين. وبناء على هذا
لقد اعتقدوا أن صفوف الفرنجة قد تمزقت
فحملوا علينا.ونحو المعترك
انعطفوا،وأنزلوا بنا هزيمة ساحقة في ذلك اليوم
حتى أن الذين تعودوا على قيادة
الحشد هم أنفسهم تعرضوا لمحنة قاسية.
وقاتل الأعداء بشدة، وتفوقوا
علينا:وكنا واحداً مقابل أربعة وعشرين.

والذين منهم أجادوا استخدام الهراوات أو العصي
تركوا أعداد كبيرة من الأموات على المعترك.

خسائر الفرنجة

هناك لاقى أندرودي بريين مصرعه:
علّ روحه لن تعاني في الآلام
ولم يتوف قط فارس مثله شجاعة
أو مثله سرعة في تقديم العون للآخرين
وضيق المسلمون الخناق على مركيز
دي مونتفرات وشددوا الحملة حتى
بات مصيره الفناء،لولا أن
٣٠٢٠— الملك غي بادر للتفريج عنه.
ولاقى مقدم الداوية مصرعه
وسط حمأة القتال وشدته
ولقد كان هو الذي تفوه بالكلمات النبيلة
ذلك أنه تعلم في مدرسة الرب الجيدة
عندما أثناء تلك الهجمة،أناس خائفون
وكذلك أناس لايعرفون الخوف،توجهوا
إليه بالخطاب:«تعال،ياسيد تعال،ودع القتال»،
ولو أراد ذلك،لكان بإمكانه تماماً

- ١٣٩٥ -

الرجوع،غير أنه قال:«لاسمح الرب
أن أكون قط في مكان آخر
أو أي انسان يشتم
الداوية،ويقول إنني هربت خائفاً».
هو لم يهرب،لكنه هلك،بعدما
غُلب وألقي أرضاً من قبل الترك الذين كانوا كثرة كثيرة
وخمسة آلاف من أوضع الناس وأدناهم قتلوا
وتبعثرت أجسادهم وتناثرت فوق البسيط.

وبطولات

ثم عندما الأعداء داخل المدينة
علموا أن رجالنا قد ألحقت بهم الهزيمة
امتطوا ظهور خيولهم العربية
وساقوا نحو الأمام،وانقضوا على قواتنا
بسرعة هائلة وباندفاع شديد
وكان مقدراً لهم سحقنا
لولا أننا قاتلناهم بعزيمة وصددناهم؛
فقد صمد رجالنا أمام الحملة الحادة،
وفعلوا أفاعيل طيبة،وضربوا ضربات جبارة
وأجادوا التعامل مع أعدائهم المبغوضين

وقاتل الملك ببسالة وجودة
أعني الملك غي ،الذي سمعتموني عنه أتحدث.
ومثله أجاد الفعال غيوفري دي لوزغنان
الذي عانى وتألم كثيراً أثناء هذه المخاطرة
وجاك دي أفنس،الجريء،الذي يده
صنعت أفاعيل جبارة في البلاد
والآخرون أيضاً،قاتلوا وناضلوا جيدا
حتى تمكنوا من صد الأعداء وردهم الى عكا.

الصليبيون يخندقون حول أنفسهم

هكذا حدث في ذلك اليوم ونزل بنا
عندما الحظ أشاح بوجهه عنا.
وتجددت أفراح المسلمين وزال الكرب عنهم
(الرب يلعنهم وأنا ألعنهم أيضاً)
لأنهم آذوا هنا وأهانوا
جنودنا الفرنجة،وشددوا الضغط
وأغاروا على رجالنا وهزموهم أكثر من ذي قبل.
وعندما وقع هذا،وصار قادتنا واعين
لما حدث،تحدث البارونات بحكمة وقالوا:
«أيها السادة،قليلاً من المرابح مانلناه.

دعونا نبدع نوعاً من التكتيك، يكون جيداً
لصد أبناء الشيطان هؤلاء وإبعادهم
الذين طوال النهار فرضوا علينا الإذلال
ويستولون على خيولنا ويسرقونها في الليل»
وكان هذا هو القرار الذي
اتخذوه:لقد أمروا بخندق هائل
أن يحفر عميقاً-وأن يكون عريضاً وواسعاً-
وأن يقام الكثير من الستائر الدفاعية الى جانب
الخندق،وحواجز خشبية وترسة
وهكذا قسموا مسارح العمليات وفصلوها
لكن المسلمين تابعوا التحرش
برجالنا، ولم يدعوهم ينعمون بالراحة

أجساد الموتى تلوث المياه

اسمعوا الآن عن اضطراب عظيم
نجم عن المقتلة التي أنزلت
بالفرنجة،المسألة التي أنا عالجتها
للتو،عندما هزموا هزيمة ساحقة.
وفي اليوم الذي جاء تاليا
لكوارث ذلك العراك الهائل

عندما جميع نخبة الحشد سحقوا وتمددوا
أرضاً، وقواهم زالت وتبددت
وعندما كثير من فقراء الناس الذين أخفوهم
هناك خدمة للرب وطاعة،ماتوا؛
أمر صلاح الدين بجثة كل مقتول
أن ترمى في مجرى ماء
عكا،وبذلك أعيدت مرسلة إلينا
ولقد كان منظرا مرعباً جداً
الأجساد،طافية، ثم قذفت
الى الشاطىء بوساطة تيار الماء، فصارت بين الناس
وازدادت أكوام القتلى وتعاظم حجمها،ومنها
جاءت روائح نتنه وامتلأ الجو بروائح الأجساد المتفسخة
ولهذا هرب الجيش كله من هناك
حتى تم دفن القتلى،ومع ذلك
حتى بعد مضى وقت طويل توجب تجنب
النتن الصادر عن التفسخ

حرب الخنادق

أكمل الجيش الفرنجي الآن حفر
الخندق الذي أفاد بمثابة حاجز

لحماية الجند ووقايتهم،عندما
يقاتلون من قبل قوات المسلمين
الذين هاجموهم في كل يوم، سواء
أكان المناخ ملتهبا أم قارصاً.
وحول الخندق جرت المعارك القتالية
بين رجال الرب وقطيع الكفار
وتركزت جهودنا في سبيل بقائه
في حين ناضلوا من أجل طمه وتدميره.
ولهذا كان من الممكن لكم أن تروا في تلك البقعة
٣١١٠— خمسمائة ألف نشابة وأكثر
حملها حفرة الخندق وناولوها هناك
الى الذين قاتلوا دفاعا عنهم،
وكان بامكانكم أن تروا على كلا الجانبين
رجالاً ذوي شجاعة عالية وقلوب صامدة
وكان يمكنكم رؤية رجال يسقطون،ويتدحرجون تحت
الآخرين،ويتمزقون،وأطرافهم تتبعثر.
ووجهت ضربات شديدة وتبودلت خلال القتال
الذي لم يتوقف حتى حلول الظلام.

-١٤٠٠-

نزول الحجاج الى اليابسة

فيما بين الوقت الذي تولى فيه الحشد الأول
إلقاء الحصار على عكا القائمة على الشاطىء
والاحتفال المقدس في يوم عيد جميع القديسين
إنني أعلم،وغالباً ماسمعت يقال
أن رجالاً قدموا الى هاهنا بلا انقطاع
كل واحد منهم مستعد لتقديم العون.
وجاء كونت فيرير،الذي بوساطته(وليم فيرير،إيرل دبري،وصل في ١١٨٦ ومات في ١١٩٠)
أكثر من مائة تركي واجهوا حتفهم
وكان رامياً بارعاً الى أبعد الحدود
حتى أنه لم يوجد من كان أسرع منه في رمي النشاب
وغي دي دامبير جاء،وهو الرجل
الذي امتلك قلاعاً جميلة، مبنية بالحجارة(في شامبين في فرنسا)
وجاء أسقف فيرونا(أدلرادو كاتانيو- أسقف ١١٨٨-١٢١٤، كاردينال ١٢١٤-١٢٢٨)
الذي كان جيدا وامتلك شهرة عالية.
وجميع هؤلاء الناس الذين جاءوا الى هاهنا
كانوا شهداء، ومعترفين أيضاً.
ذلك أنني يمكنني التجرؤبالقول بأن هؤلاء بيسر عظيم
عانوا من شهادة مأساوية

مع تيقظ مستمر ومع رعب دائم
وإنهاك بلا نهاية،ليلاً ونهاراً
لأنهم لم يتجرأوا على الاستراحة،كما لم يكن بإمكانهم
التوقف للحظة واحدة عن العمل
حتى اكتمل الخُندق كله تماما
وهو الذي شهد كثيرا من البراعات الدموية

وصول اسطول اسلامي من مصر

قبل يوم من عشية عيد جميع القديسيين
وقعت هناك واقعة سببت الأسى
للحشد،وتعاسة مدهشة
ومؤلمة جداًومأساوية.
فيها العساكر الفرنجية منحنية
تحت وطأة ثقل اليقظة بلا توقف
والذين تمركزوا على ظهر التل
حولوا أنظارهم باتجاه حيفا.
فرأوا اسطولاً عملاقاً قادماً من هناك
مكوناً من غلايين مسلحة أعينهم قدمت لها التحيه.
وجاء هذا الاسطول من مصر
التي ناضلت مع عكا بوحدة وانسجام

-١٤٠٢-

وتحرك الاسطول بنظام حسن
وأخباره على الفور
انتشرت في أوساط الجيش الفرنجي
وحكت كيف أنه قادم بسرعة وبجرأة.
وهناك كان بينهم بعض من اعتقد-
مع أن مامن واحد في الحشد عرف شيئاً مؤكداً-
أنه كان اسطولاً بيزيا،واعتقد بعضهم
أنه جاء من جنوى،
أو من البندقية،أو من صقلية
لتقديم العون لهم لنيل نصرهم
ولاقتحام البلدة. وفيما هم هكذا يخمنون
ازداد اقتراب الغلايين أكثر
ثم ازداد أكثر، وببرهة قصيرة
شقوا طريقهم الى داخل ميناء
عكا. وقبل أن يصلوا الى البلدة
جعلوا إحدى سفننا ملكاً لهم
وكانت محملة بالجند والمؤن
وبسرعة ساقوا غنيمتهم
الى ماوراء حواجز المدينة،ثم

استولوا على الميرة،وقتلوا الرجال

عمل تركي مروع

واستمعوا الآن أنتم الى أخبار الأعمال الخبيثه
التي اقترفها بحق ربنا هؤلاء الترك الساقطين.
في يوم العيد المبجل
عندما تذرف الدموع التقية بغزارة.
ففي اليوم الذي نحتفل فيه بالعيد
عيد جميع القديسين الذين باركهم
في السماء ، أولئك التعساء المرغمين
الذين علقت أجسادهم على أسوار عكا في أعاليها
إنها أجساد الفرنجة الذين أخذوا
من داخل السفينة وبدناءة قتلوا
ويمكن للوعاظ أن يعلنوا بكل تأكيد وأن يصرحوا
أن مثل هؤلاء لهم نصيب
في المباركة السرمدية التي تبز
ما سواها ، وإنها بلا نهاية
تبريكات هؤلاء الذين اليهم نقدم
التبجيل في ذلك اليوم المقدس

- ١٤٠٤ -

بناء آلات الحصار

هذا الاسطول الذي سمعتموني عنه أتحدث
تولى حراسة الميناء والطريق بشكل جيد
ضد رجال الرب ، وبحراسته
للطريق والميناء كلاهما منعا
وهكذا ما من نجده بات بإمكانها أن تصل
الى الذين في سبيل ربهم ناضلوا
ونظراً لحلول الشتاء
لم يكن لديهم ميرة ولم يتمونوا
وحفروا خندقهم ، لكن بوساطة القوة
البرية ، طم فيها بعد مجدداً
وصنعوا في ذلك الشتاء برجاً خشبياً
ومجانيقاً وآلاتاً لرمي الحجارة الكبيرة
وقلاعاً متنقلة ، وسواتراً ، ودروعاً كبيرة وقوية
وبذلوا في سبيلها جهداً عظيماً وطويلاً
وفي الوقت نفسه العمال في الجهة المقابلة
وكان عددهم ثلاثين ألفاً، حصنوا
البلدة بأبواب وأبراج أيضاً
وبعرادات ثابتة وجديدة

لقد صنعوها قوية جداً وعلى درجة عالية من الثبات
٣٢١٠— الى درجة يمكنهم فيها ردّ العالم كله وصده .
وصلاح الدين الذي لم يدخر جهداً حتى
لا يفقد المدينة ، أقام هناك
عدداً كبيراً من المجانيق ، ومخزناً عظيماً
لحجارة الرمي ، ولالآت الحرب
وكثيراً من الحرفيين ذوي أيدي رشيقة بارعة
من الأجانب ومن أهل بلاده
وجرارا مليئة بالنفوط ، لا تعد ولا تحصى
وكميات هائلة من الأسلحة الفتاكة
الى درجة — كما علمنا فيما بعد وعرفنا —
ما من مدينة قط أو قلعة
٣٢٢٠— حوت سلاحاً كثيراً جداً وجيداً مثلها
أو مثل ما كان فيها من كميات عظيمة من الميرة والطعام
وهكذا مرّ الشتاء على هذه الصورة
حتى الربيع الحلو جاء أخيراً.
ووقتها — حسبما عرض أمبرويز
الحكاية — في أثناء الصيام
استخدم الجنود الألمان براعتهم

-١٤٠٦-

لبناء أول طاحون هوائية
عرفتها سورية
بينما حدق الملعونون من الرب من داخل البلدة وراقبوا
ما كان يجري فأصيبوا بالحيرة
وامتلأوا بالرعب وبالخوف .

الأسى بسبب وفاة فردريك بربروسا

والآن الى جيش الرب الموجود هنا
جاءت أخبار في البداية كانت جيدة
لكن فيما بعد كانت محزنة جداً
غير مرحب بها ، ومرعبة ، ومؤلمة :
امبراطور ألمانيا
رجل جيد ، مع حشد قوي
زحف نحو الضريح المقدس براً
ليلتمس النعمة من يد الرب .
قد توفي ، وكانت تلك خسارة مؤلمة
عند نهر بذل جهد لعبوره
عبر مخاضة غير معروفة وغير مجربة
هكذا إرادة الرب فعلت وقررت .
وعندما الذين في داخل عكا

تلقوا هذه الأخبار كانوا مسرورين جداً
وما عادوا يفكرون بشيء آخر مطلقاً ، لقد قرعوا
الطبول وقفزوا ورقصوا في الشوارع
واندفعوا نحو أبراج المراقبة واعتلوها
هناك ، والى رجالنا ألقوا
بالأخبار التي سمعها صلاح الدين
وأعطاها لهم ، كلمة فكلمة .
وأعلنوا من فوق أعالي الأسوار
وصرخوا الينا بأصوات عالية وخافتة
وشتائم تكفير أرسلوا الينا، ومجمعين
قالوا لنا :« امبراطوركم قد غرق »
ثم بدأ جيش الفرنجة يبكي وينوح ،
واستبد الحزن برجاله ، واستولى عليهم يأس عظيم
وشعروا بكآبة كبيرة وبأمل صغير للحملة الصليبية
باستثناء الأمل بالعون القادم
ومع استثناء الوعود بالصمود
وفي أوساط الجيش انتشرت أخبار حول
اقتراب وصول الملوك العظماء الآن
الى البلاد ، وحول سيدينا القويين العظيمين

-١٤٠٨-

ملكي انكلترا وفرنسا
اللذان جلبا التفريج والعون فيما بعد :
وبهذا اطمأن الحشد وشعر بالراحة .

وصول اسطول فرنجي من صور

انتبهوا ، انتشرت الأخبار الآن
بعد عيد الفصح بوقت قصير
وتحدثت عن اسطول كبير كان على طريقه
من صور ، وما لبثت الأخبار أن وصلت الى الميناء
ثم لكم أن تتخيلوا حشداً كثيفاً
من النمل ، أخذ يتدفق من عشه
عبر كل بوابة، من الأمام ومن الخلف.
من داخل البلدة، لدى سماع النفير
تدفق الترك إلى خارجها، مثلهم مثل سرب جراد.
عشرة آلاف رجل مسلح ظهروا للعيان،
مُغطين، هم وغلايينهم أيضاً،
بالسجاد، وبثياب من خالص
الحرير، وبالقباطي والمخامل.
وضد الاسطول أبحروا متقدمين
الاسطول، الذي أسرع أمام الريح

شمالية، وتقدم مثل لمح البصر نحو الرصيف
حيث الآخرون انتظروا ليصدوا
الحملة . وباندفاع فعال
تقدمت كل قوة نحو الأمام للاشتباك
وانقضت كل واحدة على الأخرى
وتقاتلنا بشجاعة قصوى وبشكل جيد
وكان تحت إمرة مركيز صور
— خمسين مركباً مسلحاً ومشحوناً برجال
مع معداتهم كلها كاملة
وهؤلاء تحركوا ضد الاسطول التركي

وهزموا اسطول المسلمين

وكان بإمكانكم أن تروا هناك كثيراً من الرايات
ورجالاً عليهم سيماء الشجاعة والثبات
ذوي سرعة جاهزين لأعمال الفروسية ومغامراتها
وأطلق الأعداء في البداية جروخهم .
وهكذا الاشتباك والقتال بدأ
الذي ما لبث أن احتدم بين الاسطولين
والآن القوم الجبناء من أمثال :
— البيازنة والجنويين

جرى اقتحام سفنهم وبوارجهم
من قبل رجال يحملون القسي العقارة والترسة
وحصلوا على مقربة من رجالنا
ثم شرعوا يرمون بالنشاب وبالجروخ
حتى رددنا اسطول الترك الى الخلف
واستولينا إثر قتال عنيف ، على
غليون ، جلبناه الى الميناء
وكان بإمكانكم ساعتها سماع أهازيج عالية
كما كان بإمكانكم رؤية فتيات وزوجات
يحملن في أيديهن سكاكين كبيرة
ويمسكون الأتراك من شعورهم ومن ضفائرهم
وينزلون بهم آلاماً مبرحة
ومن ثم يقطعون رؤوسهم ويحملونها
عالياً عائدين منتصرين الى الشاطىء .
وعلى الاسطولين ظلت المعمعة
مستمرة ، وكان كل واحد منهما يتقهقر
ثم نحو الآخر يتقدم
ثانية ، وكلاهما رميا بالنفوط
وكلاهما احترق ، وكلاهما تراجع لإطفاء

٣٣٢٠ — اللهب ، وعندما صدما بعضهما بعضاً
قاتلا واصطرعا بشجاعة منقطعة النظير
حتى سيقا الى داخل الميناء
ما من انسان قط شاهد
معركة كانت على هذه الشاكلة

وقاتل الأتراك من جهة البر

وكان حشدنا المحاصر حشد
الرب هو الذي دفع الثمن الغالي جداً
لأن الأتراك كانوا أكثر عدداً
كانوا كل يوم أكثر غضباً
وقد امتلأوا بحقد عظيم وخشية
أن يخسروا سفنهم في القتال
٣٣٣٠ — وعليه بينها القتال كان محتدماً
في البحر ، أقلعوا بهجوم حاد
على خندقنا، حتى أن مامن واحد بين
الفرنجة، عاليا كان أودانياً، أوشاباً
أو عجوزاً، وإن كان ذا شهرة وثبات
في الحرب، لم يستطع حماية نفسه،من دون بذل
جهد عظيم، من الترك الذين اقتحموا

الخندق، لأنهم مثل الذباب احتشدوا
مستخدمين كل ما امتلكوه من وسائل
لطم الخندق وتدميره[1]
وكان بإمكانكم أن تروا هناك كل السهل
مثل حقل قمح حديث النضوج
من هاهنا إلى بدايات التلال
مغطى ومظلم بعشائر
الترك، التي بدون توقف نحو الأمام تقدمت
بدون لحظة توقف أو راحة:
وإلى عمق الخندق رجالها اندفعوا
بشكل كثيف جداً، حتى أنهم سقطوا وسحقوا
بعضهم بعضاً. رجال سود يتصببون عرقاً
كانوا هناك، إلى الرب مبغوضين
وإلى الطبيعة، يرتدون على رؤوسهم قلانس حمراء:
وحوش، أو أكثر قبحاً
الرب لم يخلق قط، وكانوا كثرة كثيرة
وكانوا همجاً لايعرفون الرحمة.
وبدوا وهم يتحركون بشكل مخيف
وعلى رؤوسهم قلانس حمراء عالية،

مثل أشجار كرز ممتلئة بالحبوب الناضجة.
ومزيد من الترك كانوا مع هؤلاء—
خمسمائة ألف رجل هناك اجتمعوا،
٣٣٦٠— حسبما قيل. ومن المدينة حمل وتقدم
الترك الآخرون، وكانت أعلامهم تخفق
في الأعالي. وعلى كلا الجناحين حملوا على
رجالنا، وكان المعترك مميتاً جداً
إلى حد أنه أثناء النهار، مراراً
كان جند الفرنجة في حالة شك لايدرون
هل يمكنهم المناورة لكي يصمدوا.

لكن الفرنجة كانوا المنتصرين

الأعداء، الذين على رؤوسهم قلانس حمراء
كان لديهم راية واحدة حولها التفوا جميعاً
إنها كانت راية محمد (صلى الله عليه وسلم)
٣٣٧٠— تحمل على رأسها تمثالاً (كذا)
فباسمه جاءوا إلى هاهنا
ليسحقوا الفرنجة ويدمروهم
وقاتل القوم الأوغاد والأشرار وحاربوا
مستخدمين أحجار كبيرة كانوا قد جلبوها.

- ١٤١٤ -

هكذا كان القتال الذي بصعوبة بالغة قاتله
حشدنا على الجانب البري.
في حين القتال في الجانب البحري
استمر حتى حلول الظلام،
لكن، برحمة الرب، أخيراً
نال اسطولنا النصر
لأن فريقاً من البارونات، يوماً تلو يوم
اتفقوا ورتبوا أن يتناوبوا
فيما بينهم في السفن، وكانوا فريقاً تشكل
من رجال شجعان جداً، ومسلحين بشكل جيد
وقد قاتلوا بشجاعة، وبموارد وبدهاء
ودفعوا برجال العدو وهزموهم بالقوة في
داخل سلسلة الميناء، وهكذا
تمكن اسطولنا من الحاق أضرار بالغة جداً
في داخل أسوار المدينة بين
الترك — ثم ماذا، أربعين ألفاً أشداء —
لم يعد بإمكانهم التقدم والخروج أوالحصول
على العون من البر أو البحر
وبما أن موارد أطعمتهم أخذت تتناقص

-١٤١٥-

عرفوا مجاعة شديدة وضيقاً عظيماً

الصليبيون يهاجمون الأبراج

في خميس الصعود
أثناء مسيرتنا المقدسة
في ذكرى كيف أن ربنا صعد إلى السماء
وحسبما جاء في نص مقدس صادق أعطي لنا
باسمه الذي نحن نعبد، جميع
رجالنا سوف بسرور يقتحمون أسوار عكا
ضد الأعداء امتلكنا ناراً اغريقية
وأبرجة مغطاة بالحديد وبالجلود بشدة
وكان هناك ثلاثة من هذا النوع، ذوات حجم هائل
بنيت من قبل ثلاثة نبلاء بالتعاون المشترك:
المركيز مع الجنويين
اللنغريف، والملك غي، كانوا هناك
وعندما حان الوقت للاقلاع
بالهجوم، كان هؤلاء النبلاء الثلاثة في
أبراجهم، وإلى الأسوار فوق
المدافعين تسلقوا، في حين إلى الأمام زحفت
عساكر الرب، وواجه الهجوم دفاعاً قوياً

من الذين كان لديهم قليلاً من الصمود
والذين دافعوا بثبات وشجاعة
جعلونا ندفع ثمناً عالياً مقابل تعاستهم.
لم يقاتل مدافعون قط بمثل هذا الجبروت
وقاتل أطراف الشيطان هؤلاء كما يلي:
ضرب بعضهم الكوسات، وبادر بعضهم الآخر مسرعاً
للاندفاع إلى حيث توفرت الحاجة الماسة.
— وتدافعت على خنادقنا عساكر تلو عساكر
وانقضوا عليها، وقفزوا إلى داخلها
عندما شهدونا فيها متمركزين
وهاجمونا بشدة. وهكذا توجب علينا آنذاك
خرق الأسوار، والقيام بالدفاع
وبشدة وحدة هاجمنا الأسوار لوقت طويل
من انبلاج الفجر حتى حلول الظلام.
وتوجب علينا التوقف في المساء
ذلك أن المسلمين قاوموا مقاومة هائلة
وعلى الأبراج الثلاثة رمى الأتراك
— النفوط والمواد المحرقة وأحرقوها، وهكذا أخيراً
بالقوة توقفنا وتراجعنا. فلقد أحرقوا

-١٤١٧-

الأبراج وحولوا طاقتها إلى رماد.

مجاعة في المدينة جرى التفريج عنها

في عكا الكفار، أولاد
الكلاب عانوا مطولاً من قلة الطعام
ومع مرور الوقت، ازدادت المعاناة
وازداد النقص، وتحملوا مجاعة عظيمة
وباتوا في حالة مرعبة جداً
وصاروا قانطين بسبب العوز والمجاعة
واضطروا لذبح حيواناتهم، وأكل
لحومها، ورؤوسها، ورقابها، وأحشائها، وأقدامها.
وخارج أبواب المدينة ألقوا
بالأسرى من ضعفاء وشيوخ، أما الشباب
وذوي القدرة والنشاط، والمراهقين
فاحتفظوا بهم لتشغيل مجانيقهم.
وعانوا من مأساة حادة جداً
وآلام، وعوز، ومجاعة
من غير الممكن وصفها
بالتفصيل، وذلك حتى مابعد عيد القديس يوحنا؛
ثم الشيطان، حتى يحميهم

بعث بثلاثة مراكب، جرى اغراقها
مع قتل كثير من الأتراك
لكنهم أنقذوا المخزونات التي ملأت
السفن. وزودهم هذا بميرة جديدة
وبهذا استردوا شجاعتهم وعلاهم السرور
وقاموا بإغارة جديدة وهجوم
وقطعوا أطرافنا من الأمام ومن الخلف

الفرنجة يستدرجون بحماقة إلى هزيمة

وجاء يوم كلف غالياً
رجال الحشد المكرس للرب:
وكان هذا اليوم يوم عيد القديس يوحنا (الصحيح عيد القديس جيمس ٢٥ — تموز)
لكن الشيطان، الذي لم يوقف قط
أعماله، كان قادراً على ارهاق
الجيش وانقاص عدده.
أنا كذبت، إنه لم يكن الشيطان.
الرب قضى الأمور هكذا، هذا ماعرفته،
لأن إرادته قضت بالحصول
على مزيد من الشهداء لمملكته العلوية.
خيرة السير جندية ونخبهم

أحسن مارؤي من الرجال وماسوف يرى على الاطلاق
أولئك القوم المساكين، الذين كان نصيبهم المصاعب
انطلقوا بدون حراسة كافية.
لقد استهدفوا وضع حد لشقائهم وآلامهم،
وأعطى الجيش الناس قليلاً من الراحة.
كانوا عشرة آلاف رجل جيدي التسليح
الذين انطلقوا، وكانوا جميعاً في نظام حسن
وساروا على شكل وحدات شديدة الاتصال
ببعضها، في سرايا وأفواج
ونحو خيم الأتراك توجهوا
وإليها قصدوا، وعليها جهودهم ركزوا.
وعندما الترك رأوهم قادمين مباشرة
نحوهم، لم يتجرأوا على الانتظار.
ووصل رجالنا، والأفضل من جميع
ماوجدوه هناك تملكوه
لأنفسهم، وبهذا باتوا مثقلين بالأحمال
وبذلك باتوا صيداً سهلاً للأتراك
الذين بسرعة انصبوا عليهم وانقضوا
وبذلك سبعة آلاف رجل، لابل أكثر

١٤٢٠ -

تركوا، وكانوا بدون حماية

فيما عدا بعض الفرسان الذين سارعوا إلى هناك

لكن لقلة عددهم، عبثاً بددوا جهودهم

وهكذا جميع الرجّالة قتلوا

وإنه هناك مات ثوريل دي مسنيل

الذي قاتل بشجاعة وغيرة

ولقد بكيناه، وعم النواح والأسى

الحشد كله، وعدد كبير إلى جانبه.

- ١٤٢١ -

الفصل الرابع

هنري أوف شامبين يجلب النجدات

على حشد الرب، المسلمون
قاموا بكثير من الحملات الجريئة، وانقضوا،
والرب، من خلال جماعته
عانى هناك من كثير من الانتكاسات.
الرب وضع شعبه أمام الاختبار
— ومثلما امتحن القديسين، بارك هؤلاء
الذين تحملوا كثيراً من المحن
مثلما في الفرن الذهب يمتحن.
وهؤلاء الرجال الذين إلى المخلص قدموا
أنفسهم، عانوا من كثير من المصاعب
ووسط هذا كانت المعاناة المرة
انتبهوا، لبارونات فرنسا.
شرعوا في آب، عندما الوقت
كان موائماً، قبل صقيع الشتاء
وإلى هناك جاء الكونت هنري أوف شامبين

٣٥١٠ — مع جماعة عظيمة من الرجال
وجاء أيضاً كونت ثيبوت أوف بليوس
غير أنه لم يعش مايتجاوز الثلاثة أشهر
وكذلك كان حال الكونت ستيفن الذي لم يعش طويلاً
هو جاء، ثم مالبث أن مات.
وكونت أوف كليرمونت، الذي فروسيته (رالف ١١٦٢ — ١١٩١)
إلى الرب وإلى العالم بدت جيدة
وجاء كونت أوف شالون، وكان قوياً (وليم الثاني ١١٦٨ — ١٢٠٣)
ونبيلاً ثابتاً، وطويلاً، وأعطي بسطة بالجسم.
وعدد كبير جداً جاء من ذوي الشهرة الواسعة
٣٥٢٠ — تعدادهم لم يعرف قط.

معجزة

أمام عكا، في خلال ذلك المتسع حدث
أن هؤلاء الرجال المخلصين ذوي الأصل النبيل
من أجل خلاصهم هناك سكنوا
ومن أجل حب الرب، الذي شعروا به جميعاً
وقعت هناك وقائع فيها شجاعة وثبات
ومخاطرات، وحقق الرب
بقدرته كثيراً من المعجزات

-١٤٢٣-

تولى المؤرخون تدوين أخبارها.
وكان لدى الحشد مجانيق لرمي
الحجارة، وكان الناس دوماً يمضون
نحو الأمام ونحو الخلف وهنا وهناك. وقائع
هناك وقعت، وحوادث غريبة
في الساعة التي وقعت فيها، بدت
مثل معجزات، وهكذا عدّت.
في داخل المدينة وفيها وراء الأسوار كان هناك
حسبما ذكر الرواة
آلة رماية للحجارة كاملة
مثلها لم ير من قبل ولم يشهد
وكانت هناك واحدة هدّفت بشكل جيد جداً
حيث كانت تسبب دماراً كبيراً، وأينما سقطت
قذائفها كانت عن بعد تحطم
آلاتنا، ومعدات الحرب لدينا
لأنها قذفت بصخور كبيرة جداً
طارت كأنها على أجنحة حملت
وأنها احتاجت إلى قوة رجلين
لشد وترها ومدّ ذراعها، هكذا قال الكتاب

وعندما أرسلت القذائف بسرعة
ضربت الأرض التي عليها نزلت
وغطست القذيفة في الأرض
مقدار قدم عمقاً، وهناك وجدت.
هذه الآلة نفسها هي التي ضربت
رجلاً على ظهره. لاحظوا
أن شجرة خشب لم تستطع قط
أو عمود من الرخام أن يصمد
أمام مثل هذه الضربة، إلا وكان سينشطر إلى قسمين
فقد طارت القذيفة بشكل مستقيم وكانت قاسية.
لكن الرجل لم يعرف حتى
أنه قد ضرب. فالرب هكذا أراد.
ويحتاج الانسان إلى وجوب الايمان بالرب
الذي يمكنه تحقيق مثل هذه المعجزة.

القوة المنقذة لكتابة مقدسة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة.
ففي الوقت الذي تحول فيه نيسان إلى أيار
حدث حادث كان مغامرة عجيبة

مع سيرجنت كان في الحشد
الذي اتخذ موقعه في الخندق
وقد ارتدى سابغة من الزرد على رأسه وصدره
وصدرية مطرزة بشكل غني لبس
وواحد من الأعداء ممن ازدرى اسم الرب
حدد هدفه من وراء فتحة الرماية
وأرسل بجرخ سريع من قوسه العقار
فأصاب رجلنا إصابة كاملة على الصدر
وقطع الزرد، وخرق الصدرية أيضاً
ثم نفذ من خلال الدرع.
وحول رقبته السيرجنت ارتدى،
حمداً للرب، تعويذة أنقذته من مصائب
سوء الحظ، لأنه كتب عليها
اسم الرب، وأكد الذين شهدوا
أنهم رأوا بشكل واضح كيف أن الجرخ
انحنى عندما ضرب هذه التعويذة.
أعمال الرب حكيمة: أولئك الذين
يحميهم لايحتاجون إلى الخوف من أي عمل شرير.

- ١٤٢٦ -

مفارقة غريبة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة.
في أحد الأيام حدث خارج
الخندق أن كان فارساً مشغولاً
بالاستسلام لحاجة طبيعية
شعر بها كل مخلوق حي.
وفيما هو منحن نحو الأسفل ليطفىء
حاجته ولينال الراحة
واحد من الترك من الساقة
هو لم يوله أدنى اهتمام
ساق نحوه بسرعة كاملة
وكان هذا عملاً جباناً ودنيئاً
يقترف بحق فارس غير منتبه
لانشغاله بمثل ذلك الأمر.
وخلّف الساقة وابتعد عنها
وامتطى فرسه، وشرع رمحه، وسدد
نحو الفارس، عازماً على قتله
— عندما رجالنا بدأوا يقولون

وبأصوات عالية يصرخون: «خذ حذرك، ياسيدي خذ حذرك».
ولم يكد يمتلك الوقت ليقوم
لكنه تدبر الوقوف على قدميه
وترك واجبه دونما اكمال
وأسرع العدو بقدر مااستطاع حصانه
وحمل ظانا أنه سيلقيه أرضاً
لكنه أخفق، حمداً للرب، لأن الماهر
والرشيق، أي الفارس قفز جانباً.
وتناول في كل يد حجراً
٣٦١٠ — (اسمعوا كيف ينتقم الرب لأتباعه)
وعندما عطف التركي حصانه
ونحو الفارس حول اتجاهه
أخذ الأخير حذره الكامل منه
وعندما التركي نحوه جاء
صكه، تماماً مثلما كان قد خطط
بحجر كان يحمله بيده
تحت خوذته، وعلى رأسه:
فوقع التركي في مكانه ميتاً.
ثم تناول الفارس بيده مقود

-١٤٢٨-

فرس الرجل الذي قتله
ثم إن الشخص الذي حكى
القصة لي رآه يمتطي الفرس
هناك، ويركب عائداً إلى خيمته
وقد احتفظ بجائزته برضا عظيم.

امرأة بطلة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
ومجدداً حدثت هناك حادثة
محاسنها علينا حكايتها بعناية.
كان عدد الرجال كبيراً الذين هاجموا
الأسوار، ومرات كثيرة أخفقوا.
وبعضهم حتى يطم الخندق، جلب كميات
من الحجارة، حملوها بحماس واندفاع
بينما بخيول الحرب وببغال التحميل
ساعدهم البارونات، حسبما قضى القانون؛
وكثير من النسوة حملن حصصهن
وكن مسرورات في حمل الأثقال.
وشعرت امرأة بمتعة خاصة

بالعمل في هذا المجال.
وواحد من رماة المسلمين من وراء
الأسوار رأى هذه السيدة مشغولة
بوضع حمولتها أرضاً، وعندما
أرادت الانتصاب ثانية والوقوف
أطلق عليها رمية، أصابت
هدفها، فوقعت إلى الأرض.
وأصيبت السيدة بجرح مميت
وكل الناس بسرعة
تجمعوا حولها، حيث انبطحت
فريسة آلام مميتة.
وجاء زوجها على الفور، وعندها
للسيدات والرجال الجديرين دعت
دعاءً مهيباً وصلت، ورجت
من أجل الرب ومن أجل خلاص أرواحهم
أن يستخدم جسدها لطم
الخندق، حيث بإرادة طيبة
عملت. ذلك أنها لن تقدم
جسدها إلى أي مصير آخر.

وحملت هناك بحزن وأسى
حيث الرب أخذ روحها بعيداً
وحسبما تقول الحكاية، مامن انسان
قط عليه أن ينسى مثل هذه المرأة

عقوبة تنال أميراً

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
وحدثت هناك مغامرات بأعداد كبيرة
أثناء الحصار، هي لم تكن واحدة، بل عشرين
وأكثر، لكنني لاأستطيع تذكرهم، أو تعدادهم جميعاً.
في أحد الأيام جاء متقدماً من عكا رجال
فوج تركي، رأوا رجالنا انشغلوا في العمل
على الاحتشاش وجمع الأعلاف، التي احتاجوها
وابتغوها في الحرب من أجل خيولهم
وقادهم أمير من البلدة
رجل عظيم وصاحب شهرة عالية
بقوته وشجاعته معروف ومشهور
بهاء الدين قراقوش كان اسم هذا الأمير
البارونات الذين أشرفوا على توجيه الرجال

توجهوا ضد المسلمين.

وتعرض جيشنا في ذلك اليوم إلى ضغط شديد

لأنه لم يملك ما يكفيه من الحراسة

ذلك أن عدداً كبيراً منه ذهب للاحتشاش

٣٦٨٠— وجمع الأعلاف، الأمر الذي جعل الحشد ضعيفاً،

وآل بهم الحال إلى وضع مخيف بسبب القتال الحاد

الذي ضرباته نزلت بهم من الأمام ومن الخلف

....

ومع ذلك رجالنا ردوهم

باستثناء الأمير، الذي تخلف

وبذهنه هدف واحد :

فقد كانت أعلى رغباته

احراق آلات الحرب بالنار

وأراد الوصول إليهم وصمم

لأنه حمل بيده قارورة مليئة

بالنفط، وهو قد استهدف

إلقاء النار في الآلات لاحراقها

وعندها فارس من الفرسان طعنه

وكان عازما على انزال عقوبة لائقة به :

وتمدد التركي على الأرض
وتدفقت نفوطة المهلكة وانصبت عليه
من القارورة التي انقلبت
وهكذا احترقت أعضاؤه التناسلية،
ومع أن الرجال الذين كانوا معه كانوا راغبين
باطفاء النار، عبثاً الجهد الذي بذلوه .

جزاء التدنيس

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
وغالباً ما حدث وما وقع
أن عساكر الكفار—
الذين ضد ارادة الرب احتلوا
البلدة — صعدوا إلى أعلى الأسوار،
ومن الكنائس هؤلاء الرجال غالباً ما
جلبوا صلباناً، رفعوها عالياً،
وعاملوها بدناءة معاملة سيئة
وبصقوا عليها، ودنسوها، وضربوها
ليظهروا الحقد الدفين الذي حملوه
نحو الايمان المسيحي : الذي لا يزدرون شيئاً أكثر منه .

- ١٤٣٣ -

وفي أحد الأيام بدأ تركي بضرب
صليب خشبي كان قد وجده
وعلى الأسوار رفعه ليقيمة .
وضربه بحقارة وقلة احترام
ولم يقتنع بهذا كله بل
رغب في تدنيسة والبول عليه
وكان هناك راميا بالقوس العقار جيدا، ولكي يوقفه
عند حده، أوتر قوسه العقار
وشد الوتر ووضع الجرخ بثبات وإحكام
راغبا بالانتقام من عمل الإهانة والمراغمة هذا
ونحو التركي الذي دنس الصليب،
رمى، وبما أن تهديفه كان جيداً
نحو بطن التركي طارت مسرعة
الرمية وخرقت أحشاءه ونفذت .
ووقع ميتاً وساقيه مرفوعتان نحو الأعلى،
وحدث هذا ورفاقه على مقربة منه يحدقون
بغضب، وهكذا انتقم الرب للشر الذي
اقترف بحق صليبه ولتدنيسه .

- ١٤٣٤ -

منازلات

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق

حدثت حوادث كثيرة

وحدثت في أحد الأيام مغامرة

عنها سيتحدث أمبرويز في كتابه :

جاء تركي متقدما، عازماً على اطلاق

جروخه نحونا، وما كان ليتراجع

ورجل ويلزي صاحب شطارة وبراعة

انطلق لينازله رمية برمية .

وكان اسم الويلزي ماريدوك Mariduc

ولم يكن ابنا لملك أو لدوق

وكان المسلم يدعي جرير

وكان رجلاً قويا، وثابتاً، وبلا خوف .

والآن بقوسيهما انطلق كل منهما نحو العمل .

وأطلق التركي نحو الويلزي، ورمى الويلزي نحو التركي .

وأراد التركي أن يستوضح ، وسأل

من أين جاء الويلزي،ومن أي بلاد .

ورد عليه رجلنا قائلاً:«أنا قدمت من ويلز ،

وأنت كنت أحمقاً بالخروج والقدوم»،

وقال التركي:«إنك ترمي ببراعة،
فهل لك أن تتبارى معي وتتبارز؟
دعني أرمي أولاً،وتقف حيث أنت
بدون حراك إلى أي جانب من الجوانب.
وإذا أخطأتك ،أنا سوف أقف
وأنتظر ،ولن أتحرك نحو أي طرف من الأطراف ».
وباصرار وبالحاح ناشده
حتى وافق الويلزي أخيراً.
وبناء عليه سدد التركي نحوه ورمى
لكن سهمه انزلق،وهكذا لم يصبه.
وقال الويلزي :«قف أنت واصطبر
بينما أرمي أنا» لكن الآخر قال:«لا،
دعني أرمي مرة ثانية نحوك،
وأنت بدورك يمكنك أن ترمي نحوي مرتين »
وجاء الرد من الويلزي« بكل سرور»
وفيما العدو مشغولاً
بتناول نشابة من جعبته،
وواقفاً ملاصقالغير المؤمن
الويلزي ،الذي لم تكن له مصلحة

بمثل هذا الإتفاق ،رماه فأصابه بالقلب
وقال:«انك لم تحافظ على الإتفاق ،
ولذابحق القديس دينس خرقت تعهدي ».

هجوم مخفق على برج الذبان

البيازنة مع الآخرين الذين
أجادوا معرفة فن الملاحة
أقاموابرجاعلى عددمن البطس
مع سلمين اثنين من ذوي الحجم الكبير،
وغطوا البرج وستروه مع الأجزاء الظاهرة
من سفن حربهم كلها بالجلود،
وهاجموا الآن برج الذبان
وعليه رموا زخات من النشاب
وقاتل رجال حاميته دون خوف
وباعوا حياتهم بثمن مرتفع جداً
ومن غلايين البلدة
أكثر من ألفي رجل كانوا هناك قدموا
وكانوا من المسلمين مسلحين للقتال
ولتقديم العون إلى أبناء جلدتهم،
وطير هؤلاء الرجال الجروخ وعدداً كبيراً من

الرماح ،وقذائف حادة نحونا
وحطموا ترستنا ورماحنا بعدد كبير من
الصخور الكبيرة ذوات الوزن المخيف.
والذين في البرج لم يتوانوا قط
في أعمال دفاعهم عندما رجالنا هجموا
ورمينا بجودة :وكثير من الرمايات سقطت
بين الأعداء الذين اعتلوا الأسوار
وكان يمكنكم أن تروا هناك الترك وهم يجهدون
للإختباء والإستتار ،بينما زخات كثيفة
من الرماح تساقطت ،ولحق الرجال البواسل
أحدهم بالآخر ،وقاموا بهجوم حاد.
ثم جرى توجيه السلمين
ضد البرج، وهناك أقيما ونصبا
بعد جهد جهيد، ومقابل ثمن كبير
لأن الذين في داخل البرج رموا
بجذوع خشبية ضخمة على رجالة الفرنجة وعلى فرسانهم
الذين رفعوا السلمين هكذا نحو الأعلى
ولم يلزموا طريق الجبناء
لكنهم عاودوا القتال دوما ولزموا الصفوف

وعلى برجنا رموا بالنفوط
التي اشتعلت وسط أكوام من الحطب
وجعلت شاغليه يهبطون
وهكذا دمروه في النهاية تدميراً كاملاً.
لكن لم يكن هناك قط مذبحة كبيرة كالتي وقعت
بين الترك الذين هلكوا في الماء
وأحرقوا برجنا احراقاً كاملاً
ومثل ذلك أحرقوا سلمينا
والسفن التي حملتهما. وهذه الأعمال
منحت السرور والراحة إلى الأتراك
الذين صرخوا بأصوات عالية عندما رأوا
إنهم تمكنوا من ارغام رجالنا على التراجع
وسخروا من هؤلاء الذين أقسموا للرب
يميناً أعني الحشد الذي كرهوه.

تدمير آلات حرب الصليبيين

وتأذى حشد الرب وتألم كثيراً
من هذا ،لكن الرب جلب الطمأنينة
بوساطة بارونات قدموا يجلبون العون
إلى سورية من أجل الصليبيين

رئيس أساقفة بيسانكون Besancon — (تيري دي مونتفوكون—ت ١١٩١)

دعونا عنه نتحدث أولاً— بناء عليه

أمر رجاله الموجودين أمام عكا أن يصنعوا

كبشاً يمكن به خرق وتدمير

الأسوار وقد كلف كثيراً ، وغطوه من كل جوانبه

بالحديد ،وشدوه شداً قوياً، وأحكموا ربطه

من كل من الأمام ومن الخلف ، ومن الأعلى ومن الأسفل

٣٨٣٠— ولم يعودوا يخشون من أية آلات سوف ترميه،

لأن رئيس الأساقفة وضع في ذهنه

استخدام أحسن الأشياء من كل نوع

وبنى الكونت هنري واحداً آخر

بتكاليف عالية، وبأقسام كثيرة

والبارونات، والنبلاء، والكونتات

بنوا المزيد من الآلات أعظم مما يمكن

لروايتي أن تقول . لكنني سوف أتحدث عن مصير

التي بنيت من قبل رئيس الأساقفة —

الآلة التي حدثتكم عنها أولا —

٣٨٤٠ — عندما جهزت لخرق السور.

وبعناية بارونات الحشد

أعدوا للهجوم، وهكذا عرضوا
الآلات وأعطوا الأوامر ليوقف
كل واحد آلته أمام السور.
وسحب رئيس الأساقفة إلى الأمام
كبشه، الذي قرأتم للتو عنه،
الذي صنع بعناية عظيمة، وكلف غالياً جداً
وامتلك الحق أن لايخاف
أحداً في العالم. وكان من تحته
— حسبما قيل، نوعاً من البيوت أو قبو.
وهناك كان لابد من وجود صاري سفينة كبيرة
بدون عقد، وكل نهاية مغطاة بالحديد
وتحت الكبش كان أولئك الذين
سيتولون تسديد ضربات شديدة إلى السور
وكان بامكانهم الشعور بأنهم أنفسهم آمنين.
والأتراك، الذين كراهيتهم كانت بلا توقف
جلبوا كميات كبيرة من الأخشاب الجافة
ثم إنهم شرعوا في رمي النفوط عليه
وبوساطة مجانيقهم تمكنوا من قذف
— أعمدة هائلة إلى الأسفل فيما بيننا

وقطع من الرخام ومن الحجارة القاسية،
ورموا بأشجار وبجذوع ثقيلة.
ثم من مراكب كبيرة كانوا قد ملأوها
بجرار، وأباريق، وبراميل ضخمة، وحاويات، صبوا
كبريتاً، وشحوماً، وقطراناً، واسفلتاً،
وأتبعوا ذلك بعوارض خشبية، تولى
أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) اسقاطها، ثم بجرأة
أشعلوا النار فيها بوساطة النفوط، وازدادت ضراماً
حتى الذين في داخل الكبش، وجدوا في محنتهم
٣٨٧٠ — ألا أمل أمامهم، فلجأوا أخيراً إلى الفرار.
والترك، الذين تولوا هذه المواجهة
لكبشنا، فوق الأسوار عرضوا
أنفسهم. ثم الرماة ورماة الأقواس العقارة
أرسلوا رمايات حسنة التسديد إلى بين صفوف الأعداء
ثم حصل اشتباك حاد، لم تشهدوا له مثيلاً
وكان هناك جرحى على كلا الطرفين ،
وكان بامكانكم رؤية العديد من الأتباع الشجعان
يبادرون مسرعين للإنقاذ ، وللحفاظ
على الكبش، ولابعاد الركام والأنقاض

من هناك. وبامكانكم رؤية الترك يسقطون
بألبستهم البراقة وجهازهم الجميل
مباشرة من على ظهر الشرافات.
وأخيراً الرمايات من الأعلى
انصبت وتساقطت بكثافة إلى حد أنها أضرمت
الكبش وحطمت سلاحه في داخله
وشطرت جميع أطره وأطرافه أيضاً،
ومرة أخرى صبوا عليه النيران
حتى احترق الكبش احتراقاً كاملاً.
ومع ذلك كلفهم نصرهم غالياً
لأنهم في القتال فقدوا أميراً
ومن خيرة رجالهم خسروا ثمانين رجلاً
لكن نحن أيضاً عانينا من خسائر مؤلمة.
وهكذا انتهى القتال في ذلك اليوم،
فما من أحد كان بامكانه ازاحة الكبش وابعاده
ومامن أحد كان يمكنه اطفاء النار:
وسخر الترك منا بصرخات استهزاء.

موت الملكة سيبيلا

في نهاية آب فيما بين الثالث عشر والعشرين

مات هناك، داخل الحشد، ملكة
القدس، وإنه لأمر محزن جداً
أن يموت انسان وهو مايزال في شرخ الشباب
أرجو الرب أن يكون لروحها رحيماً
لأنها — كما هو معروف — كانت شجاعة
ومات أيضاً فتاتان جميلتان
كلتاهما كانتا ابنتي الملك غي.
وبموت هاتين الأميرتين
اللتان كانتا الوريثتين الشرعيتين للمملكة.
فقد الملك فيما بعد المملكة
الأمر الذي سبب له ضربة على الرأس قاسية.

معركة بحرية

جاء تشرين الأول إثر ايلول
ومع اقتراب حلول تشرين الثاني
من الاسكندرية جاء اسطول
قوي وعظيم وبات قريباً من البلاد.
ورجالنا الذين رأوا السفن
وأحصوها، قالوا إنها كانت خمس عشرة.
وكانت هذه السفن في طريقها لجلب

العون للترك الذين كانوا يعانون
في عكا، والذين هم تحت حصار طويل
فيه شقاء عظيم، صبروا عليه وتحملوه.
وكان هناك ثلاث درمونات من أوسع الأنواع
٣٩٢٠ — جاءت تتبع الاسطول وتسير خلفه مباشرة
ومع اقتراب الاسطول من الشاطىء
أبقاهم رجال بحريتنا تحت المراقبة المتواصلة
وعندما الذين كانوا يسيرون سفنهم لمحوا
سفننا، امتلأوا بالرعب والأسى.
ومع أن الاسطول كان شجاعاً، ومامن أحد يمكن أن يواجهه
لقد تمنى أن يكون في مكان آخر؛
ومع اقتراب غياب الشمس
ومع الغسق، وهبوب الريح قوية نشطة
لم يتجرأ أحد من الفرنجة على الاقدام والمواجهة
٣٩٣٠ — أو الاقتراب من الاسطول الاسلامي
لأن كل واحد فيه امتلك كل مايحتاجه وليعمله
وللركوب وسط المخاطر والمخاوف
والآن وبينما اسطول المسلمين جاء مبحراً
بسرعة كاملة واقترب تدفعه ريح قوية مواتية

اجتاز السلسلة، لكن ليس بدون متاعب،
ليجلب العون والتفريج لأصدقائه
فقد نزلت نازلة بسفنهم ومصيبة
لم يكن بامكانهم تجنبها، ولحقهم عار
أيضاً: فقد ارتطموا، مع تأثير خطير
فوق الصخور، وهناك جنحوا
وتمّ هناك فقدان اثنتان من سفنهم
ولقد قذفتا بالحجارة من قبل الحشد كله.
وانشطرت أعني السفينتان لدى ارتطامهما بالأرض،
والقسم الأعظم من بحارتها غرقوا.
وسخر الفرنجة منهما، واندفعوا لقتل
الكلاب الكفرة لدى نجاتهم من الماء.
وجرف أحد الغلايين إلى الرصيف
واستولوا عليه عندما وصل إلى اليابسة:
ومنه استخرجوا كميات هائلة من الأطعمة
وجميع الكلاب الكفرة قتلوا
لكن المركب الآخر ناور حتى يجتاز
السلسلة وليرسو من دون خسارة
حيث الترك انتظروا بكل اخلاص وتشوق

مع سيوف مسلطة ورماح مرفوعة
ومشاعل مضاءة من قبل الذين تولوا القيادة
ووصل المسلمون سالمين إلى الداخل.
وهؤلاء المسلمين الذين وصلوا إلى الشاطىء
ساعدوا المدافعين على استعادة
قواهم. وأبعدوا الكسالى من هناك
— والضعفاء، واحتفظوا بالأقوياء والثابتين.

الصليبيون يزحفون نحو دعوق [١]

في اليوم العظيم لعيد القديس مارتن
عندما موارد الأطعمة تناقصت كثيراً
استدعي الحشد للاجتماع في الصباح التالي —
باسمه الذي ولدته مريم —
حتى يتحرك ويزحف نحو أعالي الجبل
لمواجهة الأتراك في معركة مكشوفة.
وكان هناك في البداية قداس المباركة
ثم تحليل عام وغفران
من قبل رئيس أساقفة كانتربري
— مع أساقفة آخرين ذوي مجد عظيم.
ثم لكل لورد وبارون مهمة

أعطيت لقيادة الحشد وتوجيهه.
وعندما جاء الصباح امتطى جندنا خيولهم
وأحصي هناك وجود عدد كبير من سرايا
الفرنجة المقاتلين ذوي الأهلية العظيمة
مثلهم من قبل لم يشهد أحد أبداً
انتظموا في صفوف متراصة وقوية
وكأنهم ربطوا بقوة بسلسلة أو بحبل.
وكانت مقدمة الجيش عريضة وقوية
لتصمد أمام كثير من حملات المعركة،
وكان في الساقة مجموعة متميزة
من خيرة الفرسان الذين نادراً مايرى الانسان مثلهم
وامتد صفهم طويلاً وبعيداً حتى
أحدهم تسلق إحدى التلال العالية
ولو أن أحدكم رمى ببرقوقة لما وقعت
دون أن تصيب فارساً من ذوي الدروع اللامعة.
وسار الصف وزحف مباشرة نحو دعوق
ولم تكن قد فرغت من طبخ دجاجة
قبل أن بات صلاح الدين مدركاً
أن عليه الاستعداد لمعركة

لو أنه اختار انتظار
الفرنجة. لكنه اختار اخلاء
حصنه الجبلي في تلك الليلة نفسها،
فأزال المعسكر، وأخلى الموقع.

التوجه نحو حيفا للامتيار

وجاء إلى حشدنا الآن جاسوس
قال بأن عدونا المكروه
قد نزل من أعلى الجبل
وأنه كان منهزماً، وسوف لن يقف
حتى يغدو بعيداً جداً عنا.
٤٠٠٠ — وقمنا تقريباً باللحاق به، وكانت تلك
مطاردة خطرة، وغلطة
لأنه من غير الممكن هزيمته
وعندما لم تجد صفوفنا معركة وقتال
توجهت مباشرة نحو حيفا
حيث قيل فيها مخازن عظيمة
من الأطعمة، كنا بحاجة ماسة إليها.
وإلى تل كيسان وصلت الآن عساكرنا
ومن هناك اندفعت أسرع من نسر

نحو دعوق، وبدأ الترك يغضبون
فآذوهم. وقاموا أولاً بالانتشار،
ثم عادوا، وأطلقوا رماياتهم، وناوشوهم
وضربوا كوساتهم، وزأروا وصاحوا.
وعند وقت العشاء، قام الحجاج ببناء
معسكرهم، ونصبوا خيمهم،وهناك أقاموا
ثم استأنفوا زحفهم والسير على طريقهم
نحو حيفا للامتيار
لكن الميرة لم تكن هناك
وهي التي سمعوا بوجودها بكميات هائلة
ذلك أن الترك رأوا من المناسب نقل
هذه المخزونات عند الفجر، عندما خرجوا زاحفين.
والآن عندما نظر الفرنجة من حولهم
كل الترك في العالم وجدوهم هناك
وبدا الأمر لهم، أنهم تجمعوا هناك
ليقطعوهم من الأعلى ومن الأسفل
ومن اليمين ومن اليسار، وكانت الأرض مغطاة
بهم هناك إلى درجة أن رجالنا ماكان بامكانهم تحملهم
وقد رغبوا أنهم لم يكونوا هناك

ولم يكن هناك قط مثل هذا الحشد وهذا التجمع الهائل
واستعد جنودنا وباتوا جاهزين للقتال
وجعلوهم يتهيأون ويستعدون للنزال
لكن المسلمين، القطيع المنحط
لم يتجرأ على إنشاب القتال والحملة
على صفوف بمثل هذا الانتظام
واستدار الحجاج، وغيروا مقاصدهم
وأرادوا العودة إلى حيث جاءوا
لكنهم عانوا من الويلات ومن المصاعب
قبل أن يتمكنوا من العودة إلى خيمهم.

عودة الفرنج والتضييق عليهم من قبل المسلمين

في المكان الذي توجد فيه منابع النهر الذي مياهه
تجري نحو عكا، كانت هناك مقتلة عظيمة
فالقتال لم يتوقف مطلقاً، ومات هناك
كثير من الفرسان على كلا الجانبين.
وبوساطة الداوية صمدت الساقة
في ذلك اليوم ، وبوساطة رجال من قوات
ملك انكلترا :وكان بانتظار رجال الساقة
القيام بكثير من الأعمال ، وبالفعل قاتلوا بشدة .

ولو أن الرب لم ينزل قط ثلجاً ، أو برداً أو جمد المطر
أو مطراً إلا في أيار ، لما تساقط بشدة أكبر
أو انهمر ووصل الى الأرض أعظم كثافة وأسرع
من النشاب الذي انصب سواء بالسرعة أو الكثافة
على حشد الفرنجة في ذلك اليوم
قبل نهاية المعمعمة .
وأخيراً ، بنظام جيد أخذوا طريقهم
عائدين ، ونحو عكا سافروا
وسار جيشنا على طرف النهر الأيسر
وسار جيشهم على الطرف الأيمن . وهكذا رتل أمام رتل
زحفا ، وفي أثناء الزحف أرادوا ازعاج
واغضاب ، وايذاء كل واحد منهما الآخر .
وعلى جانبنا كان هناك بعض من أخذ
طريقه إلينا وجلبوا العون لنا .
وسير جنديتنا الرجالة ، الذين توجب عليهم
صد الهجمات عن ساقة جيشنا
والذين ساروا خلفه وتبعوا أثره
زحفوا وتقدموا لكن أبقوا دوماً وجوههم
متوجهة نحو الأتراك . وكان نصيبهم الآلام

قبل أن يصبح الحشد آمنا مرة ثانية

معركة دعوق

وحدث أنه في الصباح الباكر
أن انطلق رجالنا عائدين
الى عكا ، والى حصارها
— لكن الترك نصبوا كميناً
إلى جانب جسر دعوق للايقاع
بنا ، لأنه توجب علينا اجتياز ذلك الطريق .
وحاولوا تدمير الجسر ، لكن كلما
هدموه وأنزلوه أرضاً، كان رجالنا يظهرون
حتى حشي بالرجال وحرس،لهذا
وضع الحجاج في مأزق صعب،وتوجب عليهم أن يعرفوا
كيف يمكنهم شق طريقهم
أو المرور خلال مثل هذا الحشد المقاتل القوي.
ووقتها غيوفري دي لوزغنان تولى القيادة
—وكان ممتطياً ظهر مهر قوي جديد
ومعه خمسة فرسان شكلوا كوكبه
انقضوا بشدة على العدو
وبحدة وقسوة تمكنوا من دفع

ثلاثين من العدو أو أكثر من ثلاثين
الى النهر،حيث غرقوا
مع أن رفاقهم تجمعوا عن قرب حولهم بكثافة عظيمة.
وبشدة شديدة ضربوا وطعنوا
حتى كانوا قادرين على شق طريقهم بينهم
ورجعوا بلا مزيد من الحوادث
٤٠٩٠— وعادوا الى الحصار بتصميم عظيم

مجاعة في المعسكر

حلت الآن نهاية الفصل المعتدل
عندما قليل، لسبب عظيم أو ضئيل
جاءوا من وراء البحار للالتحاق بالحشد
ومع ذلك ظل قليل منهم يعبرون البحر.
ومع ازدياد تعدادهم تناقصت
الأطعمة بشكل مستمر.
ومع مرور الوقت أقل فأقل
باتت الاطعمة،والأزمة
تضاعفت ،ثم حدث أخيراً أنهم باتوا لايمتلكون شيئاً.
٤١٠٠— باستثناء عندما تجلب السفن مؤناً.
وكان مايزال لدى الأغنياء مخزوناً كافياً

لكن العوز الشديد انقض على الفقراء،
الذين تشكوا،وصرخوا كثيراً
بسبب وقوعهم في قبضة المجاعة.
وكثير منهم بسبب شدة
أزمتهم وعوزهم ،تمنوا أن يذهبوا من هناك
وعندما جاءت الشحنات البحرية جرى احتجازها
في صور،وهناك بقيت الأطعمة
٤١١٠— لأن المركيز أراد ايقاف قدومها الى الحشد

كونراد يطلب التاج ويتزوج من ايزابلا

ستسمعون الآن أخبار مؤامرة خيانية
دبرها المركيز المزيف الذي طلب
بوساطة الثروة والتعامل الخفي
مع أناس من ذوي السلطة أن يتولى حكم البلاد.
وببراعته في الخداع والغش
تحرك وناور بمهارة في خداعه
وكان هناك أختا للملكة التي ماتت
في الجيش في تلك الآونة
وكانت زوجه لهمفري أوف تيرون
وهو لورد صاحب مكانة رفيعة

٤١٢٠— وقد فصلت عن المذكور
همفري،وبذلك بات بامكانها الزواج
من المركيز. وبناء عليه هو وافق
على التحاق رجاله بالحشد
بدون تردد. واتخذها لنفسه قرينة
له في بيته الشخصي ضد الرب وضد الشريعة.
رئيس أساقفة كانتربري
كان غاضباً،ورفض تزويج
هذين الاثنين،وأسقف بوفياس
٤١٣٠— جعل هذا الذنب شرعياً ذلك اليوم
ولأن المركيز كان لديه من قبل
زوجتين كل واحدة منهن سيدة شابةو جميلة
واحدة كانت في القسطنطينية
سيدة رائعة،جميلة ونبيلة
والاخرى في بلاده موجودة الآن
وللثالثة أقسم قسمه للزواج
ولهذا السبب رئيس الاساقفة الجيد،
ورجال الدين الآخرين والأساقفة حرموا
الزواج،الذي مقتوه

وعلى الفور حرموه كنسيا
وأخبروه بوضوح وجرأه
أنه يقترف زنا مضاعفاً ثلاث مرات
والرب لن يجيز ولن يوافق
على مثل هذا العرس غير المقدس

المسلمون يغيرون على احتفال العرس

بعد ما اقترن المركيز
بها التي أثارت شهوته منذ زمن طويل
وعمل حفلاً وأولم وليمة.
ومن الزوجات الأحياء بات لديه الآن ثلاث
واحدة في الحشد،وواحدة في البلاد
وثالثة جاهزة في متناول يده.
وكان مثل هذا العرس سيجلب كثيراً من التمزق
والأذى،وقد تحقق هذا وحصل ذلك في اليوم نفسه.
لأن الذين كانوا في ذلك الاحتفال بعدما
كانوا قد شربوا كثيراً وحسبما اشتهوا
الى المروج خرجوا وتوجهوا
للمثاقفات وللمبارزات.
وبناء عليه فإن المسلمين الذين كانوا

في كمين،قاموا بغارة سريعة
وتنبه الحشد،ومع ذلك
سجل المسلمون نجاحاً:
ذلك أن غي الساقي صاحب سنلس
وقع بالاسر،ومامن أحد يعرف اذا ماكان
قد قتل،أو أودع السجن
ذلك أن عشرين من رجالنا أسروا وقتلوا
وهكذا من أجل احتفال العرس دفعوا.

عودة كونرادإلى صور

وانزعج رجال الحشد انزعاجاًكبيرا
وشعر القادة الحكماء أنهم خدعوا
مع أن بعضهم حافظ على الأعتقاد
بأن كلمة المركيز ووعوده صحيحة
إلى الحشد، وأنه سيحافظ على يمينه .
غير أنه غادر آخذاً كلا من
فرقته المسلحة وعروسه
ومع أنه كانت لديه وفرة وفيرة من الميرة
مع الأطعمة ، بالمقابل شعر الحشد بالألم
وبالعوز الشديد ، ولم يرسل شيئاً باستثناء

ما بعثه إلى الذين أخزوا كثيراً
أنفسهم لأنهم قدموا العون لزواجه .

مثل الأبطال أيام زمان

سادتي عن موت الاسكندر
٤١٨٠— الذي كان له نتائج بعيد ة الخطر
أو عن بعثة بالان BAlan
أوعن مغامرات ترستان tristan
أوعن باريس وهيلين ، هذان
الأثنان اللذان من أجل الحب عانيا من كثيرمن الويلات ،
أو عن آرثر البريطاني ،
عن أفاعليه وعن جماعته الجريئة ،
أوعن شارلمان أو عن بيبن ،
أو عن أغولاند أو عن غويتكلين Guiteclin
أو عن الأناشيد عن الحروب أيام زمان
٤١٩٠— التي رواها الشعراء المغنون بمتعة وسرور
أنا لا يمكنني اخباركم أهي كذب أم صدق
أو القول إنها زائفة أو أقوال كهنة
كما لا يمكنني أن أجد رجلاً واسع الحكمة
ليخبرني فيما إذا كانت صدقاً أم كذباً

لكن الذي رآه عدد كبير والأشياء
التي شهدوها ، والعذاب والآلام
التي الناس أمام عكا امتحنوا بها
وما لا يحصى عدداً من النوازل التي آلمت
كلا من الرأس والقلب ، وكذلك محن القر والحر
٤٢٠٠ — والمرض ،وكل نوع من العلل
هذه الأشياء كلها يمكنني روايتها على أنها صدق
ويمكنككم استطابة الإصغاء إليها

مجاعة وغلاء أسعار

عندما جلب الشتاء أمطاره
في البداية كانت هناك رياح شديدة وأمطار
وفي داخل المعسكر أمام عكا عمت الشكوى
وازدادت المجاعة دون توقف
وسط القوم ذوي الإمكانات المتوسطة أوالصغيرة ،
الذين استمرت آلامهم وتعاستهم
بالظهور ، وازدادت من مرور الأيام ،
ولقد بكوا وتشكوا من دون توقف ،
٤٢١٠ — لكنهم تدبروا الأمر ،صدقاً
بطريقة ما، حتى عيد الميلاد

ووقتها مجدداً بدأت لائحة لا نهاية لها

من المجاعة ،والعوز المؤلم :

وبعد عيد ميلاد يسوع

غدت الحاجة أكثر بؤساً .

وغدت زنة غرارة من القمح تكلف

مائة«دينار صوري»وسط الحشد

وهو ما كان ممكناًلانسان أن يحمله بيسر

٤٢٢٠— تحت ذراعه . لقد كانت أياماً غالية جداً

وأسعار الدقيق والقمح كانت عالية .

وكانت تكلفة شراء دجاجة واحدة اثني عشر سوس sous

وكانت أياماً صعبة حيث توجب على الإنسان دفع

ستة ديناري deniers

ثمناً لبيضة واحدة.

لكن معظم الأناس الجياع طلبوا

الخبز،وفي سبيله ناضلوا،وقاتلوا

وكثيراً شتموا ولعنوا

المركيز الذي سبب هذا الوضع.

أكلهم الخيول

سادتي،لاتظنوا أنني أمزح:

حتى يمكن تأمين اللحوم للحشد
لأكلها،سلخوا عدداً كبيرا من خيول
الحرب،وأكلوها لابل التهموها بجشع
وتجمهرت أعداد كبيرة وتجمعت عندما كان أحدها يسلخ
وللحم أسعار عالية دفعت.
وطوال الشتاء ظلت الاسعار عالية:
وباعوا الخيول كل شريحة بعشرة سوسات SOUS
وبيع الحصان الميت بمبلغ أعلى بكثير
من ثمن أي حصان حرب حي.
ووجدوا كل ما في الحصان قابلاً للأكل
حتى الاحشاء،لم يهدروها
وكثيراً شتموا ولعنوا
المركيز الذي سبب هذا الوضع

وادخروا فائضهم القليل

وكانت الاوقات عصيبة، والعوز مؤلماً
بالنسبة لكل انسان أغنياً كان أم فقيراً؛
ومع ذلك فإن الذي امتلك الثروة ،والذي بناء عليه
كان يمكنه تزويد نفسه بالطعام
مع أنه كان كريما، لم يتجرأ على

تقاسم حصته مع أناس آخرين:

وجاء أناس كثرة يطلبون العون

٤٢٥٠— لكن كل انسان تمسك بشدة بما كان لديه وكثيراًشتموا ولعنوا

المركيز الذي سبب هذا الوضع

وتماسكوا وعاشوا اعتماداً على الحشائش والأعشاب

ولولا وجود الحشائش والمزروعات

التي بذروها للحصول على مايتبلغوا به

وأنضجوها من أجل الحساء الذي جهدوا في

سبيل طبخه، لم يكن بإمكانهم الاستمرار أحياء

وكان بإمكانكم رؤية سيرجندية، رجال ذوي جدارة

وشجاعة، ورجال ذوي منبت طيب

نشأوا في وسط ثراء ولياقة

٤٢٦٠ — اعتمدوا أثناء جوعهم وعوزهم

على أكل الأعشاب حيثما

رأوها تنبت وشهدوا لونها الأخضر

ثم إنهم شتموا ولعنوا

المركيز الذي سبب هذا الوضع

التورم يهاجم الحشد

ثم جاء وباء حل

- ١٤٦٣ -

بالحشد ونزل، حسبما سأروي:
هطلت الأمطار، بغزارة متناهية
لم ير لها مثيلاً من قبل
وفاضت المياه داخل المعسكر، والناس
بدأوا يسعلون، وبصوت أجش يتخاطبون
وازداد التورم في الأرجل وفي الرأس
وكل يوم كان يموت ألف
لأن المرض جعل وجوههم تتورم
وتساقطت أسنانهم من أفواههم ووقعت.
وبعض الذين لم يستطيعوا العثور على
أي طعام، لم يتعافوا مطلقاً
وعندها شتموا ولعنوا
المركيز الذي سبب هذا الوضع

سرقتهم للخبز

سادتي، بسبب العوز الرجال غالباً مافعلوا
أشياء جلبت اللوم لهم والنقد، أيضاً.
رجال من جميع البلدان لم يكن بإمكانهم إلا أن ارتعبوا
من عار التسول من أجل خبزهم
ولهذا سرقوا مخازن الخبازين

- ١٤٦٤ -

بدلاً من التماس الصدقات
وفي أحد الأيام حدث أن أخذ أحد الرجال
سجيناً لقيامه بغارة من هذا القبيل
والذي رآه وأمسكه يسرق طعاماً
ربطه بشدة بقدرما استطاع
لأنه لم يجد وسيلة آمنة أجدى
من ربط ذراعيه خلف رقبته
واهتاج الخبازون هنا وهناك
واهتم كل واحد منهم بشؤونه
ولهذا أولوا المعتقل قليلاً من الانتباه
ثم بفضل الرب، الذي يلبي بعونه حاجات شعبه
انزاحت الأغلال من يديه
وانبطح فوق كومة من الأرغفة
في حين غفل الخدم عنه وراقبوا الطريق
فأكل كل ماكان بإمكانه أن يأكله
ثم وضع رغيفاً تحت ذراعه
بينما أخفاه كرسي ووقاه من الأذى
وقد رضي بما حصل وبالأحوال
فاستلقى ينتظر فرصته

ثم هرب إلى الحشد حيث وجد ملاذه
وأخبر رفاقه كيف تدبر أمره وأكل
ومع الذين كانوا قريبين من الموت
جوعاً، طوعاً وكرماً تقاسم معهم الرغيف
الذي جلبه معه. ولوقت
قصير أمن لهم هذا التفريج.
ومع أنهم سوعدوا بالوجبة
فإن شبعهم لم يكن ليدوم.
والآن لافتقارهم لما يعيل
ازداد عوزهم وجوعهم إلى حد كبير
ولهذا كثيراً شتموا ولعنوا
المركيز الذي سبب هذا الوضع

بعضهم تخلى عن إيمانه

أشد أنواع الآلام شعر بها
الذين قطنوا في معسكرنا
ومامن واحد أمكنه أن يقدر قط
كم كانت التعاسة عالية وإلى أي حد وصلت
حتى جعلت رفاقنا
يعانون خلال هذه الحملة الصليبية.

واسمعوا الآن عن خراب ودمار
الناس الذين جعلهم الرب على صورته
وكم كانت التعاسة هائلة حتى جعلت
هؤلاء الناس الجائعين يتخلون عن ربهم
ففي داخل المعسكر كان النقص كثيراً
في كل شيء، وقد حاول أن يدمر
رجالنا حتى أن عدداً كبيراً منهم تخلوا الآن
عن ربهم، ومضوا خارجين، واتخذوا ملاذاً
بين المسلمين، وقالوا بشكل واضح
٤٣٣٠ — إنه مامن رب يمكن أن يتخلى أبداً عن
الذين ولدتهم النساء، لذا هجروا
التعميد، وأنكروا صلب الرب

مايشتريه بنس واحد من حبوب الفاصولياء

كان هناك رفيقان في الحشد
سيرجندیان لايمكنهما التفاخر بأي ثروة
باستثناء بنس أنجيفي واحد لاغير
جلب لهما لاشيء سوى النكد
في الحقيقة لم يكن لديهما لقمة من الطعام
ولاأي نوع من أنواع المقتنيات

باستثناء الثياب التي لبساها
وذلك بالاضافة إلى السلاح الذي حملاه.
ولهذا فكرا في ابداع خير وسيلة يمكنهما فيها
استثمار بنسهما الانجيفي الواحد
في شراء طعام يمكن للثغر
أن يأتيهما به بطريقة ماأثناء النهار.
وتطلعا نحو شارة سماوية يمكن أن توجه
مسيرتهما وهما مرتديان لمعطفيهما الجلديين
وفكرا عميقاً ومنحا القضية الكثير من العناية
وأخيراً تمكنا من شراء ثلاث عشرة حبة فاصولياء
وقد وجدا إحدى حبات الفاصولياء فاسدة
ولكي يستبدلاها توجب على أحدهما
جواز حقل مساحته سبع اكرات Acre
وعندما التاجر الذي ترجاه
لتبديلها بحبة جيدة، قام
بابدالها وهو على درجة عالية من الإكراه
عاد الرجل بها وأكلا بنهم
فشدة حاجتهما دفعتهما إلى حد الجنون.
ثم عندما ذهبت حبات الفاصولياء؛ انتبهوا

تضاعفت تعاستهما ضعفين

٤٣٦٠ — وعندها لعنا وشتما

المركيز الذي سبب هذا الوضع

لقد شربوا حتى الثمالة وأسفوا

بيع في وسط حشد الرب

شيئاً اسمه الخروب، هكذا أخبرت.

وكان من السهل الحصول عليه: وبذلك

باتت اللحوم حلوة وجيدة للأكل.

وشرى كثير من الناس الخروب ممن كان بإمكانه الدفع

مكيال واحد كامل مقابل ديناري واحد

وسعى كثير بوساطة الخروب والجوز

بشكل ما لإبقاء أنفسهم أحياء

لكن الذين رقدوا مرضى غير قادرين على الحراك

٤٣٧٠ — والذين غالباً ماشربوا خمرة قوية

مما كان متوفراً وبكثرة

ازدادوا بالخمرة سكراً وتشرداً

يضاف إلى هذا أنهم لم يأكلوا شيئاً ماعدا

الطعام الذي تاقت إليه بطونهم واشتهته

ولهذا ماتوا على شكل قطعان، بينما أولئك

الذين تجنبوا ذلك وهجعوا بلا حراك
عاشوا واستردوا قواهم قليللاً
لكن بماأنهم لم يمتلكوا ولانوع من أنواع الأغذية
لعن هؤلاء الرجال وكثيراً شتموا
المركيز الذي سبب هذا الوضع

ووصل الأمر بهم إلى حد أنهم أكلوا اللحوم أيام الصيام

المصاعب والمجاعة كانت نصيبهم
قبلما يتجدد جلب المؤن:
فمامن شيء يؤلم مثل سوط الجوع
وعندما إنعدام الخبز يمسك بخناق
انسان، عندها كل يوم مآسيه
تزداد لأنه أكل الأقل
لذلك في أيام الصيام مكرهين
أكلوا اللحوم، وبذلك اقترفوا الاثم.
ولقد كان هو الوقت عندما كل انسان
٤٣٩٠ — توجب عليه الصوم، إنه الوقت الذي بدأ فيه الصيام
لكن عندما أرسل الرب المزيد من المؤن
فيما بعد، كلهم قام بالتوبة والاستغفار،
فعندما تذكروا كيف أنهم أذنبوا

وأكلوا اللحوم، كانوا مغمومين
وقتها شتموا ولعنوا
المركيز الذي كان السبب في هذا الوضع
ودوماً لعنوا المركيز
وهكذا، حتى نهاية الشتاء، بقيت
المجاعة، وكانت عظيمة وطويلة الاستمرار
حيث الناس في الحشد الذين قدموا لتقديم
العون للرب تحملوا وقاتلوا.
وصدقاً إنهم لم يكن أمامهم من وسيلة لاصلاح وتدارك
مانزل بهم من عيد الميلاد حتى نهاية
الصوم. أنا نفسي عرفت أن محنتهم
وصلت إلى درجة أنهم تجنبوا رؤية بعضهم بعضاً
عندما الصدقات غدت شحيحة جداً
وتضاعف الشح والبخل عدة مرات
حتى الذين كانوا الأكثر كرماً
أصبحوا الآن أشحاء بخلاء،
والبخل، وانعدام الهبات
جعل الكثيرين يموتون من محنتهم
وهؤلاء أثناء موتهم لعنوا وشتموا

المركيز الذي كان السبب في هذا الوضع

صدقات رجال الدين والنبلاء

وجاء تحمل هذا العذاب طويلاً
ولذلك كثير من الشكوى والنواح
سمعا، ولقد كانت إرادة الرب أن يجعل واضحاً
أن على الناس أن يحبوا الرب ويخشوه.
ثم إن أسقف سالسبري
دعا الأبناء والأخوان. لهؤلاء الناس
باسم الرب وعظ وعظاً جيداً
٤٤٢٠ — وضرب أمثلة جيدة علمهم بها.
وأسقف فيرونا، الذي
كان جديراً بترهبه، وصادقاً
ومستقيماً، دوماً قام بدوره
بالوعظ الذي نفذ إلى القلب،
وكان صاحب فانو في لومباردي
أسقفاً صاحب قداسة عظيمة (مونالدوس ١١٧٨ — ١٢١٤)
وعظ ببلاغة إلى الحشود.
وبعد هذا ليس بوقت طويل
جمعوا هناك ذهباً لإطعام

٤٤٣٠ — الفقراء الذين عانوا من العوز العظيم.
وازداد المبلغ بشكل كبير، وكل بذل أفضل مالديه
لزيادته واعطاء المعوزين
والجياع كل مايمكنهم تحمله.
وقدم القوم الجياع الشكر للمولى
وهم يأكلون المؤن التي
أعطيت إليهم من قبل الأغنياء.
وكان والشلين دي فيرير Walchelinde Ferrieres واحداً
ممن أعطى بإسراف زائد.
وأيدي روبرت تروسبوت Trussebot
٤٤٤٠ — فاضتا بالمعونات الانسانية.
ومثل هذا كان هنري أوف شامبين
أعطى بسعة ولم يعط بعبث.
وسير جوسلين دي مونتيور لابد من
أن يدون في التاريخ ويذكر،
وكان كونت كليرمونت لطيفاً
وعاطفياً وكريماً.
وأسقف سالسبري الجيد
أعطى بلا أثر للمن.

ومع هؤلاء كثيرون كانوا عبدوا الرب وأعاروا

٤٤٥٠ — أيديهم لعون المعوزين

وهكذا فإن المبلغ الذي جمع وبات جاهزاً

وزع فيما بين المحتاجين

فيما بين الكبير والصغير، والمخلوقات الفقيرة

والسيرجندية، وجنود المشاة، والفرسان؛

وإلى القوم الجياع أعطوا

وفقاً للحاجة وشدتها ومتطلباتها

ولتأمين كل انسان أعطوا

اعتماداً على رتبته ومدى معاناته.

الرب رأى أنه بإخلاص

٤٤٦٠ — شعبه تحرك لتقديم الصدقات

وبما أنهم عملوا بهذه الطريقة

تجلى عليهم برحمته وشفقته.

سفينة تجلب طعاماً

لربما أنكم قدعلمتم وأخبرتم

عن المعجزة التي عملت

من قبل رب السموات ،والذين سيسمعونها

عليهم أن يبتهجوا جميعاً بلا خلاف .

إلى ميناء عكا بارجة
وصلت ،إنها لم تكن طويلة ولا واسعة .
وكان في هذه البارجة قمح .والآن
أنتم جميعاً يمكنكم أن تسمعوا حكاية كيف
أن المولى الرب صان الفرنجة
وتخلصاً من العوز جعل الوفرة تأتي .
فالعوز لم يأت من الندرة
لأنه كانت هناك أطعمة بالكميات
لكن بسبب جشع التجار
الذين احتكروها ليحصلوا على أعلى الأسعار ،
لكن عندما الرب ،الذي بلطفه
وبنبع حنانه وشفقته
رأى شرور شعبه
أعطى أمراً :إن الشقاء لابد إن ينتهي
والمجاعة يتوجب أن تتوقف .
وسعرالقمح ينبغي أن يهبط .

هبوط الأسعار منذ ذلك الحين

إنه في يوم سبت قبل الظهر
جلبت هذه البارجة مؤناً .

ولم يكن هناك الكثير مما سمع أوقيل
كيف تمكنت من متابعة سيرها
فيما عدا ما قيل من قبل الذين باعوا القمح
ولم يفكروا بشيء سوى بمرابحهم .
السفينة قدمت في يوم سبت
٤٤٩٠— فيما أظن ،كان الوقت بعد منتصف النهار
لقد كان الرب هو نفسه الذي جلبها إلى هناك .
وفي يوم الأحد وضع تحت رعايته
القمح الموجود في مخزن الحبوب —
وكانت قيمة غرارة القمح الواحدة مائة دينار صوري —
ومن مائة تدهور السعر ونزل
إلى أربعة . وأفلح الذي ساوم
تاجراً وأنزل هكذا الأسعار

عقوبة مستغل

اسمعوا كيف أن الرب عاقب
واحداً من الأتباع لغطرسته وجشعه
٤٥٠٠— وفعل ذلك بشكل موائم جداً:
كان هناك بيزيا في الحشد
سام قمحه بأسعار مرتفعة جداً إلى حد

أن ما من أحد كان بدون ثروة كبيرة أو مال عظيم
كان بإمكانه أن يشتري منه غرارة واحدة [١]
الرب، الذي يعرف كل انسان ،
سدد الآن ضربة موائمة ،
إلى جشعه، لم تتضاءل
أبداً ،لأن بالنار التهب
بيته وكلما كان يحويه
وهكذا كل ما جناه بالجشع
احترق. وقد فقد ثروته بالكامل
لأن ما من انسان أمكنه اطفاء النار.

عودة الوفرة

عندما رأى الناس الرب يعمل على هذه الصورة
ازدادت الصدقات وصارت كريمة أكثر .
فكل سيد صار أكثر كرماً
وزاد عطاياه ،ومع الآخرين اقتسم كل ما لديه .
وقدم الفقراء والجياع
الشكر للرب لأنهم أطعموا
والذين أكلوا اللحم في الصيام
اعترفوا بذنوبهم وتابوا ،

ونالوا التحليل ،لأن عوزهم
كان قد دفعهم إلى مثل هذه الأخطاء
ونالوا ثلاث ضربات على
ظهورهم ،وكانت خفيفة ،فهذا كان نصيب كل واحد ،
أسقف سالبسري أعطى
الضربات إليهم ،مثل أب ،لطيف وصارم .

وصول ملك فرنسا مع حشده

الرب فعل كما يلي:بعد مرور
يوم عيد الفصح ،عندها أخيراً
فيليب، الملك الفرنسي جاء وقام
٤٥٣٠— بالدخول إلى ما بين الصليبيين
وكونت اوف فلاندرز جاء إلى
جانبه ،وهو الذي سبب كثيراً من الحزن عندما مات ،
وكونت سينت بول ،جاء ،الذي رقبته (هيوج الرابع ١١٧٤—١٢٠٥)
بشجاعة قصوى غطاها وزينها بترس،
وإلى هناك جاء وليم أوف غارلاند Garlande
الذي كان أتباعه مجموعة جبارة
ومثله جاء وليم دي باري Barres(كونت روكفور، ت: ١٢٣٣)
وكان فارساً شجاعاً ،وبارعاً جداً بالحرب

وجاء مولاي سير درو دي أمين Dreux dAmiens
وكان مشهوراً ومعروفاً بثروته وببسالته
وفارس اسمه وليم دي ميلو
الذي أنا معجب به، وصل أيضاً،
وكونت أوف بيرشي perche أيضاً — وهو الذي جرد
نفسه من كل شيء —وصل
ومع الرجل الفرنسي إلى هناك عاد
المركيز ،حسبما بصدق علمت .
لكن لماذا يتوجب علي تعداد—
هم جميعاً ما من انسان له مكانة عالية
في فرنسا ،لم يقدم
إلىٰ عكا ،عازماً على القيام بحصته.
وبناء عليه ،ملك فرنسا ،مع جميع
قوات الفرنجة تحت امرته
جلب حاشيته واتباعه الى الحشد
من عيد الفصح حتى عيد الحصاد
ثم ملك انكلترا الذي بيد قوية
استولى على قبرص— وصل الى البلاد .

الفصل الخامس

عودة الرواية الى وصول رتشارد

يتوجب علي الآن أن أتناول مجدداً
الحكاية ، وأن أجعل القصة واضحة
حول حصار عكا . أمبرويز سوف يعطي
تكملة لروايته
ويستأنف الحكاية التي تركها
ويربطها مرة أخرى بالعقدة التي قطعها
ويروي موضحاً كيف الملكان
وصلا الى عكا ، ويتحدث عن الأشياء
التي صنعاها ، ويحكي التاريخ كله
حسبما هو لديه في الذاكرة
وكيف جرى الاستيلاء على عكا بشكل أمين
حسبما رآه بأم عينيه
عندما جاء الى الأرض المقدسة

سخاء رتشارد

حسبما رويت من قبل

رتشارد ، ملك انكلترا ، فعل
أفاعيل عظيمة من اللطف ينبغي أن
تروى ، لأنه أظهر نبلاً
وكذلك ملك فرنسا قد تعهد أنه
سوف يعطي من خزانته
لكل انسان قدم الطاعة
إليه ، ثلاثة دنانير ذهبية
وجلب له هذا العمل كثيراً من الأتباع
ولهذا عندما الملك رتشارد الى هناك قدم
وسمع بهذا ، أمر بالاعلان
خلال الجيش بالطول وبالعرض
أنه سوف يعطي الى أي فارس
من أي البلدان يمكن أن يكون قد جاء
ويقبل عطاءه مبلغ أربعة
دنانير ذهبية يخرجها من خزانته .
وكان هذا هو العطاء الصحيح وبعدل
أعطي للرجال للخدمة هناك
وتصوروا ، عندما هذا الوعد جرى إعلانه
بالخارج ، كيف الحشد كله ابتهج

والذين كانوا من المراتب المنخفضة والوضيعة
والذين كانت مراتبهم معتدلة
ممن كان هناك منذ وقت طويل ، قالوا ،
« بحق المولى الرب ، متى سيكون الهجوم ؟
فالآن قد جاء الأكثر شجاعة
بين ملوك المسيحية ، والأفضل
قدرة على اقتحام البلدة بالقوة وبالبراعة .
الآن ربما المولى الرب ينفذ إرادته »
فالملك رتشارد حاز على ثقتهم .

مرض رتشارد يسبب التأخير

٤٦٠٠— ثم ملك فرنسا بعث اليه يقول
بعدما تهيأ تماماً وأعدّ نفسه جيداً
منذ أيام عيد الفصح ، عندما جاء الى هناك
إنه يتوجب عليهما إعلان نداء الحرب ، والشروع
بالهجوم على دفاعات العدو .
لكن الملك رتشارد كان مريضاً ، وقدتحمل
كثيراً من الألم من الفم والشفتين لتورمهما
بسبب مرض لعين
دعاة الناس باسم «ليونارداي Leonardie »

وبناء عليه بعث برسالة الى الملك
وقال بأن الأسطول ، الذي كان سيجلب
باروناته إليه ، ما يزال باقياً
في صور ، لأنه حجز هناك
بما يعرف باسم ريح أرسوف
التي سببت تراجعه وتخلفه
وأن آلاته ، هي الآن على الطريق
وسوف تصل بعد قليل من التأخير ،
وأنه عندما تصل قواته كلها
سوف يكون جاهزاً كلياً للكفاح
للاستيلاء على عكا بجميع طاقاته .

الفرنسيون يزحفون نحو القتال

ومع ذلك فإن ملك فرنسا على الرغم
من هذا — عونك يا رب — ما كان ليتأخر
أكثر ، بل أعلن عن الهجوم
وسلح الفرنسيون أنفسهم عند انبلاج الصباح
لأنهم كانوا متشوقين للقتال .
وكان هناك الكثير جداً من السلاح مما يجعل
من الصعب عليكم تعداد كتائبهم

فكم من الدروع والسوابغ الجميلة المظهر
كان يمكنكم أن تروا ! وكم من الخوذ اللامعة المشعة
وكم من خيول الحرب كلها مضمرة مزينة
ولكم عرض من الملابس والثياب البيضاء
والفرسان النخبة ! فما من أحد يمكنه أن يرى
أو رأى مثل هذه الكثرة من الشجعان
وسادة ذوي رشاقة ، وهبوا
الإقدام ، ويتقدون حماسة وفخارا
وكم من الأعلام الخفاقة والرايات
مطرزة ملونة بأشكال مختلفة !
ثم استعرضوا القوات التي
كانت ستتمركز للحراسة فوق الخندق
ضد رجال صلاح الدين ، خشية من
إمكانية مهاجمتهم من الخلف .
ثم رجال الرب نحو القلعة
زحفوا وتقدموا ، وهاجموها بشكل حسن
وعندما المسلمون في عكا رأوا
جيش الفرنجة يزحف
مقترباً من الأسوار صرخوا صرخة مدوية

ملأت الأجواء ضجيجاً مثلما تفعل صواعق الرب
واستخدموا الكوسات والأجراس والطبول
ذلك أن بعضهم لم يقم بأي عمل
سوى ، من قمة القصر بالأعالي
راقبوا الحشد وتجسسوا
وأعطوا الانذار ، بالدخان وبالصوت
الى الذين تبعوا صلاح الدين
واستدعوهم لتقديم العون المطلوب

بطولات غيوفري دي لوزغنان

ثم هل رأيتموهم وهم يقومون بالاغارة
على الخندق ! فقد أرادوا أن يطموه
لكنهم لم يستطيعوا تنفيذ رغباتهم
لأن غيوفري دي لوزغنان ، الذي
بالشجاعة كان دوماً جديداً
جاء الى الحاجز الذي
استولوا عليه في حملتهم الأولى
وبحملة عنيفة تمكن من ردهم
فببلطة القتال التي حملها
أرسل بعشرة من الأعداء الى القبر

حيث وجه اليهم ضربات ماضية جداً وشجاعة
الى درجة أنه ما من فارس استحق قط مثل هذا الثناء
منذ أيام أولفر ورولاند ؛
وهكذا جرى استرداد الحاجز
الذي استولوا عليه في هجومهم
لكن قبل أن يجري استرداده ، كان هناك صراخ كبير
وصراع وقتال في كل ما حوله .

اخفاق الهجوم

وتمكن المهاجمون لعكا في الوقت نفسه
من طم الخندق بكثير الفضلات
ومع هذا وجدوا من الموائم
تغيير تكتيكاتهم والتراجع
وهكذا تخلوا عن القتال
والى معسكراتهم ذهبوا راجعين
وبذلك بقي الهجوم بدون ثمار :
ورفع الناس أصواتهم وتشكوا
وبمرارة شتموا ولعنوا
الملكين اللذين انتظراهما
« مولاي ربي» قال كل واحد أمام خيمته :

« كم ضئيلاً جاءت نتائج انتظارنا »!
والآن بينما رجالنا يخلعون ملابسهم
المسلمون صرخوا بسخرية وبشماتة
ولدى رؤيتهم أن رجالنا غيروا ملابسهم
ألقى المسلمون من جديد النار
على آلات الحرب التي ملك
فرنسا بناها من أجل الاستيلاء
على عكا ؛ وملأ هذا قلبه بالغضب
٤٦٩٠— (وبات معروفاً ومتداولاً ، وأنا سمعت الحكاية)
وسقط مريضاً جداً حتى بات غير قادر على الركوب
على فرس حربه منفرج الساقين

المحاصرون تشجعوا بالنجدات

وهكذا كان رجال الحشد في حال نواح
وسخط ، وقنوط ، ويأس
مع الملكين اللذان كانا سيستوليان على البلدة
مصابان بالمرض وراقدان ،
ومع كونت فلاندرز وقد صار بين الأموات
لقد اضطربوا كثيراً وعانوا من ضيق عظيم .
لماذا يتوجب علي أن أكتب رواية أطول ؟

مع مرض الملكين ،وموت الكونت
بات رجال الحشد في حالة يأس مريرة
الى حد أنهم لم يعودوا يجدون سروراً
وكان يأسهم وقنوطهم كاملاً
باستثناء ماتعلق بقدوم الاسطول،
أسقف إفرو جاء آنذاك،
جالباً رجال حربه الأشداء؛
وإلى هناك جاء روجر دي تيوني Teoni
مع فرسان في كتيبة جيدة
والأخوة كورنبو Cornebu المتعددون (جون ورتشارد وتوماس)
— أولاد سيد واحد، جاءوا أيضاً
وروبرت دي نيوبروك الذي أنا لم
أعرف قط سيداً أكثر لياقة منه
وإلى هناك جاء جوردان دي هوفر
الذي كان مفوض الجيش في سيز Seez
وفي الوقت نفسه الحاجب
لتانكرفيل Tancarville التحق بالحملة؛ (وليم الثاني دي تانكرفيل حاكم بواتو لهنري الثاني)
وروبرت أوف ليستر جاء من قبل
إلى الشاطىء قبل هؤلاء النبلاء،

وغيلبرت تالبوت، أيضاً، جاء،

٤٧٢٠ — وهو فارس صاحب أجمل اقطاعية،

ورالف دي تيسن Taissons، جاء، وهو سيد

ينبغي ألا نخفق في ذكره

والفيز كونت أوف شاتودون Chateaudun (رالف)

جاء، وبرتراندي فيردون Verdun

وجاء، أيضاً (الأخوة) التوزلياس Tozelais

وكانوا فرساناً بواسل، وأدباء وفق طرائقهم

وإلى هناك قدم رودن دي هيردكورت Rodin de Herdecourt،

٤٧٣٠ — وهو صديق الملك وأحد رجال بلاطه

وجاء غارين فتز — غيرولدGarin Fitz - Gerold، وهو الذي

جلب معه كوكبة جيدة

ومثله جاء كونت لاميرLamare

وكان غنياً وحسن التجهز للحرب

وعدد كبير آخر أنا لم أسمهم

جاءوا إلى هناك لتقديم العون للمولى الرب.

آلات الحصار تقصف أسوار عكا

وهكذا الملكان أصيبا

بالمرض أثناء حصارهما للبلدة

وقضى الرب ألا يموتا، بل أن يعيشا
ليضمن الاستيلاء على المدينة
وتحسن ملك فرنسا وتعافى
بينما بقي الآخر مريضاً يتحمل ويعاني.
وأطلقت الآلات نحو الأسوار
قذائفها، ولم تتوقف قط.
وكان لدى الملك آلة اسمها ميل فوزين Male Voisine (جار السوء)
في حين كان في عكا واحدة اسمها ميل كوزين Male Cousine (قريب السوء)
دوماً تولت تعطيلها وتدميرها.
وعندها كان الملك ينصرف لبنائها
مرة أخرى، ومن ثم تقذف وتضرب
حتى فتحت ثلمة في السور الرئيسي
وسببت دماراً عظيماً وهي تضرب
على البرج الذي يدعى الملعون
وكذلك فعلت فعلاً مؤثراً جداً
آلة دوق بيرغندي
وتسارعت قذائف آلة الداوية
ووقعت وصكت رؤوس عدد كبير من الأتراك
في حين نجد أن الآلة التي امتلكها الاسبتارية

وجهت ضربات أرضتهم جميعاً
وكان هناك آلة لرمي الحجارة اسمها
آلة رمي الرب، وكانت عالية
ولأجلها كاهن جيد، له صوت رخيم
وعظ بشكل جيد، وجعل الحشد يبتهج.
وجمع بوساطة قوة
الكلمات ثروة جيدة، وأمكن بوساطة هذه الآلة
قرب البرج المدعو الملعون فتح ثلمتين طويلتين
من السور الذي انشطر إلى شطرين بفعل قوتها.
وكان لدى كونت فلاندرز واحدة أيضاً،
عندما كان مايزال حياً، وكنتم
لايمكنكم أن تجدوا منجنيقاً أفضل.
وقد آل هذا المنجنيق إلى ملك انكلترا
وكان عنده منجنيق أصغر، مع
هذا، مشهور بقوته.
وبدأ هذان بالتركيز
على البرج القائم فوق الباب
حيث تجمع الأتراك، وبشكل جيد
سددا حتى أن نصف الأتراك سقطوا.

وأمر الملك ببناء آلتين
اثنتين زيادة، كانتا من القوة بمكان وجديدتان
وكان الذين يشغلوهما محميين
أثناء تسديد قذائفهما
وأنشأ برجاً له ارتفاع عظيم
ملأ الأتراك الأعداء بالارتعاب
وكان مغطى ومغلف من خارجه
بالأخشاب ، وبالحبال ، وبالجلود
حتى ما عاد يخشى نار النفوط
أو أي حجر ، أو أي قذيفة قذفت .
كما وبنى منجنيقين أيضاً
كان أحدهما له قوة هائلة
حيث أن حجارته تجاوزت السور
وعلى سوق الجزارين قذائفه سقطت
وهكذا ليلاً ونهاراً أرسلت الآلات
بقذائفها ولم تتوقف قط .
وصدقاً حدث كما نحن الآن هنا
أن قذيفة وجهت من قبل إحدى الآلات
قتلت اثني عشر رجلاً بصخرة واحدة

وحملت الصخرة إلى صلاح الدين لرؤيتها
وكان بناء على أوامر ملك انكلترا
أن جلبت مثل هذه الصخور الى البلاد
وكانت صخوراً بحرية ، جلبت عبر كل الطريق
من مسينا ، بقصد قتل المسلمين بها .
لكن الملك كان ما يزال راقداً مريضاً في الفراش
وكان تعيساً جداً ومتضايقاً الى أبعد الحدود .
فهو جاء الى هنا للمشاركة في القتال
ضد المسلمين ، القطيع المنحط
الذين على خندق جيشنا ضغطوا
بشدة متناهية ، لذلك غدا مضطرباً أكثر
لأنه لا يستطيع أن يمارس دوره
بسبب المرض الذي جعله يرتعد

المسلمون يدمرون الآلات

وكان الاستيلاء على عكا صعباً
وقد صنعوا كثيراً من المجانيق
مما كلفهم مبالغ عالية جداً
وبشق الأنفس كانت كافية
لأنهم عندما حولوا أنظارهم جانباً

أضرم المسلمون النيران فيهم
وصنع ملك فرنسا لصالح الحشد
قلعة على شكل سنور ، بنفقة عالية جداً
ومظلة، سترها وغطاها بشكل جيد
وكانت نهايتها مرعبة وصامدة
وغالباً ما ذهب الى تحت المظلة
الملك نفسه مع قوسه العقار
في يده ، وجعل جروخه تتساقط
بين المسلمين الذي شغلوا الأسوار .
وفي أحد الأيام بينما رجاله كانوا يشرفون على سنوره
مع الذين يشغلونه ويوجهون تهديداته
المسلمون ألقوا عليه كومة
من الخشب الجاف ازداد حجمها وصارت عالية
وكذلك رموا على المظلة أيضاً
(أمبرويز نفسه رأى هذا المشهد)
ثم بآلة قذف قذفوا نفوطاً محرقة
عليها ، وحولوها الى محرقة
وهكذا أحرقت قلعة السنور
وكلها دمرت وتبعثرت

وفي الوقت نفسه المظلة الواقية ذات الثمن المرتفع
أحرقت وانشطرت الى ثلاثة أقسام
وغضب الملك ولهذا
اكتأب ، وصب لعناته على جميع الذين
أخذوا المال منه والأجر لكنهم كانوا غير قادرين
على الانتقام له من المسلمين .
وفي تلك الليلة أمر بالاعلان عن هجوم عام
ينطلق في صباح اليوم التالي يكون حامياً وبراقاً

القتال عند الخندق

وبشجاعة متناهية شرع رجالنا في الصباح
وتقدم جندنا زاحفين بقلوب صامدة
والذين تولوا في ذلك اليوم حماية الخندق
ما من خطر كان يمكنه أن يجعلهم يخنعون أو ينكصون
لأن خيرة رجال العالم كانوا هناك
موجودين ، فهناك التقوا وحول بعضهم بعضاً تجمعوا
فلقد كانت هناك حاجة ماسة اليهم في ذلك اليوم
لأن صلاح الدين سمع يقول
بأنه سيكون أول من يدخل الى هناك
ولوجوده سنكون مدركين .

هو لم يأت ، لكن شعبه جاء
واجتاح الخندق بقصد مميت
فقد ترجل رجاله وعلى الاقدام قاتلوا
ثم غدا القتال حاداً وحامياً
وضربات جبارة بالسيف وبالرمح
وجهت . واستمر القتال بلا انقطاع
لأن المسلمين في الخارج هاجموا بعنف وغضب
وعندها جرى استدعاء الذين داخل عكا وحركوا
لهم ، راية صلاح الدين .

٤٨٦٠— وكان الأمير سيف الدين
هو الذي اقتحم الخندق بإرادة وتصميم
فقد تمكن أولاً من طمه وبسطح الأرض
سوّاه ، لكن رجالنا صدوهم والى الخلف ردوهم
في حين الذين كان موكلاً إليهم الهجوم
على عكا بشجاعة أغاروا على السور .
علّ الرب يمنحهم الجزاء وينزله عليهم

فتح ثلمة في السور

النقابون لدى ملك فرنسا
الذين تعهدوا بتقديم العون في هذا الظرف

حفروا عميقاً جداً تحت الأرض
— حتى وصلوا الى أساسات السور
وملأوا الحفر بعوارض خشبية وبأطر علقوها
ثم وضعوا النار في الأطر وأشعلوها
حتى جزء كبير من السور
سقط ، لكن كاد أن يصيبهم أثناء السقوط
لأنه أثناء ترنحه غير اتجاهه وانحرف
وجميع رجالنا كانوا مرعوبين جداً
والعدو ، في صفوف كثيرة
اندفع رجاله الى حيث رأوا السور ينهار .
وكان بإمكانكم أن تروا هناك كل أشكال وألوان
— عذبات المسلمين وراياتهم وأعلامهم
محمولة من قبل حشد الأشرار
الذين تجمعوا هناك ، وبكثافة ضغطوا
واجتاحونا وزحفوا علينا بقتال
جريء ، وعلينا رموا بالنفوط
وكان يمكنكم أن تروا حملات عنيفة
على حيث السلالم على السور نصبت .

-١٤٩٧-

ميتة أوبري كليمنت البطولية

وهناك قام أوبري كليمنت بأفاعيل شجاعة ،
من قال إنه كان سيموت في ذلك اليوم
— أو الى داخل عكا سيتخذ طريقه
هو لم يكذب ، هو جاء
ذلك اليوم الى شهادته .
على رأس سور المدينة صعد
ليقاتل الرعاع الأتراك
الذين هموا به ، وغير هياب
تحارب معهم ، وأثناء القتال مات
لأن الذين تبعوه في اقتحام
الأسوار ، وعلى السلم احتشدوا
سببوا انحناء السلم وترنحه
— وسقوطه تحت ثقل أوزانهم
وهكذا سقطوا في قلب الخندق
مما جعل الترك يصرخون شامتين ويزأرون .
ونجا بعض رجالنا من تحت
الركام ، وبعضهم واجهوا هناك مناياهم .
وحلّ حزن عميم بالمعسكر

عندما أوبري كليمنت فُقد
وللبكاء عليه ولتشريفه ، الهجوم
على عكا توقف .

لغم ولغم مضاد

بعد اليوم الذي شهد وفاته
لم تمض أيام كثيرة
قبل أن تمكن رجالنا من لغم أساسات
البرج الملعون المتقدم ذكره
وأوهنوه وعلقوه حتى باتت أحواله
خطيرة وبائسة
ومثل هذا حاول الترك من جانبهم
حتى واجه كل طرف من المتعادين الطرف الآخر
وبناء عليه أوقفوا أعمال حفرهم.
وكان هناك أسرى فرنجة محبوسين
لحفر النفق مغلولين وبالسلاسل مصفودين
وعندما قابلوا ، رجالنا ، تكلموا
معهم ، ومن أغلالهم هربوا
ونجوا . وعندما وصل خبر فرارهم
الى الترك ، اشتعلوا غضباً

وبسرعة أغلقوا الثلمة
التي من خلالها قاموا بفرارهم .

على الرغم من مرضه رتشارد يتولى توجيه القتال

وكما رويت لكم من قبل ، ظل
الملك رتشارد في فراشه راقداً مريضاً
وقضت إرادته أنه وإن كان مريضاً
من المتوجب الهجوم على بلدة عكا
وكان تحت تصرفه مظلة واقية
جيدة سحبت حتى خط
الخنادق ، حيث منها رجاله من رماة القسي العقارة
أرسلوا رمايات جيدة التسديد نحو رجال أعدائهم .
وكان ملتفاً بلحاف حريري
يارب أعني ، وعلى الرغم من أوجاعه
أمر بأن يحمل نفسه وينقل الى
تحت المظلة من حيث هاجم
الأتراك بكثير من الرمايات ، التي
سددها نحو البرج ببراعة ونجاح .
وهاجمت آلاته ذلك البرج نفسه
وطوال ذلك الوقت قاتلهم الأتراك وردوا هجماتهم

ولم يتوقف لغاموه عن الحفر
عميقاً تحت الرج ، وتعليق
الأسوار ، حتى بهذه الوسائل
وبقذائف المجانيق
أمكن فتح ثلمة من أحد الجوانب .
وعندها صرخ ملك انكلترا
وسمع نداؤه في أرجاء المعسكر فقد
— وقف مناديه فوق السور واتخذ موقعاً له
وأعلن إن دينارين ذهبيين سوف الملك
يعطيهما لكل من سيجلب حجراً
من البرج ، ثم صار المبلغ ثلاثة ، ثم بأربعة
وعد ، وسير جنديه بالعشرات
اندفعوا نحو الأسوار ، وانجرح كثير هناك

....

وسقط عدد كبير جداً على الأرض
لذلك لم يتجرأ الباقون على المكوث
أو الاختباء وطلب الوقاية تحت الترسة
— فقد كان السور عالياً جداً وعريضاً
ومع ذلك قاموا بمحاولات

مؤثرة في انتزاع بعض الحجارة من السور

الترك يقامون ببسالة وثبات

وأطلق الترك نشابهم الى حيث رأوا
حجارة تشد لتنتزع ، وبنشاط عظيم
أرسلوا بجروخهم وبنشابهم نحو
الذين تولوا الحفر ، ، وكانوا مضطرين لاظهار
أنفسهم . وقام أحد الأتراك بلا مبالاة
بإرتداء سابغة ودروع أوبري
كليمنت وعلى مشهد عام وقف هناك

٤٩٧٠ — وبناء عليه أصابه الملك رتشارد إصابة قاتلة
برمية على صدره ، سددها بشكل جيد
فسقط ميتاً في مكانه .
ولكي يعوض الترك عن خسارته
وقفوا وعرضوا أنفسهم بشكل خطير
وألقوا بأنفسهم في المعمعة
وطعنوا ورموا بكل ما أوتوه من قوة .
ولم يحدث قط أن قاتل مدافعون بمثل شجاعة
هؤلاء : ولا بد للانسان لدى التفكير من أن يعجب بهم .
والدروع مهما كانت قوية وصحيحة

— لا يمكنها أن تحمي الانسان وتقيه من الإصابة بجراحة :
والدروع والسوابغ فوق بعضها معاً
لم تغن ولم تفد أكثر من ثوب ملون
ضد القذائف الثقيلة التي رميت
بوساطة آلاتهم ، وكانت كثيفة جداً وسريعة .
وضد لغامينا حفر الأعداء
بشكل جيد حتى لم يعد بإمكانهم إنقاذ أنفسهم
إلا بالاسراع فراراً الى الوراء
وسخر المسلمون منهم واستهزأوا

الهجوم بوساطة المرشحين للفروسية

عندما بعد هجوم حاد
— أنزل هذا البرج الى سطح الأرض
وعندما انقشع الدخان وترك
ظاهراً كثيراً من الثلم والتصدعات ،
المرشحون لمرتبة الفروسية شجعان وذوي رشاقة
سلحوا أنفسهم وباتوا جاهزين للقتال ،
انتبهوا لراية الكونت
صاحب ليستر ، لأنها رفعت بالأعالي
ومولاي أندرو دي كاين

كان هناك مع كوكبته ،
ومزين بزينة ثرية ومولاي هيوج
لى برن التحق بهم ، وأيضاً أسقف
سالسبري ، وعدد كبير من اللوردات
من كثير من البلدان ، بمقصد واحد
جاءوا الى هناك . وفي ساعة تناول الغداء
انتشروا أمام البرج .
وهجم الآن النبلاء من المرشحين للفروسية
....
ورآنا خفراؤهم ونحن نقتحم
الأسوار ، فصرخوا عالياً بصوت النفير
واستنفر الآن من في القلعة وهاجوا
ودهشوا عندما سمعوا صوت النفير
وتدفق الأتراك على الثلم وسدوها
والمرشحون للفروسية الذين بذلوا جهدهم للوصول
إلى هدفهم ، زحفوا متقدمين بخطوات سريعة
ثم كان بإمكانكم رؤية القوى تتلاقى
وتصطدم في معمعة عنيفة
وتضرب وتطعن وتجرح وتقتل .

وكان المرشحون للفروسية منا في القتال عددهم قليل
بينما ازداد عدد الأعداء بشكل مستمر
وكانوا يحملون نيراناً مضرمة ليحرقونا
بها ، ثم إنهم رأونا ننعطف
عائدين لأننا لم نتجرأ على مواجهة
اللهيب ، الذي أرغمنا على الهبوط .
أنا لا أعرف كم عدد الذين واجهوا
مناياهم في هذا الهجوم العنيف المضاد

وواجه البيازنة وقتاً عصيباً

ثم سلح البيازنة أنفسهم وهم
كانوا مقاتلين ذوي أفعال جريئة
وتجمهروا عند السور وتسلقوه
لكن رجال الإسلام هاجموهم
بشدة وحدة وهكذا المعركة
بين البيازنة وبين هذا القطيع
استعرت وكثيراً اشتدت وحميت
الى حد أن مدافعين بمثل هذه البسالة
ومهاجمين شجعان لم يعرف مثلهم قط ؛
وتوجب على البيازنة التسلق نزولاً

-١٥٠٥-

ولو أننا عرفنا كيف نتدبر الأمور
لكان من الممكن الاستيلاء على عكا ذلك اليوم ؛
غير أن القسم الرئيسي من الحشد
كان قد جلس للعشاء وانهمك بذلك
هناك . وكان الهجوم بدون خطة
— لذلك تداعى ، وانتهى الى لا شيء

معاهدة فيما بين كونراد وغي

في داخل حشد الصليبين
عقد اجتماع ووئام اقيم
فيما بين المركيز والملك غي وهو وئام كان مرغوباً به بشدة .
والمركيز في هذا الوضع
كان مدعوماً من قبل ملك فرنسا
في حين وقف الملك رتشارد
إلى جانب ملك البلاد ،
الملك الحقيقي للقدس
— وبما أنه لم يكن بينهما حب
ولأن كل منهما اشتهى
نيل المملكة فقد تقرر ما يلي :
يبقى الملك غي كما هو الملك

لكن عليهما اقتسام كل شيء
هناك بمثابة ايجارات وموارد ،
وفي الوقت نفسه المركيز لاستخدامه
يتوجب أن يأخذ بيروت وصيدا وصور
وذلك حتى يكون السلام سليماً وعاماً .
وإذا ما حدث أن الملك غي
كان لقدره الأول موتاً
المركيز ينبغي أن ينال التاج وينال غيوفري عسقلان
ويافا ....وبعد هذا عليه
أن يتعامل مع البلاد حسبما يبدو له جيداً .
لكن المركيز كان خلال حياته كلها
حسوداً لهذين الأخوين معاً .

المدافعون الشجعان عن عكا يرتعبون

ذوي فخر وأمجاد هم الرجال
داخل البلدة ، ورائعين
ولولا أنهم كانوا غير معمدين
ما من أحد تفوق عليهم في شجاعتهم
ومع هذا باتوا خائفين
مما رأوه ، لأنه بدا وظهر

وكأن العالم أجمع قد اتحد
عازماً على سحقهم بجبروته ،
ورأوا الآن أسوارهم القوية قد دمرت
وخرقت ،وفتحت فيها ثلمات ،وحطمت
ورأوا أن قوتهم تناقصت بسرعة قصوى
وعدد كبير منهم جرح وقتل
ومع هذا فيما وراء الأسوار
بقي هناك ستة ألاف رجل بمجملهم ،
وذلك بما فيهم المشطوب وقراقوش
فكل من هذين العدوين المحاصرين
لم يعد لديهما أمل بالتفريج
وقد عرفا بشكل جيد الغضب والأسى
اللذان شعر بهما جميع أفراد حشدنا ،وزيادة
على موت أوبري كليمنت
عرفوا بوفاة الأبناء والأخوان
وبوفاة الأعمام والأحفاد وبوفاة الآباء
وبوفاة أبناء العم الألمان أيضاً ،الذين سقطوا
على أيدي الكفار
مما جعلنا نكرههم بمرارة ،

وعرفوا بشكل مؤكد تماماً
أن رجال الفرنجة المسلحين
سوف إما يموتون أو يتغلبون
عليهم . ولا يمكنهم أن يزيلوا أدوات الحصار.
وعبر المدينة أقاموا
سوراً يقسمها إلى قسمين
وأقول لكم بكل صدق
إنهم أملوا أن يقاوموا قواتنا
لكن الرب ألهمهم إلى اتباع طريق
جلب لنا شرفاً عظيماً
وإليهم جلب دماراً مريعاً
وهكذا سقطت عكا إلينا ،لكن
بدون توجيه ضربة ،أو اطلاق رمية

وتوسلوا لصلاح الدين لارسال نجدة

وفي اجتماع عقد الآن خلف
الأسوار، قرر المسلمون
أن يطلبوا منا أمانا، حتى
يمكنهم ارسال رسالة إلى صلاح الدين .
ذلك أنه تعهد بلسانه وأقسم

٥١١٠ — أنه إذا ما غدت مجموعتهم في وضع بائس جداً
سوف يقيم سلاماً معنا
وفقاً لمطالبهم : وقد أقسم موافقاً على هذا ،
ولهذا طلبوا منا منحهم ممراً آمناً
وأرسلوا إلى صلاح الدين رسالة ،
والتمسوا منه وترجوه في وضعه المؤلم
أن يتمسك بشدة بنبله وبأخلاقه
وبالشريعة ،التي لهم قديماً
أعطيت من قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكي لا تخرب
البلاد أو تتعرض للفساد والدمار
٥١٢٠ — من قبل أي من الفرنجة ، ولكي لا يهانوا
عليه أن يعقد مشاورة سريعة
وأن لا يهتم بأي شيء آخر
عدا التفريج عن المقاتلين
الذين بناء على أوامره ذهبوا
إلى بلدة عكا، وهناك ظلوا يدافعون
حتى كادوا أن يلامسوا سيوف الأعداء
وأن يفكر بتعاسة
أسرهم المهجورة

– ١٥١٠ –

الذين منذ أن جاءت الجيوش ،أي منذ
ثلاث سنين مضت لم يمتلكوا الحظ في رؤيتهم
وأنه يتوجب عليه انقاذهم مع مقتنياتهم ومن يلوذ بهم
وأن لا يدعهم يموتون لقلة الإكتراث بهم
وأن عليه أن يحافظ على العهد الذي قطعه على نفسه
وإلا سوف يقيمون—حسبما أكدوا—
صلحاً مع الفرنجة على أساس أحسن
الشروط والضمانات التي يمكنهم تأمينها .

صلاح الدين يعد بنجدة

واستمع صلاح الدين إلى شكوى
رجاله ، فتألم وغاب عن وعيه
عندما سمع بويلاتهم وبضيقهم الشديد
وبحزنهم وبضعفهم .
ثم عمل جواباً لهؤلاء المكروبين
بأحسن ما لديه ، وقال : إنه
تلقى أخباراً من مصر
بأن عدداً من كتائب
العساكر المقاتلة ، الذين أمر من هناك
بجمعهم ،هم قادمون على سفن سريعة

لإنقاذ الجماعة الشجاعة
في عكا، التي لن يسمح بموتها
وقال بأن الخليفة قد أجاب ووعد
بأن نجدة من عنده ستصل في خلال
الأسبوع .وإذا هذه المعونات لم تنقذ —
هم ،عندها الوعد الذي أعطاهم إياه
سيحافظ عليه ،في أنه سوف يقيم صلحاً
مع الفرنجة من أجل تخليصهم
وذهب الرسل عائدين إلى
المدينة ،وهناك ازدادت التعاسة .
المجانيق استمرت ليل نهار في اسقاط
الصخور على الأسوار ،ولم تتوقف قط
وامتلأ الأتراك برعب كبير
إلى حد التفكير بتسلق الأسوار بالليل
ومن ذلك الارتفاع يتقدمون فيلقون
بأنفسهم ،لإنهاء شقائهم وعذابهم

عجز صلاح الدين عن ارسال نجدة

قدم الرسل وعادوا مرة أخرى
والى صلاح الدين حملوا

رسالة فيها أن الموت سوف ينهي تعاستهم
مالم يحصلوا على صلح أو نجدة .
ورأى صلاح الدين بشكل واضح وصريح
الأسى ، والعذاب ، والآلام
وسوء الحظ المرير لرجاله
— وهنا عقد مؤتمراً مع أعيان أصحابه ، ثم
سأل عن الطريق الذي يتوجب عليه سلوكه
وما الذي عليه أن يفعله تجاه ما طلب منه
وقام الأمراء والسادة الأثرياء
بإجابته بكلمات رصينة وموزونة وبينوا
أنهم كانوا الأصدقاء المقربين والأقرباء
للعساكر المدافعة في داخل
البلدة ، وأنهم يرغبون بخلاصهم
أي إن عليه أن لا يعمل شيئاًباستثناء الصلح
وفق أفضل الشروط التي يمكنه نيلها
— خشية الاضطرار الى اللجوء الى حلول محزنة
وعندما سمع السلطان هذا المطلب
الذي جرى التعبيرعنه من قبل كبار أعوانه
وعندما عرف بما تعانيه عكا

التي لا يمكن أن يجلب اليها تفريج
أجاب — راضياً أو بدون رضا —
وللرسل قائلاً : أيها الرجال الجيدين البواسل
ما دام الدفاع بات عاجزاً
عن انقاذ البلدة ، إنني سأوافق
على استسلامها . وتم الاتفاق
٥١٩٠ — قبل أن يذهب الرسل عائدين ،
على شروط الصلح التي
يعزمون على النقاش والتداول حولها
مع الفرنجة . وبسرور وفرح
عاد الرسل أدراجهم الى عكا .
واجتمع أعيان المدينة وأعياننا الآن
للتداول والتباحث معاً
وأصغى أصحابنا الى الذي اقترحه رجالهم
وذلك وسط صمت فرض على الحشد

شروط الاستسلام

وبمعونة ترجمان
٥٢٠٠ — قدم الأتراك عروضهم
وهي : لقد اقترحوا تسليم

الصليب الذي يؤمن به الفرنجة
والمدينة أيضاً ، ومن حشد
الأسرى الذين كانوا لديهم منذ أمد مديد
ألفين من الأسرى النبلاء
وكذلك خمسمائة من العوام
وأن يعطي صلاح الدين أوامر
بالبحث في جميع أراضيه
عن أسلحتهم وتجهيزاتهم وكل شيء
امتلكوه ، وأن ما من تركي ينبغي أن يجلب
معه شيئاً سوى قميصه الذ ي يرتديه
وذلك عندما تأتي اللحظة التي يسلمون بها
بلدة عكا، ويخرجون منها
ووعدوا أيضاً بتقديم
مائتي الف دينار بالتمام والكمال
تعطى للملكين بمثابة هدية
وعرضوا كضمانة
رهائن من أعيان الترك
ومن أصحاب المراتب والحكمة ، أي أفضل المعروفين
وأحسن الناس سمعة ومكانة في البلد

وعقد رجالنا اجتماعاً للبحث
في الشروط التي عرضها الأتراك علينا
ووجدوها شروطاً ممتازة
وعلى هذا النوع من الصلح أعطوا الموافقة

الحالة المحزنة للمدينة

في اليوم الذي استسلمت فيه عكا
وحسبما سمعت الحكاية تحكى ، كانت
أربع سنوات مرت منذ ذلك اليوم الذي
جرى فيه إستيلاء المسلمين عليها
وإذا ذاكرتي لم تتخل عني ولم
تخني ، حدث ذلك في اليوم
الذي أعقب عيد القديس بندكت (١٢ تموز ١١٩١)
على الرغم من إرادة العرق المحروم من الرب
والملعون من قبله . علّ اللعنة تبقى ولا تزول
أنا لا يمكنني التمنع عن استخدام هذه الكلمات .
ثم كان عليكم رؤية الحالة المأساوية
لكنائس عكا المهجورة
والتشويه والتخريب
الذي حل بالتماثيل المقدسة

تمثال الصلب رمي أرضاً
والصلبان والمذابح سحقت
للسخرية من مقدساتنا
ولإرضاء كفرهم الحقير
ولإقامة شعائر محمد (ﷺ)
غير أنهم دفعوا غالياً ثمناً لهذه الاهانات

خطة فيليب لإنهاء صليبيته

تماماً في الوقت الذي كان الترك فيه
سيسلموننا الصليب ويتخلون عنه
وبعدما استسلمت عكا
انتبهوا ، بين صفوف الحشد انتشرت
أقاويل بأن ملك فرنسا
الذي وضع الناس ثقتهم فيه
يرغب بالعودة الى الوطن ، وأنه الآن يعد
العدة ليكون جاهزاً لمثل هذا العمل
رحمتك يا رب ، ما هذا التوقيت للمغادرة
وهذا التفكير السيء الذي أبدعه
وأن يترك رجاله في الوقت الذي الحفاظ عليهم
وقيادتهم كان هو واجبه بشكل واضح

وأعلن الملك قائلاً ما الذي يمكن
أن يكون ذلك المرض الذي يدفعه للمغادرة ،
. لأن ما من أحد يمكنه تقديم أي برهان
٥٢٦٠ — على أن المرض هو السبب المسوغ
لترك خدمة ذلك الملك الذي يقود
كل ملوك الأرض بالطول وبالعرض.
أنا لا أقول إنه لم يكن هناك
كما لا أقول إنه لم يقدم حصة كاملة من الخشب والفولاذ
والفضة والذهب ، والبيوتر، والرصاص
ولا أقول أيضاً إنه لم يقدم الضمانة لكثير من الناس
وذلك حسبما هو لائق بملك مسيحي
وصاحب منصب هو الأعلى على وجه الأرض.
وكان ما تقدم ينبغي أن يكون سبباً لبقائه
وأن يبذل جهد طاقته بدون مواربة
في هذه البلاد غير السعيدة التي
امتحنت بقسوة وألم وغضب

تعرضه لانتقادات الصليبيين

وجرت بشكل واسع وحرّ مناقشة الأخبار
وبشكل مكشوف ، في أرجاء المعسكر

بأن الملك يخطط للسفر والعودة
وأنه أعدّ العدة لذلك كل يوم
انتبهوا جميع البارونات الفرنسيون
تضايقوا وامتلأوا غضباً
لأنهم رأوا هذا القرار لديه
(ورأس كل واحد منهم كاد يتفجر)
وكلما أنقص مدة إقامته
كلما إزدادوا بكاء وتصريحاً.
وعندما رأوا أنهم لم يتمكنوا من جعله
يغيّر مقاصده من أجل خواطرهم
أقول صدقاً إنهم بقسوة متناهية
لاموه ، واقتربوا كثيراً من
إنكار أنه ملكهم ومولاهم ، فكثيراً جداً
إزداد عدم رضاهم وكراهيتهم

إيكاله أمر رجاله الى دوق بيرغندي

أعد ملك فرنسا عدته ورسم طريقه
دون الإصغاء لما يمكن أن يقول رجاله
الذين حثوه على التريث
قبل أن يحمل نفسه عائداً الى فرنسا

ومضى البارونات والعساكر معه
وشكلوا حشداً عملاقاً .
وعهد بالقيادة من بعده
الى دوق بيرغندي وأوكل اليه
شؤون جميع الناس من بلاده
ومن الملك رتشارد طلب
مطلباً هو أن يعيره اثنتين من
سفنه . ثم الى الميناء مباشرة مضى
رجاله . وأعطاه الملك رتشارد بمثابة
هدية اثنتين من أحسن السفن قوة وسرعة ،
وكانتا أعطية كريمة أعطاه اياها
لكنه سددها بنكران وسوء

وأقسم على الحفاظ على السلام في الغرب

الملك رتشارد الذي خدم إرادة الرب
بقي في سورية ، وكان ما يزال
لا يثق بالملك الفرنسي ، تماماً مثلما
أبويهما بدون ثقة
نظر أحدهما إلى الآخر ، وكل واحد منهما
فعل الشر والأذى للآخر .

وطلب رتشارد منه أن يقسم
على الآثار المقدسة ، وأن يعطيه توثيقاً
جيداً وضمانة أن لا يرفع يده
ضده ، أو يحارب بلاده
ما دام غائباً في حجه
لحفظ تراث المولى الرب وصيانته
وأنه بعد عودته الى فرنسا
أن يقدم له انذاراً مبكراً
برسالة قبل أربعين يوماً تتقدم
على تحركه ضده أو اعلان الحرب عليه
أو الحاق الأذى بوساطة عمل عدواني
وأقسم الملك يميناً بالمحافظة على هذا العهد
وبإيمانه وعقيدته قدم رهائن
— حسبما نذكر — رجالاً عظماءً وشجعاناً
مثل دوق بيرغندي
والكونت هنري ، ومجموعة مكونة
من خمسة آخرين أو أكثر ذوي شهرة عالية
مع أنني لا أستطيع ذكر أسماء البقية

مصير رهائن فيليب

غادر الآن ملك فرنسا مودعاً
إنني أخبركم ، ويمكنكم أن تصدقوا
أن المزيد من اللعنات
أخذ معه ولم يصطحب تبريكات
وركب هو والمركيز البحر
وأخذا طريقهما الى صور ، حيث نقلاً
حصتهما من الأسرى المسلمين
وقراقوش كان بين هؤلاء الرجال
ومائة الف دينار هو الذي
طلبه من أجل تحريرهم
وقد اعتمد على ذلك لتزويد
جيشه بالنفقة حتى حلول عيد الفصح
لكن جميع هؤلاء الأسرى أصيبوا بالمرض
وعدد كبير ماتوا نتيجة إصابتهم
لذلك منهم لم يحصل على أي
ربح ، لا درهم ولا دينار
أو أي شيء يجعله غنياً
باستثناء نصف الغنائم التي

وجدوها في عكا . وبعدم رضا
جنوده غالبا ما تشكوا
أنهم لم يحصلوا على المزيد من العطايا
ومن ها هنا جاء عدم وفاق كبير
لكن فيما بعد ، بناء على طلب الدوق —
الذي حصل من ذلك على منافع
واضحة — توفر هناك قرض
مقداره خمسة آلاف مارك فضي على
حساب الرهائن . والملك رتشارد هو الذي
قدم القرض : وبهذا جرى الدفع للعساكر الفرنسية
لكن جاء وقوع هذا بعد كثير من التأخير

استمرارية رتشارد

أدرك الآن الملك رتشارد ادراكاً جيداً
أنه طالما أن ملك فرنسا قد مضى وانصرف
وأنه سوف لن يبقى ، فإن الجهد والمال
لابد من أن يتولاهما الآن تماماً
ولذلك أخذ من خزانته
فضة وذهباً بكميات كبيرة . وقد
أعطى بكرم وافاضة مما لديه

إلى الفرنسيين ، وبذلك أدخل السرور
عليهم جميعاً ، لأنهم كانوا حزينين جداً
وكان كريماً نحو الآخرين
حتى يمكن أن يمنحوه ولاءهم بسهولة .
ملك فرنسا الى بلاده قد
— عاد . الملك رتشارد بيده تناول
المسؤولية . وهولن يتزحزح عن جانب
الرب . وأعلن بوساطة المنادي وطلب
الى الحشد الاجتماع الذي انتظر أربعة عشر يوماً
ثم ازداد اسبوعاً ، فوق الميعاد المقرر
والمتفق عليه . لأن صلاح الدين لم يف
— أو أن الرب قضى أن تكون الأمور
هكذا — بالتعهدات التي على نفسه قطعها
ولهذا السبب الحشد تأخر
وأعدّ الملك العدة للارتحال
— وحمّل السفن وأعدها
وآلاته ومجانيقه لموسم
الصيف كانت تقريباً جاهزة
ورغب الى الجميع أن يستعدوا .

وأمر بترميم أسوار عكا وجعلها
أقوى من ذي قبل وأعظم حجماً
وفي الوقت نفسه غالباً ما شغل نفسه ووجد متعة
بالاشراف على العمال وهم يعملون
لأن الأمل الأعظم للملك كان في
استرداد أرض الرب وجعلها سليمة
لنا . وهذا الانتظار جعله غاضباً
ولولا الحسد الذ ي أعاقه
لحقق أوفى نجاح وأعظمه

مماطلة المسلمين

حل الآن الوقت للعمل
وللوفاء باليمين والعهد
الذ ي قطعه المسلمون على أنفسهم
للفرنجة ، لكن ما زال الصليبيون لا
يعلمون أنهم بالمكر وبالمعاذير العابثة
قد خدعوا . والمسلمون قالوا
حتى يجدوا الصليب لمزيد من الوقت
طلبوا ، ودوماً تساءل رجالنا
حوله وطلبوا الأخبار .

لكن إرادة الرب قضت برفض
حفظ أو بقاء هؤلاء الذين عوضا عنه
كانوا سوف يتم تسليمهم .
وروى أحد الناس وقال «إنه موجود هنا »
وقال آخر :« هذا الرجل رآه بوضوح
لأنه ذهب الى ما بين المسلمين » !
لكن هذا كله كان كذباًوخداعاً.
فصلاح الدين لن يعين أو يرعى
الرهائن ، لكنه تركهم يهلكوا
لأنه كان في ذهنه أنه بوساطة الصليب
يمكنه أن يحصل على صلح أكثر موائمة

ضراوة كونراد ووحشيته

وبينما كانوا ما يزالون متأخرين ويستعدون
مقدموا الفرنجة بعثوا برسالة
إلى المركيز الذي كان في صور
وقد سألوه الآن ومنه طلبوا
وجوب القدوم الى عندهم ، وحمل
الرهائن وأخذ الحصة
العائدة الى ملك فرنسا وهي

نصفهم ، حسبما في المواثيق
وأسقف سالسبري الذي
اصطحب معه من البارونات اثنين هما
الكونت روبرت والمخلص بيير
دي برو الذي كان لطيفاً وشجاعاً
فهؤلاء السادة الثلاثة تولوا السفارة
المركيز الذي امتلأ غضباً
أعطى جواباً بأنه لن يستجيب
لأنه الى الحشد لا يجرؤ على الذهاب
ذلك أنه يخشى من رتشارد
أكثر من أي انسان حي آخر
وزيادة على هذا ، إذا كان سيتخلى عن
الأسرى الأتراك الذين لديه
فهو يطالب بتقسيم الصليب الحقيقي
حتى يمكن أخذ حصته منه
وإذا ما نفذ هذا هو سيطيع
وسوف يسلمهم من دون تأخير
وسمعوا الجواب الضاري
الذي قدمه المركيز الوقح

ولقد وثقوا بصدقه قليلاً

٥٤٤٠ — ومع ذلك بذلوا جهدهم لتهدئته

وقالوا له : واحداً منهم سوف هنا

يبقى رهينة . وبدون خوف

يمكن للمركيز المضي والمثول أمام

الملك . لكن مرة ثانية هو أقسم

أنه لن يخطو خطوة واحدة

على ذلك الطريق . ولم يودعوه ، بل حملوا

أنفسهم عائدين الى عكا وللملك

أخبروا بكل شيء ، ولم يغيروا شيئاً أبداً

المركيز يرفض الالتحاق بالمعسكر

وغضب الملك تجاه هذه الوقاحة

٥٤٥٠ — فبعث وأحضر دوق بيرغندي

وبعث خلف اللورد درو دي أمين

الذي كان سيداً نبيلاً وممتازاً

وكذلك خلف روبرت دي كوينسي ، والآن عندما

بحضرته مثل هؤلاء الرجال

عرض عليهم البعد عن

المنطق ، والجريمة ، والعذر الذي

بعثه المركيز وعلل به
عدم قدومه واحتفاظه
بالأسرى ، وأنه يريد المشاركة بالمملكة
بدون أن يحمل ترساً أو خوذة
وأنه قطع المؤن عنهم
وعلى هذا الى صور لم يعد يأتي شيء
وهذا ينبغي أن يوقف ويوضع له حد
وقال :« هذا تصرف مجنون وأحمق »
ثم أردف يقول : «سادتي الدوقات اليه ينبغي
الآن أن تذهبوا ، فإذا ما أخذ نا بالحمق
سوف لن نحقق شيئاً يستحق الذكر
وانطلق دوق بيرغندي وذهب
وروبرت دي كوينسي ، وكان مستقيماً وصادقاً
ومولاي درو دي أمين ، ذهب أيضاً
ومع المركيز في صور التقوا
ووجهوا باسم الرب له دعوة بالحضور
وكذلك باسم ملك انكلترا
وأن عليه تقديم العون لإعادة الاستيلاء
ولاسترجاع أراضي سورية

بما أنه يطالب بجزء منها .
وخاطبه هؤلاء الرجال بشكل لطيف
لكنه أجابهم بوقاحة وعجرفة
بأنه لن يخطو خطوة نحو الحشد
— لكنه سوف يحمي مدينته ، وتبجح متفاخراً
أنه هناك لا يخشى من أي انسان حي
ولهذا لوقت قصير بذلوا جهدهم معه
لكن هؤلاء الشخصيات النبيلة الثلاث
أقنعوه بالتخلي عن رهائنه
ومعهم مرغمين عادوا راجعين
وذهبوا للالتحاق بالحشد عند عكا

اخفاق صلاح الدين في انقاذ رهائنه وتخليصهم

وهكذا جرى استرداد الرهائن
الذين كانوا محبوسين في صور
وبعد مضي أربعة عشر يوماً ، وأكثر
— على الموعد المحدد
للأعداء للوفاء بمجمل
الوعود التي قطعوها
للصليبيين . فالسلطان صلاح الدين

- ١٥٣٠ -

كان مزيفاً ومخادعاً
أخفق في فداء أو استرداد
رجاله الذين الى الموت سلمهم
وبذلك فقد سمعته الجيدة
التي اكتسبها حتى هذا الحين
لأنه لم يكن هناك في البلاد بلاط
— لم يحظ بداخله بسمعة طيبة
لأن الرب يمنح أحياناً عدوه
فرصة ، ثم الى الحضيض يسقطه
ويرفع بالوقت نفسه من شأن صديقه
ويقود جهوده نحو نهاية طيبة .
لكن صلاح الدين لن يتمتع ثانية
بالسمعة الطيبة التي نالها من قبل
لأن جميع الانتصارات التي
نالها من الصليبيين
نالها لأن الرب اختار من خلاله
— أن يعمل ، وأن يرد من خلال عمله
هؤلاء الذين ضلوا من شعبه
وأن يعيدهم مرة أخرى الى جادة الصواب

- ١٥٣١ -

الذين جرى قتلهم من قبل الصليبيين

وعندما بات الملك رتشارد أخيراً
مصدقاً، ومتأكداً ، بدون
أي شك ، أنه قد استحمق
من قبل صلاح الدين ، وسخر منه
وأنه عن عمد يعبث به
وكان آسفاً وحانقاً
لأن الحشد لم يقم بمغادرة
أكثر سرعة ، وذلك عندما علم بالخدعة
وكيف أن صلاح الدين لن يفعل شيئاً
ولن يدفع الى هؤلاء الرجال المزيد من الاهتمام
وهم الذين تولوا حراسة عكا عوضاً عنه ،
رتشارد عندها دعا الى اجتماع
النبلاء وعليهم عرض القضية
بإيجاز . وفكروا بالأمر وقرروا
أن عليهم قتل الجزء الأكبر
من المسلمين ، وأن يوفروا فقط
الذين من أسر نبيلة وعالية
حيث من الممكن بيعهم مقابل رهائننا

وقام الآن ملك انكلترا الذي
سمع هذا بقتل عدد هائل من المسلمين
فبعد الآن لن يعود ذهنه مشغولاً
بهم ، وبذلك كان يدمر فخار الأتراك وظلمهم
وينتقم للصليبيين
ألفين وسبعمائة ، جميعهم
بالأغلال ، اقتيدوا الى خارج السور
حيث قتلوا كل واحد منهم
— وهكذا بوساطتهم جرى الانتقام
من ضرباتهم ومن جروخ قسيهم العقارة .
ولهذا سينال أعظم مباركة !

رتشارد يخطط للزحف جنوباً

صوت النفير وسط الحشد دوى
للاجتماع عند حلول المساء
وباسم الرب، المعطي
لكل الخيرات ، يتوجب عليهم عبور نهر
عكا ، ومن ثم عليهم الزحف مباشرة
وبلا توقف حتى يصلوا الى عسقلان
ليستولوا على الساحل بقوتهم

٥٥٥٠— وحملوا — السفن — بالبقسماط وبالدقيق
وبالخمرة ، وباللحوم ، وببقية أنواع المؤن .
زيادة على هذا صدرت الأوامر
بأن على كل انسان أن يحمل معه مؤونة عشرة أيام
من الطعام ، وتوجب على البحارة الإبحار
على محاذاة الشاطىء ، وأن يجلبوا بوارجهم
معهم ، كلها محملة بما احتاجوا اليه
ثم على الغلاليين التقدم
والسير بعدهم بسرعة
٥٥٦٠ — حيث ينبغي نقل كل من العساكر والأطعمة
بهم، وأن يكون الجند مسلحين جيداً ومجهزين
وهكذا خططوا بوساطة قوتين
القيام بالاستيلاء، واحدة بالبر
وأخرى بالبحر، لأنه لم يتوفر
سبيل آخر لتحقيق أغراضهم
والاستيلاء على سورية التي سقطت
تحت نير حكم الأتراك وتسلطهم

شهداء حصار عكا

وبقي الجيش واقفاً أمام عكا

صيفاً واحداً بكامله وشتائين اثنين
وتقريباً حتى منتصف آب، وقد تمزق
٥٥٧٠ — بالصراع وبالنفقة وبالمرض، وبالمخاطر،
وعندما أمر الملك بقتل
أولئك الذين استحقوا ذلك لما اجترموه
بحق الرب وبحق حجاجه، حيث
جعلوا اليتامى كثيرين جداً.
ولأن كثيراً من الفتيات بلا عون
تركن، وسببوا الترمل لعدد كبير جداً
ودمروا كثيراً من النبلاء
وتركوا أسقفيات وكنائس
٥٥٨٠ — خاوية ولرعاتهم دمروا.
وكتبت هناك رواية
من قبل كاتب جيد لأمير وكونت
مات هناك، وسجل ودون
أسماء الذين تمتعوا بشيء من الشهرة
لكن ليس أسماء الأناس الصغار أو الذين بلا اعتبار
ولو رغب في تسميتهم جميعاً
لطالت اللائحة طولاناً كثيراً

ولما انتهى عمله وكتابته أبداً.
وفي مخطوطته كتب أسماء
ستة رؤساء أساقفة (*) كما تلاحظون
وكذلك اثني عشر أسقفاهم ماتوا
والبطريرك، ولندع جانباً
الكهنة، ورجال الدين، الذين قليل
يمكنهم بتأكيد ذكر أعدادهم.
ومثل هذا في مخطوط الكاتب
أسماء أربعين كونتاً قتلوا.
وخمسمائة من كبار ملاك الأراضي
الذين ابتغوا التدوين في مخطوط ربهم
أرجو الرب أن يغفر لهم ويمنحهم الرحمة
ليجدوا أماكنهم في مملكة الرب
وكذلك لجميع الناس الذين هلكوا هناك

* كان من بين رجال الدين هؤلاء هرقل بطريرق القدس، وبلدوين رئيس أساقفة كانتربري، و(ليتارد؟) رئيس أساقفة الناصرة، و(تيري دي مونتفوكون) رئيس أساقفة بيسانكون، و(بيير دي اسنارد) رئيس أساقفة آرل،و(كاروس أووليم؟) رئيس أساقفة مونريال، و(يودس) أسقف صيدا، و(يودس؟) أسقف بيروت، وأسقف عكا، وأسقف القديس جورج في اللد، وأسقف الخليل، وأسقف طبرية.

ولجميع الذين إلى هناك توجهوا
وللعمال البسطاء وشحن القلاع
الذين ساعدوا جيش الرب على البقاء
ولكل انسان قام بدوره
فلهم جميعاً ينبغي أن نصلي بقلوبنا كلها
حتى يرحب الرب بهم ويستقبلهم بين
نخبته، وبين حشده السماوي
حيت يكون مقامهم رائعاً
— حسبما وعدهم ووعدنا
لصالحهم ولسعادتهم ولنا أيضاً حتى يمكن
لكل انسان للصلاة الربانية يقول .

اجراءات رتشارد الاحترازية

عند ماهؤلاء الكلاب الحقراء قتلوا، وهم الذين
تمسكوا بعكا طويلاً وقاموا بردنا
غالباً؛ أخذ الملك من الخندق
خيامه وأعطى أوامر بنصبها قرب الدفاعات
وذلك أثناء انتظاره للحشد ليشرع.
ووجد من الموائم والمفيد
— أن يحشر سيرجندية مشاة حول خيمته:

لأن المسلمين الخونة كانوا سيأتون

ويقلعون بحملات مرعبة جداً

ويزأرون ويقاتلون بحدة وشدة،

عندما قلة من رجالنا يتولون الحراسة.

واعتاد الملك على هذه الانذارات

وكان الأول فيمن ينهض ويحمل السلاح

ليحمل على العدو المكروه

وليعمل أفاعيل فروسية

أسر اثنين من لوردات الصليبيين

وصدف في أحد الأيام أنهم طاردوا—

٥٦٣٠ — هم، وأن القتال تجدد

الملك وجميع الصف الذي معه

حملوا السلاح وانخرطوا في المعمعة

وكان معهم كونت هنغاريا

وعدد كبير من العساكر من أتباعه؛

وقد حملوا متقدمين ضد الأتراك

وعمل بعضهم أفاعيل شجاعة

لكنهم تبعوا رجال أعدائهم المنهزمين

بعيداً جداً، فوقعوا في محنة شريرة

وأسروا كونت هنغاريا—

٥٦٤٠ — وكان رجلاً عالي المقام والمكانة—

وأسروا أيضاً لورداً اسمه هيوج

وكان سيداً ولد في بواتو

وهو الذي كان مارشال الملك.

وقاتل الملك هناك وناضل بكل مأوتيه من قوة

ناوياً على انقاذ هيوج، لكنهم

كانوا قد أخذوه وحملوه بعيداً.

أسلحة المسلمين وتكتيكاتهم

ولأن الأتراك امتلكوا عوامل تقدم

خطيرة، كلفنا ذلك ثمناً غالياً:

فقد كان الفرنجة يرتدون السوابغ ويلبسون الدروع

٥٦٥٠ — وكان ذلك ثقيلاً. وكان كل واحد من المسلمين يحمل

دبوساً، وقوساً، وسيفاً، ويحمل رمحاً

بسنان حاد، ولايحمل معدات أخرى

سوى سكين ذات وزن خفيف.

وعندما تطاردهم يخيل للانسان

أن خيولهم لانظير لها واحدها مثل السنونو

عندما يطير، فما من أحد قادر على اللحاق به

والأتراك بارعين جداً بالتغرير
برجال أعدائهم عندما يكونون عرضة للمطاردة
تراهم مثل صل حاقد سام
ومثل ذباب بغيض يطير من حولنا.
إذا ماطاردته، تراه يطير ويهرب
وعندما تعود، يعود ويجدد مراغمته.
فهكذا ضايق جمع الكفار
وآذوا الملك رتشارد وتركوه بلا راحة:
وكان ينقض عليهم، فينهزمون
وينعطف ليعود، فيتبعوه
وكانوا أحياناً يطاردون فيخسرون
وأحيانا يربحون أكثر مما يخسرون

العالم والجسد والسيطان

كان الملك رتش[illegible] في داخل خيمته
ينتظر الحشد، وس[illegible]ف إلى الأمام،
ولعبور الخندق كان رجاله بطيئين جداً
وببطىء أعدادهم تزايدت،
ونادراً ما حوت اسوار عكا مثل
جمهور الناس هذا الذي هناك بقي.

ثلاثمائة ألف رجل،بدون شك
كانوا هناك داخل المدينة وفي خارجها.
وكانوا كسالى متراخين الى أبعد الحدود
لأن البلدة كانت قد امتلأت بالمسرات.
كانت هناك خموراً جيدة ووفرة من كل شيء
وكثيراً من الفتيات الجميلات
ومع الخمور ومع النساء
أسرفوا بالشرور وبالاعمال المخجلة
وكان هناك الكثير الكثير من المساوىء في داخل
البلدة،والكثير الكثير من البغاء ومن الذنوب
الى حد أن العقلاء والناس ذوي القدر ارتعبوا
وشعروا بالخجل تجاه ما اقترفه أتباعهم

زحف عساكر الفرنجة نحو الأمام

وجرى جمع الحشد،والى الأمام تقدم.
تماماً مثل شعلة شمعة مغطاة
تنطفىء عندما تتعرض لهبات ريح قوية
لذلك توجب اطفاءها وتركها وتخليفها
فلقد جاء الحمقى فقط
أما الحشد، فبسبب فساده

وبسبب النساء،كله حبس وأعيق
عن الذهاب، وفي عكا رجاله مكثوا وبقيوا
باستثناء بعض السيدات العجائز اللائي كدحن
والسيدات اللواتي تولين غسل الثياب المتسخة
وغسلوا رؤوس الحجاج،فهؤلاء كن
نافعات مثل القردة للتفلية والتقاط القمل
انتبهوا،الحشد عند انبلاج الصباح
تسلح واصطف في صفوف جيدة
واتخذ الملك موقعه في ساقة الجيش
ليحول دون وقوع حوادث مشؤومة
وقطعوا في ذلك اليوم مسافة قصيرة:
فعندما علم الشعب الكافر الملعون
وبات يعرف أن الجيش يزحف نحوالامام
كان بإمكانهم رؤيتهم مثل المطر يتدفقون هابطين
من التلال،هناك ثلاثين وهنا عشرين
لأنهم كانوا جداً محزونين ولشدة غضبهم متألمين
لرؤيتهم الذين جرى قتلهم
من أقربائهم،هناك موتى متمددين
لذلك لحقوا بدون راحة

الحشد،وضايقوه وشددوا الضغط عليه.
لكن حمداً للرب ضغينتهم
لم تجد نفعاً.وغادر رجالنا من هناك
وعبر نهر عكا اتخذوا
طريقهم،فنصبوا الخيام،وهناك أقاموا
وانتظروا،لأنه كان هناك مايزال بعض
الناس في داخل عكا،لم يقدموا بعد
من المدينة،وكان من الصعب جعل
٥٧٢٠- الجميع يتخلون عن البلدة في وقت واحد .